

الوسواس مشكلة وعلاج

محمد صافي الخاقاني





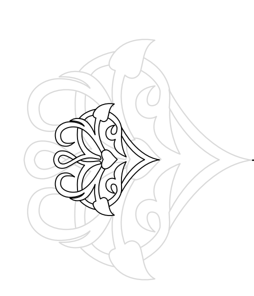
الـوسواس

مشـكلة وعـلاج

محمد صافي الخاقاني




!
﴿لَا يُغَيِّرُ الله مَا بِقَوْمٍ
حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
[الرعد: ١١]



تصدير

الوسواس مرض العصر، يُصيب الكثيرين على مختلف مواقعهم الدينيّة والثقافيّة والاجتماعيّة... وهو إذا ما استحوذ على الإنسان فإنّه يسقطه ويُتعب روحه، وقد يجعله ريشة في مهب الريح. ولأنّ هذا المرض خطير ويستوجب من أهل العلم أن يعملوا على استئصاله من النفوس والعقول، فقد قام سماحة الشيخ محمد صافي الخاقاني من الحوزة العلمية في النجف الأشرف بإعداد وتأليف هذا الكتاب (الوسواس: مشكلة وعلاج)، حيث بنى أفكار هذا الكتاب على أسس إسلاميّة متينة، وعلى قواعد علميّة تساهم مساهمةً فعّالةً في محاصرة هذا المرض، وبالتالي استئصاله إذا ما اتّبع المصابُ الخطواتِ العمليّة والعلميّة القادرة على كبح جماح الوسواس واقتلاعه من النفوس...

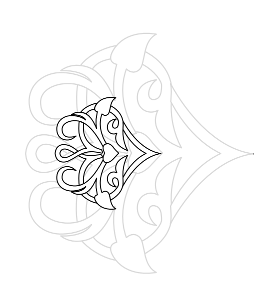
كتاب (الوسواس) جدير بالقراءة، وإنّنا في المركز الإسلاميّ الثقافي في العراق ولبنان، ننوّه بالجهد الكبير الذي بذله سماحة الشيخ الخاقاني لإصدار هذا الكتاب، سائلين المولى تعالى له دوام التوفيق والنجاح والتسديد ولجميع العاملين في سبيل الله... إنّه سميع مجيب.

والله الموفّق

مدير المركز الإسلاميّ الثقافيّ

شفيق محمّد الموسوي

رجب ١٤٣٧ هـ/ نيسان ٢٠١٦م



المقدمة[*]

لا تخفى خطورة الوسواس الذي يعاني منه الكثير، ويُعتبر مشكلة رئيسة في حياة بعض الناس، وهو من الأمراض ذات التاريخ الطويل، ومن الأمراض النفسية والروحية؛ لأنّ سببه الرئيس هو الشيطان الذي يوسوس لهؤلاء المساكين فيؤثّر على أنفسهم ويجعلها مشغولة بالمشاكل التي تنغّص عليهم العيش وتسلب منهم الراحة، وقد أرشد القرآن والسنة النبوية، وعلم الأخلاق، بل حتى علم الطب النفسي، لعلاج هذا المرض الخطير ومن هذا المنطلق فقد عقدت العزم بعد التوكّل على الله عزّ وجل أن أكتب في علاج وحلّ هذه المشكلة التي يعاني منها الكثير من إخواننا وأخواتنا لعلّي أساهم في مساعدتهم للخلاص من هذه الورطة العويصة، وهي بحقّ ورطة لأنّي أدركت ذلك من خلال معايشتي لبعضهم، ومن أسئلة البعض الآخر، بشكلٍ مباشر أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت، وممّا هو مدوّن في بعض الكتب لاسيما الاستفتائية منها وبعض كتب علم النفس، وإنّ بعضهم يعيش القلق النفسي طوال حياته ويتركّز بحثنا حول أهم مسائل الوسواس في القضايا العملية والطقوس العبادية (أي في الأحكام الشرعية كالوضوء والصلاة وغيرهما)، والقضايا العقائدية، والقضايا العامة (كالشكّ والوسوسة في النظافة أو خوف

(*) ينبغي الالتفات إلى أنه بعد إتمام هذا الكتاب بفضل الله تعالى منذ أكثر من خمس سنين، أجريت بعض التعديلات، ومنها الأخذ من بعض المصادر التي صدرت حديثاً.

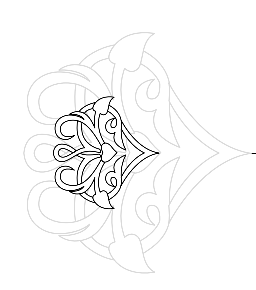
المرض أو خوف الموت وما شاكل ذلك) ! كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى وحسب اعتقادي أنّ المبتلى بالوساوس والشكوك إذا طبّق عملياً بعض خطوات هذا الكتاب ـ وليس بالضرورة كلّها ـ سوف يتخلّص من هذه المشكلة بعون الله تعالى، وما عليه إلا أن يعقد العزم بعد التوكّل (الحقيقي) عليه جلّت أسماؤه. كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ مَنْ قدّم لي العون والنصح في إنجاز هذا الكتاب المتواضع.

وأخيراً آمل من الله عزّ وجلّ أن تكون هذه خطوة موفّقة لأنال بها رضاه سبحانه، وأن يتقبّل منّي هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون.

محمد صافي الخاقاني

١٩من شهر رمضان ١٤٣٢هـ

❊ ❊ ❊



تمهيـــد

تعريف الوسواس

تكاد تتّفق كلمات اللغويين بأنّ الوسواس في الأصل اللُّغوي هو الصوت الخفي، كصوت الريح، أو صوت الحلي، لهذا يرمز لحديث النفس، أي في قرارة نفس الإنسان بـ (الوسواس).

قال الراغب الأصفهاني: الوسوسة الخطرة الرديئة وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي والهمس الخفي، قال: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾[طه: ١٢٠] وقال: ﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ**﴾[الناس: ٤] ويقال لهمس الصائد وسواس[١].

ويقول صاحب المصباح المنير: الوسواس بالفتح اسمُ من وسوستْ إليه نفسه إذا حدّثته[٢].

وقال صاحب مجمع البحرين: الوسواس بفتح الواو الشيطان، وهو الخنّاس أيضاً لأنّه يوسوس في صدور الناس ويخنس. والوسوسة حديث النفس[٣].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، دار الأميرة: بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ: ٧٣٥.

(٢) المصباح المنير: ١٠ / ٣٣٩.

(٣) مجمع البحرين: ٤ / ٨٢.

أما في الفقه الإسلامي فهناك تعريف للشخص الذي يتلبّس بالوسواس، ومنه يُعرف معنى الوسواس، يقول السيّد الخوئي قدس سره ـ وغيره من الفقهاء ـ: الوسواسي هو من لا يكون لشكه منشأ بحيث لا يلتفت العقلاء إلى مثله[1].

أما في علم الطب النفسي فتكاد تجتمع كلمتهم على أنّ الوسواس القهري: هو أن تتسلّط فكرة، أو صورة ملحّة ومتكرّرة، أو شعور نفسي مفاجئ أو رغبة ملحّة لدى الفرد يرى أنّها دخيلة عليه ولا إرادية، بل غير مرغوب فيها ولا يجد لها مبرّراً معقولاً سوى أنّه مجبرٌ على ذلك السلوك المعيّن الذي تفرضه عليه تلك الفكرة اللاشعورية، يعاني منها الإنسان في وقت من الأوقات[2].

سبب التسمية بالوسواس

إنّ أصل هذه التسمية يعود إلى تعاليم واصطلاحات الفكر الإسلامي، مستمدّاً ذلك من القرآن الكريم، كما جاء في سورة الناس، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ**﴾[الناس: ١ ـ ٦].

هذا هو أصل التسمية وإن كانت هذه التسمية موجودة في الفكر الآخر (غير الإسلامي)، إلا أنّ التسمية الإسلامية أسبق من غيرها كما يبدو، وهذا واضح إذا ما طالعنا تاريخ الاضطراب والوسواس القهري والأفكار التسلّطية عند الباحثين الغرب، بحسب ما أكّده الباحث الدكتور وائل أبو هنيدي، فيؤكّد من خلال بحثه أنّ أوّل استعمال لهم هو على يد الألماني

(١) منهاج الصالحين: ١ / المسألة ١٤٨.

(٢) الإسلام والصحة النفسية: ١١١الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي: ٢٥ الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي: ٢٤.

كارل فيستال سنة ١٨٧٨م في منظومة علم الطبّ النفسي، ويؤكّد الباحث نفسه أنّ علماء المسلمين هم الأسبق في علم الطب النفسي مستدلّاً بهذا البحث ـ الوسواس ـ ونقل أسماء جملة من العلماء كالغزالي، وأبي زيد البلخي والإمام الجويني في كتابه (التبصرة في الوسوسة)(١).

أمّا سبب التسمية فالوسواس أصله ـ لغةً ـ كما تقدّم صوت الحلي (اصطكاك حلية بحلية)، ثم أُطلق على أيّ صوت خافت، ثم على ما يخطر في القلب من أفكار وتصوّرات سيّئة؛ لأنّها تشبه الصوت الباهت الذي يوشوش في الأذن(٢) ومعنى الخنّاس: الخنوس هو التراجع، لأنّ الشياطين تتراجع عند ذكر اسم الله(٣) أو لأنّه يخنس أي يتأخر إذا ذكر العبد ربّه(٤).

جاء في آمالي الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أو ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ**﴾[آل عمران: ١٣٥]، صعد إبليس جبلاً بمكة يُقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمَنْ لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا قال: لست لها، فقام له آخر فقال: مثل ذلك فقال: لست لهافقال الوسواس الخنّاس: أنا لها قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة.فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة»(٥).

(١) راجع الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي، دوائل أبو هندي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ٢٠٠٣م: ١٠١ فما بعد.
(٢) الأمثل: ٢٠/ ٣٤٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تفسير القرآن الكريم، السيّد عبد الله شبر: ٦٠٤.
(٥) أمالي الصدوق، مؤسسة الأعلمي بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ: ٣٣٥ـ٣٣٦، المجلس ٧١، ح٥

انظر أيّها القارئ اللبيب هذه الرواية وتأمّل فيها كم هي معبّرة عن المعنى العميق لعداوة الشيطان وجنده لهذا المسكين؟ فعليك أيّها المبتلى أن تعزم على إفشال وتفويت الفرصة على هؤلاء الشياطين، الذين يريدون أن يزلقوا الإنسان عن المسار الصحيح الذي أراده لنا الله عزّ وجل، إذ يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾[الجاثية: ١٨].

منشأ الوسواس

والآن لنا أن نتساءل ما هو السبب والداعي الذي يدفع هذا الإنسان حتى يصل إلى هذا المرض أو الحال الخطير؟

ويمكن لنا أن نجيب بأنّ الوسواس ينشأ بسبب أمرين على أقلّ تقدير هما:

الأول: هو الجهل بأحكام الدين ـ هذا إذا كان الوسواس في الأمور الدينية ـ فمثلاً يجهل أحكام تطهير النّجاسات، فعندما تصيبه أيّ نجاسة تجده يبالغ في تطهيرها، كما لو أصابته بعض قطرات من البول فيقوم بغسل تمام جسمه اعتقاداً منه أنّ هذا هو الحكم الصحيح! وهكذا في النجاسات والقذارات الأخرى!فينشأ عنده الوسواس، هل طريقة التطهير كانت بالصورة الصحيحة أم لا؟ فيعيد التطهير ثانية وهكذا إلا أنَّ هذا الشخص أقلّ حالاً من ذاك الذي يعرف الأحكام الشرعية ولا يسترشد بها! وذلك لأنّ الجاهل عادة عندما يعرف الحكم يأخذه ويعمل به وإن كان بعض الناس من الجهّال يصرّ ويبقى على جهله مع شديد الأسف!.

الثاني: بعض مَنْ يُبتلى بهذا المرض ينشأ عنده بسبب التدقيق في كثيرٍ من الأمور مع معرفته بالأحكام الشرعية التي يفترض أن يتّبعها، فتراه يدقّق

ويعيد ويكرّر القراءة في صَلاته وعندما تسأله عن سبب ذلك يقول إنّما أعيد من باب الاحتياط والتأكّد! فيقع في المشكلة من حيث لا يشعر.

ويمكن أن نضيف سبباً ثالثاً، ولكن لمن يعاني الوسواس في القضايا العامة، مثلاً التنظيف الزائد أو غير ذلك وهذا منشأه من الحساسية الزائدة في النظافة وهكذا تجد لكلِّ نوع من أنواع الوسواس والشكّ سبباً ما بالرغم من تفاهته في أغلب الأحيان!.

ومن وراء كلّ ذلك هو الشيطان.

الوسواسي وتضييع الأهداف السامية

حينما خلق الله سبحانه الإنسان رسم له طريق الخير في الدنيا والآخرة، وجعل للدنيا هدفاً وللآخرة هدفاً (وهو الهدف الحقيقي) أمّا الدنيا فهي الطريق والممرّ إلى دار البقاء كما لا يخفى، ولكنّ الله سبحانه رسم لنا المعالم الدنيوية الصحيحة، وأرشدنا إليها وحذّرنا من الفاسدة منها حتى يصل الإنسان إلى الكمال اللائق به، وأن نعبده كما يحبّ ويرضى لا كما نريد نحن القاصرين.

فأراد الله عزّ وجل للإنسان أن يحكم الأرض ويرسي قواعد العدل، وأن يَعْمُرَ الأرض وأن ينفع الآخرين، ما دام في هذه الدنيا بما يرضي الله تعالى، ولكنَّ هذه الأمور التي ذكرناها تتعدّد فيها الأساليب وتختلف من عصر إلى عصر ومن قوم إلى آخرين، نعم هذا الإنسان هو الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ خليفته في أرضه إذ يقول سبحانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[البقرة: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ**﴾[يونس: ١٤] وقال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[الأحزاب: ٧٢].

يقول السيّد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره: إنّ الله سبحانه وتعالى شرّف الإنسان بالخلافة على الأرض...، فكان الإنسان متميّزاً عن كلِّ عناصر الكون بأنّه خليفة الله على الأرض، وبهذه الخلافة استحقّ أن تسجد له الملائكة وتدين له بالطاعة كلُّ قوى المنظور وغير المنظور.

والخلافة التي تتحدّث عنها الآيات الشريفة المذكورة[١] ليست استخلافاً لشخص آدم عليه السلام بل للجنس البشري كلّه؛ لأنّ مَنْ يفسد في الأرض ويسفك الدماء ـ وفقاً لمخاوف الملائكة ـ ليس آدم بالذات....[٢].

إذن الإنسان هو المحور والأساس للكون والحياة، فهو خليفة الله في أرضه، وهو المفضّل من بين سائر الخلائق في هذا الكون العظيم قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**[الإسراء: ٧٠] وممّا فضّل الله سبحانه به الإنسان أن سخّر له الموجودات وجعله قادراً على التصرّف فيها، كما في قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[الجاثية: ١٢ـ١٣] ومن هذه الموجودات التي سخّرها الله تعالى للإنسان حركة الشمس، والقمر، ووجود المطر، والزرع، والثمرات، والأنعام، كلّ ذلك

(١) أورد السيّد قدس سره عدة آيات منها الآيات الثلاث التي ذكرناها.

(٢) الإسلام يقود الحياة، للإمام الشهيد محمد باقر الصدر، المؤتمر العالمي للإمام الصدر، قم: ١٢٧.

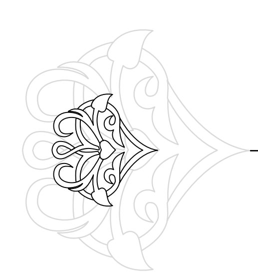
يخدم حياة البشر[1]، وقد شرّف الله تعالى الإنسان بهذه النِّعم، والمناصب ليكون سيّد الكون في هذه الدنيا، ومن بعدها الآخرة فنقول هل يصـحّ وهل يليق من خليفة الله في أرضه أن يطيع الشيطان وفي أتفه الأمور؟ ويبقى يومه كلّه في حالة إطاعة عمياء للوسواس الخنّاس! فتجده يترك كلّ هذا (أي الذي فُضّل به)، وينشغل ساعات وساعات في تطهير جزء من بدنه، بل بعضهم يقضي نصف نهار يعيد صلاته، أو يقف الساعة والساعتين من أجل استحضار النيّة على حدِّ زعمه! فهل هذا الإنسان هو الذي يقود الحياة؟ إذا كان يومه ينتهي ويتصرّم على هذه الحال، فمتى يفكّر في هذه الأهداف السامية التي أرادها الله له ليكون خليفته في الأرض؟وقد يقول هذا المسكين إِنّه لم يكن واجباً عليّ أن أكون جامعاً لكلِّ هذه الصفات، إنّما واجبي أن أتعبّد وأعيش!.

نقول له الزمان يختلف والعصور تتطوّر، فهل نبقى نتعبّد ونعيش كما يعيش بعض المسلمين؟ أم علينا أن نواكب الحياة المعاصرة وكيف نتعامل معها، أو نترك كلّ ذلك لمن لا دين له ولا خَلاق؟إذن تكون المسؤولية على المسلمين اليوم أكبر وأخطر ممّا كانت عليه في سالف الأيام، فالأحرى بالإنسان المؤمن أن يعرف الحياة بأنّها ليست انشغال الليل والنهار فيما يوحيه إليه الوسواس، إنّما على الإنسان أن يعمل بما سنَّته له الشريعة، فالوضوء ما هو إلا دقائق أو ثوان، وكذلك الصلاة، والتطهّر من النجاسات، وغيرها، إذاً أيّها المبتلى بهذه الوساوس أهداف الحياة أكبر ممّا تتصوّر، وعليك التفكّر بها على أقلّ التقادير؛ لأنّ التفكّر في الشيء الهادف محمود لاسيما في القضايا العقدية التي تقرّب الإنسان إلى الله عزّ

(١) انظر الآيات (١٧ـ ٢٢) من سـورة المؤمنون.

وجلّ، وتقود الإنسان نحو الاتّجاه الإيجابي.

أمّا إذا جئنا إلى الهدف الأكبر وهو الدار الآخرة فيحتاج إلى العمل الدؤوب، والمستمرّ مع الجدّية والإخلاص، والإكثار من عمل الخير في الليل والنهار، وعلى كلّ المستويات، مثلاً العبادة تحتاج إلى وقت معيّن، ومساعدة الآخرين تحتاج إلى وقت، وزيارة الرحم، وعيادة المريض، والحضور في مجالس الوعظ أو الإرشاد.وهكذا، لكنّنا نجد الإنسان المبتلى بالوساوس يفوته الكثير من ذلك، خصوصاً بعض الذي له وقت معيّن وينتهي، فتفوت الفرصة على هذا المسكين؛ لأنّه إلى الآن لم يصلِّ مثلاً ويقول أريد أن أصلّي، أو أريد أن أعمل العمل الكذائي فلم ينجزه بعد، فتفوته الفرصة بسبب شكّه ووساوسه!فلنا أن نسأل الوسواسي ونقول له إنّ تعاليم الإسلام وأحكامه من عبادات ومعاملات وغيرهما واسعة وكثيرة، فمتى تعمل بها أو ببعضها إذا كنت منشغلاً طوال وقتك في طاعة الشيطان (أي الوسواس)؟ إذن هذا المسكين قد ضيَّع الكثير من أهداف الحياة والآخرة وانشغل بالمذموم عقلاً وشرعاً، فعليك أيُّها المبتلى بذلك أن تنظر إلى هذه الحقيقة وتتأمّلها جيّداً، وتقرّ وتقول في نفسك إنّ ما أسلكه وادياً غير وادي الشريعة الإسلامية السمحاء الهادفة في ما جاءت به، مثلاً نأخذ بعض المستحبّات كالتّسبيح، والأوراد فهي لفظ في اللسان مع الارتباط القلبي، ولكن مع ذلك يستطيع الإنسان أن يزاول عمله ويسبح، كسائق السيارة والجالس في دكانه، فهو ينال الأجرين ـ عمل هذا المستحب ومعيشة نفسه وعياله ـ فحينها ستعلم مدى اهتمام الإسلام بهذا الإنسان، لكن هذا بخلاف ما يتصوّره ويفعله الوسواسيّون تجدهم يهدرون الوقت الكثير على بعض المسائل والأمور التي لا تستحق هذا الوقت الطويل!.



أنواع الوسواس

إنّ الوسواس الذي يصيب الناس يختلف من شخص لآخر، فبعض الناس يحصل لديه وسواس وشكٌّ في القضايا الدينية وهي على نوعين، الأوّل في المسائل العقائدية، والثاني في المسائل الشرعية، والبعض الآخر من الناس يحصل لديه الوسواس في القضايا العامة ـ الاجتماعية والنفسية وما شاكل ذلك ـ وسنذكر أهمّ هذه الأقسام لأنّها أكثر ابتلاءً وهي كما يلي:

الأول: الوسواس في القضايا العقائدية

بعض الناس يصيبه الوسواس والشكّ في الأمور العقدية، فمثلاً يحصل لديه شك في العدل الإلهي؛ بسبب بعض الأمور التي لا يُدركها مثل التفاوت في الغنى والفقر، أو في القوّة والضعف، فيقول إذا كان الله عادلاً لماذا يميّز بين خلقه، تصوّراً منه أنّ العدل هو المساواة في حين أنّ العدل ليس هو المساواة دائماً بل القاعدة الرئيسة فيه هي وضع الشيء في موضعه المناسب له؛ لأنّه لو كان العدل هو المساواة في كلّ شيء لأعطى النملة كأذن الفيل حتى يتحقّق التساوي ومن ثم العدل! على حدِّ تعبير أحد الأعلام. طبعاً لا يخفى على القارئ العزيز أنّ الشك والتساؤل يحصل للجميع ولكن يختلف من فرد لآخر، إلا أنّ الغالب فيها (أي الشكوك والوساوس الطارئة) لا تصل إلى مستوى الوسواس والشكّ الدائم، وهذه الحالة لا إشكال فيها كما سيتبيّن إن شاء الله تعالى في عنوان الوسواس العقائدي وعلاجه، بل بالعكس إذا كانت هذه الشكوك والتساؤلات تقود الإنسان نحو الحقيقة والإيمان الصادق تكون ذات منفعة لهذا الإنسان المبتلى بها، يقول آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه سرّ الوجود: (لكن أتعلمون أنّ ظهور مثل هذه الأسئلة في ذهن الإنسان لا يدعو إلى أيّ قلقٍ

واضطراب، بل بالعكس فذلك علامة على الاستقلال الروحيّ والنضج الفكريّ ودليل على تفتّح استعداداته وقابليّاته الباطنية)[1] ويتابع قائلاً: (ولكن مع ذلك، فإنّ هذه الأفكار وإنْ كانت تدعو للأمل والتفاؤل إلاّ أنّها قد تشكِّل ظاهرة خطيرة إن لم تجد هذه الأسئلة بعض الأجوبة الصحيحة؛ لأنَّ الجهد الممزوج بالأمل في هذه الحالة يتحوّل إلى نوعٍ من الخمود واليأس والتشاؤم، لذلك يشاهد العديد من الشباب الذين لم يحصلوا على ردود صحيحة لهذه الأسئلة وبغية الهرب من شِبَاك مثل هذه الأفكار، قد لجؤوا إلى المسلّيات الخاطئة والاتّباع الطائش لغرائزهم المستعرة، في المحاولة للحصول على استقرار زائف وكاذب..)[2].

ويقول أحد باحثي علم التنمية البشرية: «فَشَكّي أنا شخصياً جعلني أدرس التوراة والإنجيل وكتب السابقين ومن دراستي الطويلة استخرجت مادّة (البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب) وهي في ذكر ٩٩ دليلاً في وجود النبي ﷺ والبشارات به في التوراة والإنجيل»[3]

الثاني: الوسواس في المسائل الشرعية

وهذا القسم الثاني من الوسواس أكثر ابتلاءً عند عامة الناس المتديّنين وغيرهم، فيكثر الشكّ عندهم في الوضوء، والتطهير من النجاسات، والصلاة خصوصاً في النية والقراءة، فتراه يعيد القراءة مراراً وتكراراً؛ لاعتقاده أنّه أخطأ في قراءته فيعيدها بالشكل الصحيح! وهذا في الواقع يُفسد العبادة، وفيه حرمة شرعية؛ لأنّه يطيع الشيطان ولا يعمل بما جاء

(١) سر الوجود، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٢.
(٢) المصدر السابق: ١٣.
(٣) كيف تخطط لحياتك، د صلاح الراشد: ٩١.

في شريعة سيّد المرسلين ﷺ، والشكّ في عدد الركعات، وفي تكبيرة الإحرام، وبعضهم أثناء الصوم يحصل له شك، فيشكّ أنّ في فمه بقايا الطعام، أو عندما تمرّ من جانبه سيارة تثير الغبار الذي حوله ـ بشكلٍ قليل جدّاً ـ فيحكم بأنّه غبار غليظ فيخنق نفسه حتى لا يصل إلى جوفه التراب فيفطر، ومع ذلك فيشكّ أنّه قد دخل الغبار إلى جوفه، وتراه يردّد هذه الكلمات، أنّه لا فائدة من صومي فقد بطل هذا اليوم بسبب هذه الأمور التي ذكرناها وغيرها وبعضهم تحصل لديه كثرة الشكّ والوسوسة في مسائل التقليد وأنّ العلماء كلّهم غير عدول فلا تسكن نفسه وتطمئنّ إلى مرجعٍ معيّن، فتراه مدّة من الزمن يقلّد مرجعاً وبعدها يعدل إلى مرجع آخر وهكذا، تراه أغلب وقته يسأل عن ذلك في حين كثير من المسائل الدينية الهامّة في حياته لا يسأل عنها، وبعضهم يكثر شكّه في مسائل الحجّ عندما يذهب إلى الديار المقدّسة فيشكّ في عدد أشواط الطواف حول الكعبة، وغيرها من موارد الشك والوسوسة عندهم.

الثالث: الوسواس في القضايا العامة

توجد حالة وسواس عند بعض الناس ربما تكون خاصّة لا يمرّ بها إلا القليل من الناس في مجتمعاتنا الإسلامية، مثلاً في بعض القضايا الشخصية ترى أحدهم يحصل لديه شكّ في حديثه، وبعد انتهائه يعود ويستثني في كلامه، ويقول أنا لم أقصد ذلك لعلّي اشتبهت، أو يمكن أن يكون الكلام بصورةٍ أخرى! أو يحصل لديه هذا التردّد والتلكّؤ عندما ينقل حديثاً أو خبراً ما، وقبل إتمام حديثه يقول: أستغفر الله لعلّ فلاناً لم يحدّثني بهذه الصورة، وهكذا، فترى جليسه يسأم حديثه لاسيما إذا كانت الجلسة هامّة، بل حتى لو كانت جلسة سمر وتسلية لعدم ارتياح

غالبيـة المجتمع لهذا الأسلوب في الحديث إذ لا جدوى فيه. وبعض الناس لديه وسواس من المرض فهو دائماً يخشى أن يصيبـه المرض من بين سائر الناس! وبعضهم لديه وسواس في الموت فيخشى أن يموت قريباً! وبعضهم لديه وسواس تُجاه الآخريـن فتراه لا يرتاح من حديث الآخرين إلا بمسمع منه. وبعض الناس تراوده الشكوك والوساوس تُجاه زوجته، أو المرأة تُجاه زوجها، وبعضهـم لديه شكوك في النظافة، فكثيراً ما يغتسل وينظّف خوفاً من الوسخ.. انظر ما ينقله أحـد الباحثين في علم النفس الإسلامي عن سيدة تعاني هذه الوساوس، قال: (ما ذكره ولاندالبيير: أنّ السيّدة (ف) ذات الخامسة والأربعين من العمر تقريباً، تبدو عليها ملامح القلق والاشمئزاز معاً فشفتها العليا مرفوعـة، والثنية الأنفية الخدية بارزة جدّاً وقد كانت هذه السيّدة قلقة دوماً وشكت مرّات كثيرة من حوادث متنوّعة، إنّ خوفها من التسمـّم بغاز الإضاءة حملها على إزالة أقنية الغاز من بيتها، ثم إنّ خوفها من التسمّم من الغازات المنتشرة من مـدفأتها تحملها على القيـام في اللـيل عـدّة مرّات للتأكد مـن أنَّ جريان الهواء يتمّ بصورة جيدة، أضف إلى ذلك أنّـها معـذّبة بالقـلق على أنّها لا تزور قبـر زوجها بالـدرجـة الكافيةولكن الشيء البارز الآن في حالتها، وسـواس القرف مـن كـلّ القـذارات التي تخرج من جسـم الإنسان، كاللعاب، والبـول، ودم الحيض، إنّ مثل هذه الوساخات هي التي تخشاها على وجـه الحصر، مـع أنّها لا تبالي إطـلاقا بالغبار، والجراثيم، والقـذارات المتنوّعة الأخرى، وهي تخاف مـن القذارات التي تخرج مـن جسـمها كما تخاف مـن القذارات التي تخرج مـن الآخـرين، إنّها تخشـى باستمرار أن يكون الشيء الذي تستعمله قد اتّسخ بصورة ما، كأدوات الأناقة، والفرشاة والأمشاط، والمناديل، وأزرار الأبواب، والمفاتيح،

الخ...، وهي تقاوم هذا الرُّهاب بالغسل المتكرّر، فهي تغسل يديها مائة مرة في اليوم فيما لو مسّت شيئاً مشبوهاً، وعندما تنظّف وجهها ويديها فإنّها تخشى أن يكون قد بقي في الطشت بعض اللعاب الناشئ عن فرك أسنانها، فهي تغسل هذا الطشــت عشــرين مرة قبل أن تستخدمه..وتلقي إلى الغسيل كلّ يوم بعشرين منديلاً..وإذا عادت من النزهــة أمـرت البنزين قفازها والأقسـام الدنيـا (السفلى) مـن ثيـابها التي قد تكون من أرض الرصيف القذر بما فيه من بصاق، وبول، وبراز، وأخيـراً فإنّها ترغـم[1] من حولها على الخضوع لأسلوبها في النظافة، وعلى خـادماتها أن يغسلـن أيديهن كلّما مَسَسْنَ شيئاً سيمسّها، وتراقبهـنّ عنـدما يذهـبن إلى الغـائط وتأمرهنّ بغسل أيديهنّ عدّة مرات.وتعيش هذه المرأة باستمرار في هذا الوسواس الذي يلاحقها في كلِّ عملٍ من أعمالها، وعندما تشعر بخوفٍ واضح من أنّها اتّسخت تغمرها عندئذٍ نوبة من الجنون والكرب فتغسل مرات لا نهاية لها من دون أن تستطيع رفع رأسها من الطشت ومن دون أن تشعر بالاطمئنان والهدوء...)[2].

يوجد شخص لديه شك أو وسواس في جانب آخر، يحصل لـديه شـك في قفـل الباب، يقـول: عـدة مـرات أذهـب إلى البـاب لأتأكّد منه هل قمت بقفله أم لا!.

وينقل لنا باحث آخر في علم النفس ما يلي: (أنا فتاة متعلّمة، ومـن أسـرة غنيّة، وقد غـرس فـيّ والدي مـنذ نعومة أظفاري حـب الحرية وفكرة الواجب ومعنى المسؤولية، فنشأت عزيزة النفس أبية الخلق

(١) وهـذه الظاهرة موجودة عند بعض المتديّنين مع شديد الأسف فيكلّف أهله أو أخوته، أو زوجته بجلب الماء، أو التطهير الزائـد، أو يتعامل مع أهله على أنّهم في حالة نجاسة فتراه يطهّر أواني البيت عندما يريد أن يستعملها!.

(٢) الإسلام والصحة النفسية: ١١٢.

مستقيمة صريحة، إلا أنّ عيبي أنّني كثيرة الوسواس بشكلٍ مرضيّ، فأنا أتصوّر في كلّ لحظة أنني سأموت، وأنَّ صديقاتي يغرن منِّي وأنّ هلاك العالم قريب، إلى ما هناك من وساوس إنّني أعيش وسط كابوس من هذه الرؤى؟»[1].

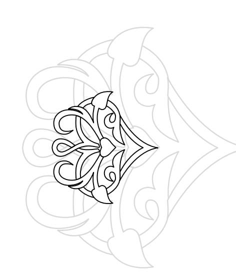
وبعض الناس تراوده أفكار عدوانية تُجاه الآخرين، فمثلاً يرى في نفسه رغبة ملحّة في صفع كلّ شخص بدين، أو يرى الناس في الشارع عراة في خياله، أو تتملّكه فكرة السرقة من الصاغة فما أن يقع نظره على لمعان الذهب إلا ودار في خلده سرقته والهرب به بالرغم من أنّه لا يرغب في ذلك بتاتاً أو يقفز إلى ذهنه في كلِّ وجبة غذاء أنّه يأكل أحذية، أو يصيبه الوسواس في خيانة زوجته[2].

ففي كلِّ هذه الحالات المتقدّمة نرى أنّ الوسواس لا يقتصر على نوعٍ واحد، أو شكلٍ خاص عند مَنْ يعانون منه، بل يختلف باختلاف الأفراد، وثقافتهم، وطبيعتهم، ومزاجهم الخاص، وهكذا.

ولا يُخفى ما لهذه الأفكار والأعمال التسلّطية بسبب الوسواس من آثار سلبية في حياة الفرد وما تسبّب له من إحراج، ومشقّة ومتاعب، وإيلام، وخوف من تزلزل سلامته، وقد يؤدّي الكثير منها إلى مرض القلق، أو الكآبة، أو ردود فعل نفسيّة شديدة قد تؤثّر على سلامة الروابط مع أهله، وزملائه، خصوصاً المتدين الذي يعيش مع أسرة غير ملتزمة دينياً، أو أصدقاءه كذلك، أو مجتمع متدنٍ في ثقافته الدينية، فيواجه هذا الشخص الإحراج الشديد والحال هذه وإنْ كان هو السبب في ذلك؛ لأنّ هذه هي

(١) تحليل مئة حالة نفسية: ٢٩٧.

(٢) الإسلام والصحة النفسية.



نتيجة إطاعة الوسواس.

وعلاج هذه الوساوس هو الكيفية نفسها وحالة عدم الاستجابة في الأنواع الأخرى ما خلا القسم الثاني من الوسواس العقائدي (أي مَنْ لديه شكوك عقائدية فعلية)ولكن نقول عاجلاً في ملاحظة بعض الأمور، مثلاً الوسواس في النظافة والغسل، وعلاجه بملاحظة الحالة العامة لسائر الناس، يقول الدكتور لي باير: خلال الأعوام القليلة الماضية سألت عشرات المرضى وأُسرهم عن المواقف التي يعتقدون أنّهم يحتاجون فيها بالفعل إلى غسيل أيديهم، تتوزّع الأجوبة التي حصلت عليها منهم عادةً إلى أربعة مواقف.عليك أن تقرّر متى تغسل وفقاً لقواعد موضوعية فقط وليس بناءً على شعور مبهم بالقذارة.

قواعد الغسيل

١ـ لا بأس من الغسل بعد الخروج من المرحاض.

٢ـ لا بأس من الغسيل قبل تناول الطعام.

٣ـ لا بأس من الغسيل عند رؤية شيء قذر على جسمك.

٤ـ لا بأس بالغسيل بعد لمس شيء سام.

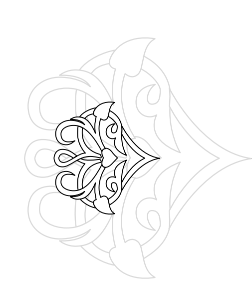
إذا كانت مشكلتك الاستحمام المفرط يجب أن تبدأ بسؤال ثلاثة من الناس تعرفهم جيداً عن المدّة التي يستغرقها استحمامهم ومن ثَمَّ اجعل معدّل أجوبتهم هدفك طويل الأمد[1].

(١) الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي، الدكتور لي باير، ترجمة محمد عيد خلودي، الهيئة العامة السورية للكتاب ـ دمشق، ٢٠١٠م: ١٨٣.

كذلك في تصرّفات التدقيق القهرية، مثل التدقيق في الباب والنوافذ في المنزل، أو غير ذلك من قضايا التدقيق في حياتك، اسأل بعض الناس كيف يتعاملون مع ذلك واعمل كما يتعاملون مع الأشياء بشكلٍ طبيعيّ غير إفراطي.

كذلك في قضايا التكرار والعدّ القهري في الأشياء التي يكرّرونها دوماً، عليك أن تسأل شخصين أو ثلاثة عن الوضع الطبيعي لهم، وتجعله هدفاً طويل الأمد.





عــلاج الوسـواس

بعـد أن عرفنـا ممّا تقـدّم أنّ الوسواس من الأمراض الروحية، والنفسـية فـلا بدّ له مـن عـلاج ليتخلّص منه المرضى، وسوف نعرض إن شاء الله سبحانه وتعالى للعـلاج مـا أمكننـا الله عزّ وجلّ، وعادة ما يكون العلاج على قسمين، هما العلاج السلوكي وهو أحد أشكال العلاج النفسي الذي يستخدم مبادئ التعلّم لمساعدة المرضى في تغيير بعض مشاكلهم الخاصة[1] ولا شكّ أن أحد أنواع العلاج السلوكي هو الإرشادات الدينية التي ركّزنا عليها في هذا الكتاب والقسم الآخر من العلاج هو العلاج الدوائي وهو إعطاء العقاقير الطبية من أجل التخلّص من الوسواس، يتكفّل به الطبّ النفسي.

ولكن قـبل الخـوض فـي تفاصيل العـلاج لا بـأس بالتعـرّض لبعـض الأمور، يمكن أن يصدق عليها علاجاً؛ لما فيها من ردع؛ لبيان جملة من مساوئ الوسواس، فمـن يلتفت إليها جـدير بـه أن يُقلع البتـة عـن الوسـواس، وبالتالي أصبحت (أي الأمور التـالية) مـن أصناف العلاج، وهـذا ما نبتغيـه من هـذا البحث إن شـاء الله تعالى، وهي:

---

(١) الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي، الدكتور لي باير، ترجمة محمد عيد خلودي، الهيئة العامة السورية للكتاب ـ دمشق، ٢٠١٠ م: ٦٢.



كالسائر من غير هدى

١. العمل من دون علم، كثير من هؤلاء يعملون، ويتصرّفون من دون أن يستندوا إلى العلم في أعمالهم، بل يتصرّفون حسب قناعاتهم الشخصية، وهؤلاء كما ذكرنا فيما تقدّم على قسمَيْن، أمّا متفقّه في الدين فيعرف بعض الأحكام الشرعية، ولكن مع ذلك تجده يخالفها ويحاول أن يبرر فعله بحسب ما يملي عليه الشيطان (الوسواس)، مثلاً يصب خمسة أباريق على رجله لأنّه قد أصابتها قطرة بول، وهذا الفعل مهما تكن له من مبررات، فيه إسراف في الماء وهو مرفوض شرعاً حتى وإن كان الماء متوفّراً كما ورد ذلك عن أهل البيت عليهم السلام لأنّه خارج عن الحدِّ المألوف والمتعارف، وكلّ شيء يخرج عن حدّه المتعارف يؤدّي إلى نتيجة سلبية، يقول الشيخ العارف آية الله محمد تقي بهجت قدس سره: كلّ شيء يخرج عن حدِّ الوسط والاعتدال نحو الإفراط أو التفريط فإنّ نتيجته ستكون عكس المطلوب (كلّ شيء جاوز حدّه انقلب ضدّه)[(١)]، وعلى هذا الأساس، فالاعتدال في الغضب والشهوة، والنوم والأكل، وكلّ عمل آخر يكون نافعاً ويكون محبّباً، وكلا طرفَيْه من الزيادة والنقيصة تكون مضرّة مهلكة، اللّهم إلا الأمر الذي لا حدّ له[(٢)].

---

(١) لا يخفى أن هذه القاعدة مستفادة من العقل والشرع، وهي من القواعد الفلسفية أيضاً، ولكن مضمونها قد يختلف مع فحوى ما ذكرناه في المتن، وما أشار إليه المرحوم الشيخ بهجت قدس سره.

(٢) في مدرسة الشيخ بهجت: ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ والمقصود بالشيء الذي لا حدّ له هو ذكر الله، كما ورد ذلك في الروايات منها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **(ما من شيء إلا وله حدّ ينتهي إليه إلا ذكر الله فليس له حد ينتهي إليه ...الخ)** وسائل الشيعة: ٧/ ١٥٤.

إذن هذا التصرّف من دون علم ـ ومعنى ذلك أنّ الشرع لـم يأمر بذلك ـ وبعض هـؤلاء المساكـين المتظاهريـن بالالتـزام والتديّن كما نقل عن أحدهم يقوم بتطهير بعض أواني بيته؛ لأنَّ أهله قاموا باستخدامها، فهذا الشخص بالتأكيد جاهل ولا عـلم له بقاعـدة الطهارة الفقهية ـ التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام ـ القائلة: **(كلّ شيء نظيف حتى تعلم أنّه قذر)**[1] وكلُّ إنسان يعمل من دون علم فهو يخالف مبادئ الشريعة الإسلامية، قال تعالى: **﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**[الروم: ٢٩]، فإنّ شريعتنا تؤكّد دوماً على العلم فضلاً ومكانة، قال تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[الزمر: ٩] وحذَّر سبحانه من التصرّف، والعمل بلا علم فقال: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾**[الإسراء: ٣٦] أمّا كتب الحديث، فقد مُـلئت بالأحاديث، والروايات التي تحذّر من العمل من دون علم وللاستفادة نذكر روايتين في هذا المجال، ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عـن طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عـبد الله عليه السلام يقول: «**العامـل على غيـر بصيرة كالسائر على غير الطريق، ولا يزيده سرعة السير من الطريق إلا بعداً**»[2] وإذا طبّقنا هذا الحديث على أهل الوسواس فـلا شكّ يصدق عليهم؛ لأنّهم يبتعدون كثيراً عن مراد الشارع المقدّس وأيضاً ما بسنده عـن أبي حمزة الثمالي، عـن علي بن الحسين عليه السلام قال: «**لا حسـب لـقرشيّ ولا لعربيّ إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى، ولا عمل إلا بنية، ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله عزّ وجلّ مَنْ يقتدي بسُنّة**

(١) القواعد الأصولية والفقهية: ٣/ ٣٠٥.

(٢) بحار الأنوار، مؤسّسة الأعلمي بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م: ١/ ١٦٨، ب٥ العمل بغير علم ح١الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت، ١٤٣٠هـ: ١/ ب١٢، من عمل بغير علم ح١.



إمام ولا يقتـدي بأعماله»[1]

وما يهمّنا مـن الحديث هـذه الفقـرة «**ألا وإن أبغض الـناس مَنْ يقـتدي بسُنّة إمام ولا يقـتدي بأعماله**» يعني أنّ هذا الشـخص يـديـن بولائـه وعقيدته لهذا الإمام ولكن لا يعمل بما يريده إمامه، وهذا الحديث أيضاً يـنطبق على الوسواسي؛ لأنّ أئمّتنـا عليهم السلام قد نهوا عـن اتّباع أيّ شكلٍ من أشكال الوسواس، حتى تصل النوبة إلى مـراجع الـدين (أعلى الله شأنهم) فقد أفتى جميع الفقهاء ـ كما سيتبيّن لاحقاً ـ بحرمة الاعتناء بالوسواس.

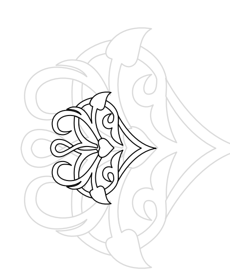
إذن العلم أداة قويّة لدفع مكائد الشيطان ووساوسه الخبيثة وقد يقول الوسواسيّ ما العلم الذي أمتلكه لأدفع به مكائد الشيطان حتى يكون هذا الحديث حجّة عليّ أمام الله سبحانه؟ والجواب باختصار أنّ العلم الذي تمتلكه، هو ما جاء في القرآن الكريم، والسنّة النبويّـة الشريفة، وفتاوى الفقهاء بعدم اتباع الوسواس وعليك أن تتصرّف كما يتصرّف سائر الناس المتشرّعة (المتديّنين).

فعلى الإنسان الذي يقع في هذه الوساوس وهو يتصوّر أنّها ليست وساوس ويريد أن يعتني بها مخافة الوقوع في المحذور الشرعي عليه أن يعرضها على الميزان الذي يذكره أهل المعرفة وهو «إذا أردت أن تعرف خاطر الخير من خاطر الشرّ والفرق بينهما ففي ذلك موازين أربعة: الأول: أن تعرضه على ميزان الشرع فإن وافق الشرع كان خيراً وإن خالف الشرع كان شراً أو كان فيه رخصة أو شبهة...)[2].

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم: ١/ باب الواحد، ح٦٢.

(٢) موسوعة العرفان الإسلامي، آية الله الشيخ حسين أنصاريان، ترجمة كمال السيّد، مؤسسة أنصاريان، قم، ط ١، ١٤٣٤هـ: ٥ / ٢٧٣.



مخالفة صريحة للشرع والعقل

٢ـ الوقوع في مخالفة شرعية، كما ذكرنا آنفاً، فـإنّ الشرع يأمـره بعـدم الاعتناء بالوسواس، إلا أنّه مـع ذلـك يخالف ما أمَره الشرع به ويتّبع وساوسه مـن حيث يشـعر أو لا يشـعر! وفي هـذا التصرّف، والحال هذه بادرة خطيـرة في الواقـع، انظــرْ ما يقوله الباري في هذه الآية المباركة: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[القصص: ٥٠] فيا عزيزي المبتلى تأمّل الآية جيداً، وانظرْ إلى حالك المقيت هـذا مــن جانب مخالفة الأوامر، ومن جانب آخر وهو الوقوع في حالة العسر والحرج التي لم يُرِدْها الله سبحانه لعبده أياً كان.

أمّا الشخص المصاب بالوسواس (العقائدي) فهو يقع في مخالفتين، الأولى مخالفة العقل، والأخرى مخالفة الشرع المقدّس؛ لأنّ العقل هو الذي يكتسب الاعتقاد الصحيح الذي لا يشوبه الشكّ، بل لا بدّ أن يكون مع القطع واليقين وهما يأتيان من العقل وسكون النفس.

أمّا الوسواسي لا يحصل لديه اليقين؛ لأنّه لا يستخدم عقله في الواقع! وأنّ المسائل العقائدية لا بدّ فيها من القطع، واليقين؛ لأنّه لا يمكـن أن يكون الإنسان معتقداً بشيء شاكاً فيه، فعلى هذا الإنسان أن يحصل على اليقين في معتقده حتى يكـون له حُجّة أمام الله سـبحانه، قـال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**﴾[الأنعام: ١٥٨] أليس إذا أصاب الإنسان المرض يسارع إلى الطبيب من أجل العلاج حتى يتخلّص من المرض،

وإذا كان المرض أكثر خطورة تراه يسافر حتى خارج بلده؟ فما بال الدين لا نهتم به وهو الذي يحقّق لنا السعادة الأبدية!؟ بل على المصاب بالشكّ والوسواس في أمور العقيدة أن يبحث ويتحرّى من أجل الوصول لليقين في معتقده، ولو كلّف ذلك العناء والتعب أو السفر حتى يحصل على اليقين في عقيدته وهذا ما عرف في التاريخ حتى المعاصر أنّ بعض الناس كانوا يتحرّون الحقيقة ووصلوا إلى إصابة الحقّ من خلال الدراسة ومتابعة الدليل والبرهان العلمي.

الغرور وسوء الظنّ مفسدتان كبيرتان

٣ـ بعض المصابين بالوسواس يحصل لديه سوء ظنّ بالآخرين، حيث يرى نفسه هو الوحيد من بين عامّة الناس ملتزم بالأحكام الشرعية، أمّا الآخرون فهم متهاونون بالأحكام، في حين أنّ الشرع الشريف هو الذي أجاز للناس عدم المبالاة بأيِّ شيء من الشكوك ما لم تكن عند الإنسان أمارة ودليل واضح، وهذا ما ورد في كثير من الروايات الصحيحة، والموثّقة، منها، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «**الماء كلّه طاهر حتى يعلم أنّه قذر**»[1] وفي حديث آخر عن الإمام علي عليه السلام قال: «**ما أبالي أبول أصابني أو ماء، إذا لم أعلم**»[2] وغيرها من الأحاديث.

انظر ما يقوله السيّد الخميني قدس سره عن هذه الحالة: وممّا يُضحك الثكلى أنّ بعض هؤلاء الأشخاص المُبْتَلين بالوسواس يرون أعمال جميع

(١) وسائل الشيعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت: ٣/ ٤٦٧، ب٣٧، من أبواب النجاسات، ح٥.
(٢) المصدر السابق: ح٥.

الناس باطلة ويحسبون أنّهم لا يبالون بدينهم مع أنّ هذا الوسواسي نفسه إن كان مقلّداً فمرجع تقليده أيضاً واحـد مـن المعروفين، وإن كان هو من أهل الفضل فليرجع إلى الأخبار ويرى أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأئمّـة الـهدى عليهم السلام أيضاً كانـوا في هذه الأمور كما تعارف الناس[1].

ولكن مـع ذلك لو حاججناه بهذا الكلام، يقول إنّ العلماء خارج قـوس فنحن لا نصل إليـهم ولا نبلغ مرتبتهم! وعندما يُقال له: طلبة العلم أقلّ شأناً من العلماء فلماذا لا تقتدي بهم وتفعل كما يفعلون؟ يجيب أنّهم يعملون بحسب الظاهر! أمّا بقية الناس فلا يراعون الأحكام، أو يجهلونها في الغالب!وهذا في الواقع أمرٌ عجيب كيـف يفـكر هـؤلاء؟! وهـل هـذا هـو العـقل الإسلامي الذي يراهن عليه المفكّرون من أنّ الفكر الإسلامي لا نظير له ولا نـدّ له في الجانبَيْن النظـري والعمـلي، هـؤلاء بأيّ عقلية يفكّرون؟!قال تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**﴾[محمد: ١٤] فهذا الكلام أيضاً ناتج عن إيحاءات الشيطان.

من عمل الشيطان

٤ـ الـوقـوع في الإسراف، فبـعض الوسواسيين يقـعون في محذور الإسراف مـن حيـث يشعرون أو لا يشعرون، كالإسراف في الماء، فمـن عندهـم وسواس في الطهارة الشرعية أو في التنظيف مـن القذارات، نجدهـم ينفـقون ويهدرون مئات الليترات من الماء وهـذا الفعل مذموم شرعاً وعقلاًفقد نهت الكثير من الروايات،

(١) الآداب المعنوية للصلاة، للسيد الخميني: ص٢٩١.

وفتاوى الفقهاء عن الإسراف بمعناه الواسع، ولكن يمكن أن يصدق على هذا المورد، وإليك نموذجاً من بعض الاستفتاءات التي أجاب عنها مراجع الدين، وهي كالآتي:

*** سماحة آية الله السيّد علي الخامنئي** دام ظله

س٣٨٤: يقال استعمال الطاقة الكهربائية للإضاءة وإن كان أكثر من قدر الحاجة لا يُعتبر إسرافاً، فهل هذا القول صحيح؟

ج: لا شكّ في أنّ استعمال وصرف أيّ شيء أكثر من مقدار الحاجة، حتى الطاقة الكهربائية وضوء المصباح، يُعدّ إسرافاً وليس بخير وما هو الصحيح؟ هو ما جاء عن رسول الله من قوله: «**لا سرف في خير**»[1].

*** سماحة آية الله السيّد علي السيستاني** دام ظله

السؤال ١٣٠٩: امرأة عندما تغتسل من الحيض تأخذ وقتاً كثيراً من المغرب إلى ما قبل الظهر في اليوم التالي وقد نصحناها كثيراً بأنّ هذا لا يجوز وأنّ هذا من عمل الشيطان وطلبنا منها شرح مشكلتها بالضبط وما هي الإشكالات التي تجعلها تأخذ هذا الوقت لكنّها لا تجيب حيث إنّها خجولة جداً، ما هي توجيهاتكم ونصائحكم لتخليصها من هذا الوسواس اللعين؟

الجواب: لا يجوز لها هذا النحو من الاغتسال لأنّه إسراف يوجب فوت الصلاة ويكفيها صبّ الماء المتعارف وإن لم يحصل لها العلم

(١) أجوبة الاستفتاءات، للسيد الخامنئي، الدار الإسلامية، ذات المجلد الواحد، ط ٦: ٢ / ٢٩٢.



بوصول الماء إلى كلّ مواضع الجسم فلا يجب عليها تحصيل العلم[1].

*** سماحة آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله**

السؤال١٤٤: إذا لم أُغلق الحنفية أثناء الوضوء، فهل يُحسب ذلك من الإسراف ويكون حراماً؟

الجواب: إنّه من الإسراف قطعاً، ولا يجوز[2].

هـذه نماذج مـن الاستفتاءات التي تصرّح بحرمة الإسراف في كلّ شيء زائـد عـن حدّه الطبيعي، سـواء كان في العبادات أم في القضايـا الأخرى، وهـناك روايات تنهى عـن الإسراف في الوضوء، وتنـدب إسـباغه، منها ما رواه الشـيخ الكليني رحمه الله، بسنده عـن أبي عبـد الله عليه السلام قال: «**إنّ لله ملكاً يكتب سرف الوضوء، كمـا يكتـب عـدوانه**»[3]يقول السيّد عبد الله شبر رحمه الله: يعني بالسرف صرف الماء أكثر ممّا ينبغي فيما حدّ الله، وبالعدوان التجاوز عما حدّ الله كغسل الرجلين مكان المسح[4].

أما إسباغ الوضوء فهـو مستحبّ، ومعناه الإتيان بالوضوء بصورة متقنة[5]، لا كما يفعـله أصحاب الوسواس، وقـد ورد في الخبـر عـن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مـن أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدّى زكاة ماله، وكـفّ غضبه، وسجـن لسـانه، واسـتغفر لذنبـه، وأدّى النصيحة لأهل بيت نبيّه، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنّة**

(١) استفتاءات السيّد السيستاني: ٣٣٤، نقلناه من المكتبة الشاملة الكمبيوترية، الإصدار الثاني.

(٢) الفتاوى الجديدة، للشيخ مكارم الشيرازي: ٣/ ٣٩.

(٣) وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت: ١ / ٤٨٥، ح٢.

(٤) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، السيّد عبد الله شبر، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ: ٢ / ٤٣١، الحديث ٢٤٩.

(٥) الفتاوى الواضحة، السيّد محمد باقر الصدر، تعليق السيّد كاظم الحائري: ١٩٨.

مفتحة له»[١].

وللعلامة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ توضيح أكثر لمعنى إسباغ الوضوء، قال: الإسباغ الإكمال باشتماله على الواجبات والمستحبّات[٢].

ويظهر من كلام للسيد محمد صادق الروحاني دَامَ ظِلُّهُ حينما يقول في إجابة إحدى السيّدات (...إراقة المياه الكثيرة التي لا تخلو عن شبهة الإسراف المحرّم...)[٣].

أمّا من كانت وساوسه في جانب آخر غير الوضوء، والتطهير، والتنظيف، مثلاً في الصلاة فيعيدها طوال اليوم كما سمعنا عن بعضهم، فهؤلاء يقعون في الإسراف المعنوي ـ لو صحّ التعبير ـ، وهو الإسراف في الوقت؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية تريد منا اغتنام الوقت بما ينفع العبد في حياته الدنيوية، والأخروية، فحثّت الإنسان على اغتنام الفرص، لا أن يبقى في بوتقة واحدة طوال يومه، أو حياته يعيد الوضوء، أو الصلاة، أو يكرّر تنظيف بدنه خوفاً من الأوساخ، وما شاكل ذلك فقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيهِ السَّلَامُ: «**خُذْ من نفسك لنفسك وتزوّد من يومك لغدك واغتنم عفو الزمان وانتهز فرصة الإمكان**»[٤].

وللإسراف معنى واسع كما قلنا ينطبق على كثير من الموارد، فعن الإمام الصادق عَلَيهِ السَّلَامُ أنّه قال: «**إنّ القصد أمر يحبّه الله عزّ وجلّ، وإنّ السرف أمر يبغضه الله عزّ وجلّ حتى طرحك النواة فإنّها تصلح لشيء وحتى صبّك**

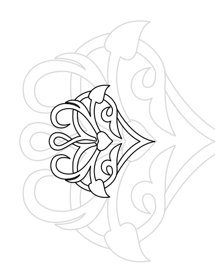
---

(١) وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عَلَيهِمُ السَّلَامُ لإحياء التراث، بيروت: ١ / ٤٨٧، ح٢.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي: ١٢، ٣٨٨.

(٣) سيأتي نص الاستفتاء وجوابه في باب الوسواس في استفتاءات الفقهاء.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٢.



فضل شرابك»[1].

وقد أشار السيّد عبد الحسين دستغيب قدس سره إلى سعة دائرة الإسراف، إذ يقول تحت عنوان الإسراف في العقائد والأعمال: ولكن حيث إنّ الإسراف في اللغة معناه تجاوز الحدّ فهو متصوّر إذن في الأمور الاعتقادية، وهكذا في تمام أعمال الناس..الإسراف في العقيدة هو أن يعتقد بنفسه أو بغيره ما لا صحّة له، وما لا يليق الاعتقاد به، مثل اعتقاد فرعون بربوبيّته حيث قال: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾[القصص: ٦] وأعدّه الله تعالى من المسرفين حيث قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾[يونس: ٨٣].

وأما الإسراف في الأعمال فهو أن يأتي بما لا ينبغي الإتيان به أو يترك ما ينبغي الإتيان به ...)[2].

تشويه الصورة

٥ـ تنفير الناس من الدين، أو من المتدينين؛ لأنّ بعض الناس يحمل فكرة سيّئة عن أهل الإيمان، والمتشرّعة؛ بسبب هؤلاء الوسواسيّين، فبعضهم يتصوّر أنّ كل إنسان متديّن يعمل بهذه الطريقة، فيحمل فكرة سيّئة عن المتديّنين لا أقلّ في نفسه، أو يُحدّث فيها الآخرين، قائلاً: بأنّ هؤلاء المتديّنين معقّدون وهذه تصرّفاتهم ولعلّ بعض الناس ينفر من الالتزام الشرعي بسبب هذه التصرّفات، فيقول: أنا لا أريد أن أكون كهؤلاء فهم

(١) وسائل الشيعة: ٢١ / ٥٥١، ح٢ .

(٢) الذنوب الكبيرة: ٢ / ١١٧ وفي هذا الكتاب بحث قيم في الإسراف جدير بالمطالعة.

معقّدون يقضون يومهم في الوضوء، والصلاة، فلا أحتمل ذلك، أو لا تعجبني هـذه التصرّفات، وهـذا الحال يُشكّل بادرة خطيرة، وغير محمودة شرعاً؛ لأنّ الواجب على المؤمنيـن هـو الدعـوة إلى الديـن بأيِّ طريقة وأسلوب ينفع في هـداية الناس من قـول، وفعـل، وسلوك، وتصرّف، وهـذا ما أَمَرنا به أهــل البيـت عليهم السلام، فقـد جـاء عـن الإمام الصادق عليه السلام: «**كونـوا دُعـاة إلى أنفسكم بغيـر ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً**»[1].

فالشخص المبتلى بالوسواس كيف يدعو الناس إلى الاقتداء بعمله؟ أو يدعو النـــاس إلى نفسه، وهو في هذا الحال الذي قلنا قبل قليل عنه بأنّ بعض الناس ينفرون منه، ومن أفعاله الناتجة من اتّباعه وساوس الشيطان.

فيا عزيزي المبتلى بهذه المشكلة عليك أن تتخلّص من الوسواس حتى لا تخسر هذا الوسام الرفيع (أي الدعوة إلى الدين الحقّ)، وعليـكَ أن تعمـل كسـائر المؤمنين، وأن تترك كلّ ما هـو زائد في نظر العُرف، والشّرع، إذن عليك أن تسعى بكلِّ جدّية وإخلاص مـن أجل الخلاص من هذا المأزق الخطير، فتوكّل على الله سبحانه وتعالى، وانفض غبار الفشل، والكسل، والخنوع، والتراجع، أمام الوساوس الشيطانية،

(١) وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٤٥، ح١٠وهذا ما اشتهر (**كونوا دعاة صامتين**)، معناه أن أهل البيت عليهم السلام يأمروننا بذلك، وقد ناقش الشهيد الصدر الثاني قدس سره هذه الرواية، ورواية أخرى بالمضمون نفسه في محاضرة له تحت عنـوان (لا تكونوا دعاة صامتين)، وخـلص بنتيجة أنّ الواجـب هـو الأمـر بالمعروف على كل المستويات ولكنـه ذكر عـدة نقـاط لفهم هذه الرواية منها: (الرابعة: إنّنا نحتفظ بهذه الجملة ـ **كونوا دعاة صامتين** ـ مقابل العامة والجمهور، فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس له مورد بل ولا أثر في الهداية، ولا ينفذ في الأعماق الإيمانية، والمثل القائل: لا أمر لمن لا يُطاع، فيبقى العمل الصالح بالأفعال الطيبة كما في الروايتين)راجع محاضرات في الأخلاق، للسيد محمد الصدر، تقرير الشيخ علي صادق، المحاضرة الرابعة عشرة، ص١٣٣ـ١٣٨.

التي يَصِفها الباري بالضعف، قال تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾[النساء: ٧٦].

سوء توفيق

٦ـ إنّ الذي يبقى على حاله ولا يتخلّص من الوسواس لا يوفّق في سيره التكاملي، فيبقى في الجمود، والضمور، والتراجع في كثير من الأحيان، وهذا يتنافى مع مبدأ الإسلام وتعاليمه الرفيعة، فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ اعتدل يوماه فهو مغبون، ومَنْ كان في غده شرّاً من يومه فهو مفتون، ومَنْ لم يتفقّد النقصان في نفسه دام نقصه، ومَنْ دام نقصه فالموت خير له**»[(١)] والعجيب أنّ الكثير من المصابين بالوسواس من أهل التديّن والصلاح، بل بعضهم من المتفقّهين وهذا هو الذي يبتغيه الشيطان في حربه على المؤمنين، فيسلك هو وجنوده كلّ السُّبل من أجل غوايتهم وأنقل لك على سبيل المثال كلاماً لأحد الأعلام ولكن في موضوع (الرياء): وحيث كان الشيطان مجدّاً في إغواء الناس، وصدّهم عن مشاريع الخير والطاعة، بصنوف الكيد والإغواء، لزم الحذر والتوقّي منه، فهو يسوّل للناس ترك الطاعة ونبذ العبادة، فإن عجز عن ذلك أغراهم بالرياء، وحبّبه إليهم، فإن أخفق في هذا وذاك، ألقى في خلدهم أنّهم مراؤون وأعمالهم مشوبة بالرياء، ليسوّل لهم نبذها وإهمالها فيجب والحال هذه طرده، وعدم الاكتراث بخدعه ووساوسه، إذ المخلص لا تضرّه هذه الخواطر والأوهام[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧٥/ ١٦٢، ب٢٣، ح٤٤ مصدر سابق.

(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام، السيّد مهدي الصدر، ضمن موسوعة أخلاق أهل البيت عليهم السلام، دار المرتضى، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٦م: ٩١.

فإذا كان المصاب بالوسواس من المتدينين، عليه أن ينشغل بأمور تقرّبه إلى الله عزّ وجلّ، كالعبادة، والدعاء، وتربية النفس روحيّاً بدلاً من انشغاله بما يمليه عليه الوسواس.

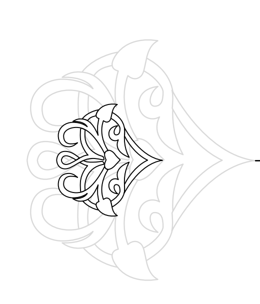
يقول السيّد حسن الأبطحي: لا شكّ أنّ مَنْ يتملّكه الوسواس في العبادات أو في أموره الأخرى لا يستطيع أن يخطو ولو خطوة صغيرة في طريق الكمالات الروحية والمعنوية، أو أن يكون على (الصراط المستقيم) ذلك لأنّه سيكون كالحافلة التي سقطت في الوادي وانحرفت عن (الصراط المستقيم).

فالوسواسي أشبه برجل ضعيف القوى هزيل البنية يجرّه آخر قويّ البنية عظيم الجثّة أينما يشاء وكيفما يريد، فالشخص الوسواسي ضعيف إلى حدٍّ يكون قد سُلب اختياره منه وأعطى زمام أمره بيد من لا يحبّ ولا يرغب وإنسان ضعيف كهذا، لا يستطيع أن يكون مواكباً في سيره وحركته سير وحركة السالكين إلى الله، بل سيكون كَلاًّ عليهم ومانعاً من نجاحهم وموفّقيتهم، فيجب على الأستاذ[١] أن لا يسمح لشخص كهذا أن يكون في رَكْب مَنْ يريد السير نحو الكمالات الروحية وتزكية النفس، ولا بدّ للأستاذ بادئ الأمر أن يعين تلميذه في التخلّص من هذا المرض العُضال[٢].

إذن الجدير بهذا الإنسان أن يتأمّل هذا الكلام جيداً وينظر حاله أين هو من هذا الكلام؟ خصوصاً إذا كان يدّعي أنّ ما يفعله بسبب الخوف من الله تعالى، واحتياطاً في الدين! كلا بل عليه أن يترك كلّ ذلك ويعمل في جانب الرقيّ بالنفس.

(١) يعني به أستاذ الأخلاق في السير والسلوك، بناءً على من يرى ضرورة وجود الأستاذ في طريق السير والسلوك.

(٢) سير إلى الله، السيّد حسن الأبطحي، دار المحجة البيضاء ـ بيروت: ٢٩١.



العـلاج القــرآنـي

إنّ القرآن الكريم هو العلاج والشفاء الروحي، بل والمادي، فهو الوقاية من كلِّ مرض، لو تمعّـن الإنسان بهذه الكلمـة ولمـا لهـا مـن معنى، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء: ٨٢] أمّا ما يخصّ بحثنـا فيكون على مستويَيْن في علاج الوسواس، الأول: نستطيع أن نسمّيه بـ (العلاج الردعي أو الوقائي) وهو جملة من الآيات التي حذّرت، ونهـت عـن اتباع هــذه الوساوس والاكتراث بها، أمّا المستوى الثاني من العلاج القرآني هو مجموعة من الآيات التي تنفع في إزالة الوسواس إن شاء الله تعالى لمن يلتزم بقراءتها.

وهما كما يلي:

الأول: ما حذّر منه القرآن ونهى عنه وهو اتّباع الهوى، ووساوس الشيطان: ولنذكر الآيات بالشكل التالي:

١ـ قال تعالى: ﴿**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾[الروم: ٢٩].

يصف القرآن الذين أشركوا بالله سبحانه بأنّهم ظالمون؛ لأنّهم اتّبعوا أهواءهم وشهواتهم فيما يعبدون وفيما يعارضون به الرسول والمؤمنين، وإنّ هـؤلاء الكفار لم يتفكّروا في أدلّة وجـود الله تعالى

ووحدانيّتـه ولو أنّهـم تدبّـروا وفـكّروا ولـم يستسلمـوا لأهوائهم وانتفعـوا بالآيات[1] فهـؤلاء المشركون اتّبعوا أهـواءهم ولـم يتّبعـوا ما جاء مـن الله الحكيـم مـن أدلّة وبراهين ساطعة فوصفهم القرآن بالظالمين؛ لأنّهـم كما يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: لم يبنوا شركهم على التعقّـل بل اتبعوا في ذلك أهـواءهـم بغير علم[2] ولـم يـكـن وصـف الظلم خاصاً بالشرك فقط، بل وصف القرآن بأن الذنب هو ظلم في أكثر من موضع ومن ذلك الغيبة، قال تعالى: ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**﴾[النساء: ١٤٨] فكذلك مَنْ يتّبع الوسواس يظلـم نفسـه؛ لذلك تجـدهـم يدعـون الله سبحانه ويتوسّـلـون بالأئمة عليهم السلام فلا يُستجاب لهم؛ لأنّ الحل بيدهم وهو اتباع الأدلة والبراهين التي يريدها الله لا ما يريده الوسواس.

٢ـ وبَّخ الله تعالى الذين يتّبعون الشيطان ووساوسه، كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[يس: ٦٠] وقد يستغرب البعض ممّن أُصيبوا بالوسواس ما علاقتنا بهذه الآية لأنّنا لا نعبد الشيطان، وإنّما نعبد الباري عزّ وجلّ، والجواب ما ذكره المفسّرون، من أنّ المراد بعبـادة الشـيطان طاعـته فيما يوسـوس ويأمـر به[3] يقـول صاحـب التفسير الأمثل: والجدير بالملاحظة أيضاً أنّ (العبادة) الواردة الإشارة إليها في جملة (لا تعبدوا الشيطان) بمعنى (الطاعة)؛ لأنّ العبادة لا تنحصر بمعنى الركوع والسجود فقط، بل إنّ من مصاديقها الطاعة كما ورد في الآية (٤٧) من سورة المؤمنون: ﴿**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا**

(١) التفسير المقارن، العلامة الشيخ محمد باقر الناصري: ٦ / ٢٤٦.
(٢) الميزان، العلامة الطباطبائي، مؤسسة دار المجتبى، إيران ـ قم، ط ١: ٢١ / ١٨٢.
(٣) المصدر السابق: ١٧/ ١٠٢.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ويذهب إلى هذا الرأي حتى الفقهاء: ومن المعلوم أنّ المراد مـن العبادة ليس هـو المعنى الاصطلاحي كأن يسجد له مثلاً، لأنّه ليس متداولاً، بل المراد هو متابعته والعمل بما يريده، ويؤيّد هـذا ما ورد فـي تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾[التوبة: ٣٢] إنّ اتّخاذهم لم يكن بالسجود والركوع وإنّما كان باتّباعهم[١].

٣ـ قوله تعالى: ﴿لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[النور: ٢١].

إنّ من سياسة الشيطان العمل على إغواء الناس بأسلوب مميّز وهو اتّباع طريق العمل المرحلي الذي يعبّر عـنه القرآن الكريم بـ(الخطوات)يقول صاحب كتاب (خطوات الشيطان): «الشيطان لا يدلّ الإنسان على الشرّ دفعة واحدة، بل على دفعات في خطوات خفيّة لا يشعر الإنسان بها، ولهذا عندما نقول لإنسان ما عمل عملاً سيئاً بأنَّ الشيطان قد وسوس إليه وزيّن له ارتكاب هذا العمل السيّئ، يستغرب ويتساءل أين الشيطان؟.فالإنسان لا يشعـر بـوجود الشيطان...، فالشيطان كي يصل إلى هـدفه النهائي، يظـلّ يوسـوس ويوسوس ولا ييأس ولا يعجز ولا يكلّ ولا يملّ؛ لأنّه قـد أخلص لمهمّته فيستمرّ عليها حتى تتحقّق خطوة مـن هـذه الخطوات، ثم يترك الإنسان عليها زماناً ليعوِّده على هذه الخطوة، فإذا وجده قد اعتادها وأصبحت شيئاً مستساغـاً مستطابـاً عـاديـاً، وتبلّـد شعوره تجاههـا يبدأ في الوسوسة لتنفيذ الخطوة التالية»[٢] لذلك قد نهى القرآن عن اتباع خطوات الشيطان، ومنها الوساوس

(١) كتاب الطهارة، بحوث آية الله العظمى السيّد محمد الشاهرودي، باقري ـ قم، ط ١: ٣ / ١٦١.

(٢) خطوات الشيطان: ٨١ـــ ٨٢.

في الموارد التي ذكرناها مراراً، يقول العلامة الطباطبائي: «ومن هنا ظهر أنّ المراد من اتباع خطوات الشيطان ليس اتباعه في جميع ما يدعو إليه من الباطل بل اتباعه فيما يدعو إليه من أمر الدين بأن يزيّن شيئاً من طرق الباطل بزينة الحقّ ويُسمّي ما ليس من الدين باسم الدين فيأخذ به الإنسان من غير علم»[1] إذن أيّها العزيز عليك أن تنجو من هذه المشكلة بكلّ إصرار وعزيمة حتى لا يَصْدُقَ عليك ممّن يتبع خطوات الشيطان؛ لأنّ في ذلك خسران الدنيا والآخرة، يقول العلامة النراقي رحمه الله: «الوساوس إن كانت بواعث الشرور والمعاصي، فالعلاج في دفعها أن يتذكّر سوء عاقبة العصيان ووخامة خاتمته في الدنيا والآخرة ويتذكّر عظيم حقّ الله وجسيم ثوابه وعقابه، ويتذكّر أنّ الصبر ممّا تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على نار لو قذف شرارة منها إلى الأرض أحرقت نبتها وجمادها، فإذا تذكّر هذه الأمور وعرف حقيقتها بنور المعرفة والإيمان، حبس عنه الشيطان وقطع عنه وساوسه، إذ لا يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقّة، إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك ويخيبه، بحيث يرجع هارباً خائباً، فإنّ التهاب نيران البراهين بمنزلة رجوم الشياطين فإذا قوبلت بها وساوسهم فرّت فرار الحُمُر من الأسد»[2].

الثاني: والقسم الثاني من العلاج القرآني: وهو عبارة عن قراءة بعض الآيات التي تنفع في طرد الوساوس الشيطانية إن شاء الله تعالى، ولكن بعد التوكّل على الله عزّ وجل، والإيمان القلبيّ بها، وإلا مع عدم الاعتقاد

(١) الميزان: ٢/ ١٠٣.

(٢) جامع السعادات، العلامة النراقي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة ٢٠٠٢ م: ١/ ١٨٦.

لا يؤثر العلاج لا سيّما وهو علاج روحي، وسنذكر الآيات بصورة عفوية (أي ليست على شكل تسلسل رتبي)، وليس شرطاً أن تُقرأ جميعها فيمكن أن تُقـرأ سـورة واحـدة، أو آية واحدة فتنفع في العلاج بإذن الله تعالى، وهي كما يلي:

١ـ سورة (يس)، روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**من قـرأ سورة (يس) في عـمره مـرة واحـدة كتب الله له بكلّ خـلق في الدنيا وكلّ خـلق في الآخرة وفي السـماء بكلّ واحـد ألفي ألف حـسنة، ومحا عنـه مثل ذلك، ولم يُصِبْه فقـر ولا غرم ولا هدم ولا نصب ولا جنون ولا جذام ولا وسواس ولا داء يضرّه..**»[١]

٢ـ روى الشـيخ الكليني بسنده عـن الأصبغ بن نباتة، عـن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**والـذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ وأكرم أهل بيته، ما من شيء تطلبونه من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها، أو ضالة أو آبـق، إلا وهـو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسألني عنه**» ـ فأخـذ الجلوس كلّ يسأل حاجته ويجيبه الإمام وتتحقّق له إلى أن قال الراوي ـ ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ بات في أرض قفـر فقـرأ هـذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ـ إلى قوله ـ **تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[الأعراف: ٥٤]، **حرسـته الملائـكة وتباعدت عـنه الشـياطين**»، قال فمضى الرجـل فإذا هـو بقرية خراب فبات فيها ولم يقـرأ هـذه الآية فتغشاه الشيطان وإذا هـو أخـذ بخطمه فقـال له صاحبه أنظره، واستيقظ الرجل فقـرأ

---

(١) وسائل الشيعة: ٦ / ٢٤٨ ح٢ مصدر سابق.

الآية فقال الشيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك احرسه الآن حتى يصبح فلما أصبح رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس فإذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض[1].

ويعبّر العرفاء عن هذه الآية بآية السخرة، يقول العلامة العارف آية الله الشيخ حسن زادة آملي: وكانت معروفة بهذا الاسم على ألسنة خواص الصحابة بل وغير الخواص منهم، وتلاوتها سبعين مرة توجب للنفوس متعة صفاء القلب وطمأنينة النفس ونفي الخواطر والشكوك والوساوس وذهب لهذا المعنى شراح الحديث كالمولى صالح المازندراني، والعلامة المجلسي، قال المجلسي: «آية السخرة هي التي في سورة الأعراف ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ**﴾ إلى قوله ﴿**رَبُّ الْعالَمِينَ**﴾ وقيل: إلى قوله ﴿**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، كما ذكره الشيخ البهائي رحمه الله.

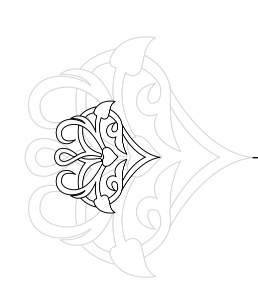
أقول: آية السخرة هي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ**﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وقد نصّ على ذلك إضافة إلى الشيخ البهائي المرحوم السبزواري في كتاب جامع الدعوات[2].

إذن عزيزي المبتلى عليك بالالتزام بهذا العلاج القرآني ليوفّقك الله سبحانه لأنّك قد استشفيت بكتابه الكريم، وإن لم تلتزم بذلك نخشى أن يكون جوابك لا سمح الله، ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا**﴾[السجدة: ٢٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت، ١٤٣٠هـ: ٢ / ٥٨٨، ب فضل القرآن، ح٢١.

(٢) انظر رسالة نور على نور، الشيخ حسن زادة آملي، مكتبة فاران ـ بغداد، مطبوع في بيروت، ط ١، ١٤٣٤هـ: ١٩٠ـ ١٩٢.



العلاج في الروايات الإسلامية

سوف نسلك الأسلوب الذي اتّخذناه في العلاج القرآني، فنذكر أولاً الروايات والأحاديث التي تذمّ الوسواس وتحذّر منه حيث وصفته الروايات بأنّه من أعمال الشيطان وأفعاله، وهي العلاج الناجع على ما أعتقده؛ لأنّها تُعتبر رادعاً للمؤمن عن اتّباع الوساوس، وثانياً نذكر بعض الروايات والأحاديث التي فيها الأوراد والأدعية التي تطرد الوساوس الشيطانية عند المداومة عليها إن شاء الله تعالى، وهي كما يلي:

أولاً: الروايات الناهية عن اتّباع الوسواس

أ ـ صحيحة عبد الله بن سنان قال ذكرت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة، وقلت هو رجل عاقل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان؟**» فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: «**سَلْه، هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو؟ فإنّه يقول لك: من عمل الشيطان**»[1].

هل يقبل أحد منّا أن يصفه شخص عادي بسيط بعديم العقل؟ كيف وهذا الشخص الذي يصف الوسواسي بذلك هو الإمام الصادق عليه السلام عندما يقول: **وأيّ عقل له؟** وهذا لأمر صعب للغاية، فما هي الفائدة من

(١) وسائل الشيعة: ١ / ٦٣، ب١٠، ح ١.

الطاعة والعبادة عندما تكون فارغة من المحتوى؟ لأنّ الإمام المعصوم المفترض الطاعة يرفض هذا الشكل من التصرّف لأنّه طاعة للشيطان لا للرحمن عزّ وجلّ.

ب ـ صحيحة زرارة وأبي بصير جميعاً قالا: قلنا له: الرجل يشكّ كثيراً في صلاته حتى لا يدري كم صلّى ولا ما بقي عليه؟ قال: **يعيد،** قلنا فإنّه يكثر عليه ذلك كلّما أعاد شكّ؟ قال: **يمضي في شكّه،** ثم قال: **لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة فتطمعوه، فإنّ الشيطان خبيث معتاد لما عُوّد، فليمضِ أحدكم في الوهم ولا يكثرن نقض الصلاة، فإنّه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك،** قال زرارة: ثم قال: **إنّما يريد أن يطاع، فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم**[1].

ولنا عدّة تأمّلات وملاحظات في هذه الرواية المباركة ما سمح لنا فكرنا وإدراكنا القاصر وهي كما يلي:

١ـ الرواية معتبرة شرعاً لأنّها صحيحة السند وقد أوردها الأعاظم من الفقهاء في المصادر الحديثية وكتب الفقه الإسلامي، إذن هذه الرواية حُجّة شرعية على الوسواسي، وله لو عمل بها.

٢ ـ الظاهر أنّ هذا الشخص وسواسي، وكثير الشك كما هو واضح من قول السائل: (لا يدري كم صلّى ولا ما بقي عليه)ولذلك أوردها الفقهاء في مسألة الوسواس عند الاستدلال.

٣ـ قول الإمام عليه السلام: «**يمضي في شكّه**» وهذا أمر منه عليه السلام، فعندئذ لا تجوز مخالفته بأيِّ حال؛ لأنّ أمر المعصوم عليه السلام لا يمكن

(١) المصدر السابق: ٨/ ٢٢٨، ب ١٦، ح ٢.

مخالفته إذا صحّ سند الخبر ـ وهو صحيح كما تقدم ـ وكذا إذا لم يحمل على الاستحباب، وقد حمله الفقهاء على الوجوب كما هو واضح من تعبيراتهم، فعندئذ لا سبيل لاتّباع الوسواس والعمل بهذه الشكوك المرفوضة عند المعصوم عليه السلام، وإذا كنت مستعدّاً لمخالفة المعصوم لا سمح الله فما هو الداعي من الصلاة؟ أليس هو التقرّب إلى الله؟ ولكن بمخالفتك الإمام قد عصيت الله عزّ وجلّ، فلا يمكن أن يُطاع الله من حيث يعصى؛ لأنّ مخالفة أمر المعصوم معصية لله سبحانه كما لا يَخفى.

٤ ـ قوله عليه السلام: «**لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة فتطمعوه فإنّ الشيطان خبيث معتاد لما عود**» في هذه الفقرة نهيٌ عن تعويد الشيطان من التمكّن من أنفسنا من خلال ما يوسوسه؛ لأنّ الشيطان يطمع في هذه الحالة لأنّها في غاية الضعف وهو الذي يريده ويسعى إليه الشيطان، وهذه الحالة من الوهم والشكّ التي تنتاب الإنسان هي الضعف الكامن فيه لذلك قال عليه السلام: «**فليمضِ أحدكم في الوهم ولا يكثرن نقض الصلاة**»، ويعني بذلك إذا حصلت حالة الشك والوسوسة عند الإنسان فعليه أن يتغافل عنها ولا يعير لها أيّة اهتمام، ويعتبر صلاته صحيحة مع هذا الشك الذي يعيشه، وفي هذه الحال لو عمل بأمر الإمام سوف يُوفّق للخلاص من هذه الوساوس، وعليه أن يكون في حالة طمأنينة عند تطبيقه لهذه الرواية وليقل في نفسه إنّما أفعل ما أراده منّي الإمام المعصوم عليه السلام.

٥ ـ قوله عليه السلام: «**فإنّه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشك، إنّما**

يريـد الخبيث أن يُطاع، فإذا عُصِي لم يعـد إلى أحدكم»يريـد أن يقول لنا الإمام إذا فعلتم ما أمرتكم به سوف ييأس منكم الشيطان ويرجع خائباً، ولا يعود للإنسان بعد لأنّه لا جدوى من عودته.

ت ـ روى الشيخ الكليني بسـند صحيـح عـن محمد بن مسلـم عـن الإمام الباقـر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**إذا كثـر عليك السهـو فـامضِ في صلاتك، فإنّه يوشك أن يـدعك، إنّما هـو مـن الشـيطان**»[1] وقـد أورد هـذه الرواية غـيره مـن الأعاظم كالشيـخ الصدوق، والشيـخ الطوسي.

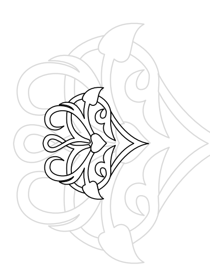
ث ـ ما رواه الشيخ الطوسي عن ابن أبي حمزة عن رجل صالح (الإمام الكاظـم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألته عن الرجل يشك فلا يدري واحدة صلى أم اثنتين أو ثـلاثـاً أو أربعـاً تلتبـس عـليه الصـلاة؟ قال: **كـلّ ذا؟** قال: قـلت: نعم، قال: **فليمضِ في صلاته وليتعوَّذ بالله مـن الشيطان الرجيم فإنّه يُوشك أن يذهب عنه**[2] وقد احتمل الشيخ الطوسي احتمالين في هذه الرواية، الثاني منهما: أن يكون المراد مَنْ يكثر سهـوه ولا يمكنه التحفّظ جاز له أن يمضي في صلاته؛ لأنّه إن أوجب عليه الإعادة وهو من شأنه السهو فلا ينفكّ من الصلاة على حال، فأمّا مَنْ كان شكّه أحياناً فإنّه تجب عـليه الإعادة[3] أما فقهاؤنا المعاصرون فقـد أوجبوا عـدم الاعتناء بكثرة الشك، يقول السيّد محسن الحكيم قُدِّسَ سِرُّهُ: (كثير الشك لا يعتني بشكّه)[4] وقد وافقه سائر

(١) الكافي، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت ٢٠٠٩ م: ٣ / ٣٤٩، ب ٢٠٩، ح ٨.

(٢) الاستبصار، الشيخ الطوسي، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت ٢٠٠٩ م: ١/ ٣٧٢، ب ٢١٧، ح ٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) منهاج الصالحين: ١ / ٣٢٠، مسألة ٣، فصل في كثير الشك، تعليق السيّد الشهيد محمد باقر الصدر قُدِّسَ سِرُّهُ. ط دار التعارف بيروت، ١٩٩٠ م.



الفقهاء f على ذلك.

ج ـ وروى الشيخ الطوسي بسنده، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا كثر عليك السهو فامضِ في صلاتك**»[1].

ح ـ روى الشيخ الصدوق بسنده، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا كثر عليك السهو فدعه فإنّه يوشك أن يدعك إنّما هو من الشيطان**»[2].

خ ـ روى معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الشيطان ينفخ في دبر الإنسان حتى يخيّل إليه أنّه قد خرج منه ريح، ولا ينقض الوضوء إلا ريح تسمعها، أو تجد ريحها**»[3].

ولعلّ هذه الحالة يبتلي بها الكثير من الناس ليس الوسواسي فحسب، وهي تُسمّى بـ (الفقاعة الشيطانية) وهي أن يُخيّل الشيطان للإنسان أنّه قد أحدث حتى يفسد عليه عبادته.

د ـ عن عبد الرحمان بن أبي عبد الله، أنّه قال للصادق عليه السلام: أجد الريح في بطني حتى أظنّ أنّها قد خرجت؟ فقال: «**ليس عليك وضوء حتى تسمع الصوت، أو تجد الريح**»، ثم قال: «**إن إبليس يجلس بين إليتي الرجل، فيحدث ليشكّكه**»[4] [5].

(١) تهذيب الأحكام، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت، ١٤٣٠هـ: ٢/ ٣٠٠، ب ١٦، ح ١١وقد قال العلامة الشيخ أحمد النراقي قدس سره: هذه الرواية صحيحة السند، راجع مستند الشيعة، ج٧، ص١٩٠ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.

(٢) من لا يحضره الفقيه دار التعارف ـ بيروت ٢٠٠٩م، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين: ١/ ٢٨٧، ب ٤٩، ح ٦.

(٣) وسائل الشيعة: ١ / ٢٤٦، ح ١.

(٤) م. ن: ١ / ٢٤٦، ح٥.

(٥) جاء في أنوار الوسائل (الطهارة)، لآية الله العظمى الشيخ محمد طاهر الخاقاني قدس سره: ٢ / ٦، الهامش ٣، تعليقاً على الحديث ما هذا نصه: التعبير منه عليه السلام بإليتي الرجل من قبيل المثال وهكذا المرأة وغير

ذ ـ روى صاحب مستدرك الوسائل عن عوالي اللآلي عن الشهيد الأول رَحِمَهُ اللهُ أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنّ الشيطان ليأتي أحدكم وهو في الصلاة فيقول: أحدثت أحدثت فلا ينصرفن أحدكم حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً**» ورواه عبد الله بن زيد وأبو هريرة ومروى عن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[1].

أوردنا هذه النصوص التي تنهى عن الاعتناء بالوسواس والشكوك الكثيرة لأنّها من الشيطان، وسنورد قسماً آخر من النصوص فيها إيضاح لجملة من الأحكام التي هي في معرض ابتلاء الكثير من الوسواسيّين بحسب ما رُوِيَ عن أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهي تصلح كعلاج؛ لأنّها تنفع في إرشاد الغافلين عن بعض المسائل التي سنعرض لها بعون الله وحسن توفيقه، ولينظر هذا المسكين كم ضيَّق على نفسه في أمر الدين، كما يصف ذلك الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سأله سليمان بن جعفر الجعفري، عن الرجل يأتي السوق فيشتري جبة فراء لا يدري أذكية[2] هي أم غير ذكية أيصلّي فيها؟ فقال: «**نعم ليس عليكم المسألة إن أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول إنّ الخوارج ضيَّقوا على أنفسهم بجهالتهم، إن الدين أوسع من ذلك**»[3] وهذا الحديث صحيح الإسناد[4] وسنذكر هذه الأحاديث كتتميم للأحاديث السابقة وهي في كثير من الأحيان تكون مورداً للشك لا سيّما عند الطبقة غير المتفقّهة في مسائل الشريعة، وهي كما يلي:

البالغ إذا توضأ مستحباًوأما حدث إبليس فيجوز أن يراد من العبادة ظاهرها، ويجوز أن يراد بأن يوقعه في الوسوسة ليشكّكه لا أنّ إبليس بنفسه يقع منه الحدث.

(١) مستدرك الوسائل: ١ / ١٥٥.

(٢) معنى ذكية: مأخوذة من التذكية وهي ذبح الحيوان على الطريقة الشرعية الصحيحةفهو لا يدري هل هذه الجبة مأخوذة من حيوان مذكى أم لا؟.

(٣) من لا يحضره الفقيه ط دار التعارف بيروت ٢٠٠٩م، تحقيق العلامة محمد جعفر شمس الدين: ١ / ب ٣٩، ح ٣٨.

(٤) التنقيح: ٢/ ٤٥٣.

ر ـ جاء في الوسائل ج١، ب١٥ في كيفية الوضوء وجملة من أحكامه، عن الرقاشي قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام كيف أتوضأ للصلاة؟ فقال: «**لا تعمّق في الوضوء، ولا تلطم وجهك بالماء لطماً، ولكن اغسله من أعلى وجهك إلى أسفله بالماء مسحاً، وكذلك فامسح الماء على ذراعيك، ورأسك، وقدميك**»[١]قال الحرّ العاملي رحمه الله: المسح هنا محمول أولاً على المجاز بمعنى الغسل، ثم على الحقيقة[٢]وقال السيّد الخوئي (قدس) في هذه الرواية: «قد نهت عن التعمق في الوضوء على ما هو دأب الوسواسيّين»[٣].

ز ـ صحيحة زرارة d قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: **ألا أحكي لكم وضوء رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلنا بلى، فدعا بقعب فيه شيء من ماء، فوضعه بين يديه، ثم حسر عن ذراعيه، ثم غمس فيه كفّه اليمنى، ثم قال: **هكذا، إذا كانت الكفّ طاهرة**، ثم غرف ملأها ماء، فوضعها على جبينه، ثم قال: **بسم الله**، وسدله على أطراف لحيته، ثم أمرّ يده على وجهه، وظاهر جبينه، مرّة واحدة، ثم غمس يده اليسرى، فغرف بها ملأها، ثم وضعه على مرفقه اليمنى، فأمرّ كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه، ومسح مقدّم رأسه، وظهر قدميه، ببلّة يساره، وبقية بلّة يمناه قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: **إنّ الله وترٌ يحبّ الوتر، فقد يجزيك من الوضوء ثلاث غرفات: واحدة للوجه، واثنتان للذراعين، وتمسح ببلّة يمناك ناصيتك، وما بقي من بلة يمينك ظهر قدمك اليمنى، وتمسح ببلة يسارك ظهر قدمك اليسرى**قال زرارة: قال أبو جعفر عليه السلام: **سأل رجل أمير**

(١) وسائل الشيعة: ١/ ٣٩٨، ح٢٢مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) التنقيح في شرح العروة الوثقى، أبحاث السيّد الخوئي، تقرير الشيخ علي الغروي: ٥/ ٥٢.

المؤمنين عليه السلام عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحكى له مثل ذلك[1] هذا هو الوضوء الواجب الذي كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، فعلى كلّ مَنْ يدين بشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، أن يقتدي به وبأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ومن يعمل خلاف ذلك من الوسواسيّين فهو لا شك يقع في محذور عظيم وهو مخالفة السنّة النبوية الشريفة التي يقتدي بها كلُّ المسلمين وفي مقدمتهم العترة الطاهرة عليهم السلام.

يقول السيّد الفقيه الأكبر بحر العلوم، في منظومته:

إنّ الوضوء غسلتان عندنا ومسحتان والكتاب معنا

فالغسلتان الوجه واليدان والمسحتان الرأس والرجلان[2]

س ـ روى الشيخ الكليني بإسناده، عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أبي كان يقول: **إنّ للوضوء حدّاً مَنْ تعدّاه لم يُؤجَر**؛ وكان أبي يقول: **إنّما يتلدّد**، فقال له رجل: وما حدّه؟ **قال: تغسل وجهك ويديك، وتمسح رأسك ورجليك**»[3].

لاحظ عزيزي القارئ هذه الرواية فهي تجعل حدّاً معيّناً للوضوء، ولا يحقّ للمؤمن أن يتعدّاه؛ إذ لو تعدّاه لا يُؤجَر، وفي الرواية تعبير آخر يدلّ على التحذير وهو (يتلدّد)، وقد وردت عدّة تفسيرات لهذه الكلمة، منها قول العلامة المجلسي (قدس) في مرآة العقول: قال في النهاية اللدد الخصومة الشديدة..ويحتمل أنه كان أبي يقول: إنّما يتلدّد في هذا الباب أي يلتفت كثيراً إلى مواضع الوضوء للوسواس.وقيل: المعنى مَنْ يتجاوز

(١) وسائل الشيعة: ١ / ب ١٥ كيفية الوضوء، ح٢.

(٢) الدرة النجفية المنظومة الفقهية، السيّد محمد مهدي بحر العلوم، قم، مكتبة المحلاتي، ١٤١٤هـ: ١٥.

(٣) الكافي: ٣ / ٢٧، ب١٤، ح ٣ مصدر سابق.

عـن حـدّ الوضوء يتكلّف مخاصمة الله في أحكامه، أو إنّما يفعل ذلك للوسواس والحيرة في الدين...، والحديث صحيح السند[1].

إذن حدود الله وأحكامه لا يوجد فيها تكلّف ومشقّة، أو عسر إنّما أراد الله سبحانه لنا أن نعيش الحياة بصورة متوازنة؛ ليعمل الإنسان لدنياه وآخرته فـلا يفرّط في أحد الجانبين على حساب الآخر، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً**﴾[الفرقان: ٦٧] أي صفة الاعتدال بيـن الجانبين والوسطية[2].

ش ـ ما أورده العلامة المجلسي رحمه الله في البحار، قـال: ما رواه الشيخ رحمه الله في الموثق عـن عـمار الساباطي، عـن أبي عبـد الله عليه السلام في الرجل يكثر عليه الوهـم في الصلاة، فيشكّ في الركوع فلا يـدري ركع أم لا؟ ويشكّ في السجود فـلا يـدري أَسَجد أم لا؟ فقـال: **لا يسجد ولا يركع، ويمضي في صلاته حتى يستيقن يقيناً**[3].

ص ـ روى الشيخ الطوسي بسنده، عـن عبد الله بن سنان قال: سأل أبي أبا عبـد الله عليه السلام وأنا حاضر: إني أعـير الذمّ[4] ثـوبي وأنـا أعلم أنّه يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير فيردّ علي، فأغسله قبل أن أصلّي فيه؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**صلِّ فيـه ولا تغسله من أجـل ذلك، فإنّك أعرته إياه وهو طاهر ولـم تستيقن أنّه نجسه، فلا بأس أن تصلّي فيه حتى تستيقن أنّه نجّسه**»[5].

(١) مرآة العقول، للعلامة المجلسي شركة الأعلمي ـ بيروت: ١١ / ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) راجع الأخلاق بين النظرية والتطبيق، للشيخ محمد محمد طاهر الخاقاني: ١ / ٣٠ ـ ٣١، و٧٢، ضمن موسوعته (من أسعة الإيمان، ج١١).

(٣) بحار الأنوار: ٨٥ / ١٦٨، ب٥ أحكام الشك والسهو، الفصل الرابع مصدر سابق.

(٤) الذمي: هو الكافر الذي دخل في معاهدة مع المسلمين تحت ظل الدولة الإسلامية مع دفعه ما يسمى بـ (الجزية).

(٥) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، تحقيق العلامة شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت: ٢ / ٣١٥، ب١٧، ح ٢٧.

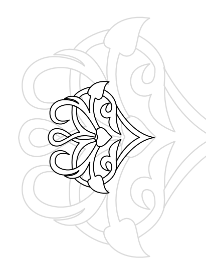
إذا تأمّلنا هذه الرواية الشريفة، نجد فيها سماحة الإسلام، والحلّ الأنسب لأولئك الوسواسيّين الذين يشكّون في كلّ ما حولهم إذا كان أحدهم يشكّ في أواني بيته أو لباسهم أو فرشهم أو أرضية المنزل، كيف لا يشك في الثوب الذي أعاره إلى كافر يجهل أحكام الإسلام كالطهارة؟ أقول: هل يقتنع الوسواسي بهذه الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام بحيث لا يقوم بتطهير ملابسه التي استعملها الكافر؟! وهل يقتنع في ما ورد عنهم عليهم السلام: «**ولا ينقض اليقين بالشك**»[1]؟!.

ض ـ عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: «**كلّ شيء هو لك حلال حتى تعلم أنّه حرام بعينه فتدعه من قبل نفسك، وذلك مثل الثوب يكون قد اشتريته وهو سرقة، أو المملوك عندك ولعلّه حر قد باع نفسه، أو خدع فبيع أو قهر، أو امرأة تحتك وهي أختك أو رضيعتك، والأشياء كلّها على هذا حتى يستبين لك غير ذلك، أو تقوم به البيّنة**»[2].

ط ـ عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**كلّ شيء يكون فيه حرام وحلال فهو لك حلال أبداً حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه**»[3].

ظ ـ عن الحسن بن الجهم قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أعترض السوق فأشتري خفّاً لا أدري أذكي هو أم لا؟ قال: **صلِّ فيه**، قلت: فالنعل، قال: **مثل ذلك**، قلت: إني أضيق من هذا، قال: **أترغب عما كان أبو**

(١) الاستبصار، للشيخ الطوسي تحقيق العلامة شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت: ١ / ٣٧٠، ب٢١٦، ح٣.
(٢) الكافي، مصدر سابق: ٥ / ٣١٩، ب١٩١، ح٤٠.
(٣) بحار الأنوار: ٢ / ٤١٧، ب٣٣، ح٥٨ تهذيب الأحكام: ٩ / ٧٤، ب٢، ح٧٢. مصدر سابق.



الحسن عليه السلام يفعله[١]؟!.

ع ـ عن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **كان أبي يبعث بالدراهم إلى السوق فيشتري بها جبناً فيسمّي ويأكل ولا يسأل عنه[٢].**

كان الهدف من سرد هذه الأحاديث المباركة هـو إلفات نظر الكثير مـن المبتلين بالوسواس إلى هـذه الأحكام والتقيّد بها، مع أنّ الجدير بالملاحظة أنّ هذه الأحكام والروايات لا تختصّ بالوسواسي بل لجميع المؤمنين العاديين، إلا أنّ الغرض الأهمّ هو بيان روح الإسلام الذي لا يكلّف الإنسان ما فيـه المشقّة والحـرج، وربنـا يقـول: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[الحج: ٧٨] وقـد يتصوّر بعض هـؤلاء أنّ هـذه الأحكام التي ذكرناهـا لا تجري عليهـم بل هي خاصة بأُولئك الناس الذيـن يسألون الأئمّة عليهم السلام، فتكون حُجّـة عليهم لا علينا، أو يصعب تطبيقها نفسياً (فيقول نفسي لا تبقى مرتاحة لهذا الحكم!) على أرض الواقع، فاللازم أن نحتاط في هذه الموارد! ونجيبه بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حكمي على الواحد حكمي على الجماعة**»[٣]وقول الإمام عليه السلام المتقدّم عندما أجاب ذلك الشخص (الشاك أو الوسواسي): أترغب عما كان أبو الحسن عليه السلام يفعله؟!.[٤].

ولم يكن مقصودي مـن ذكر هـذه الأحاديث هـو الخوض في البحث

(١) وسائل الشيعة: / ، ٤٩ ـ باب أنه لا يستعمل من الجلود إلا ما كان طاهراً في حال الحياة، ذكيّاً ح ٤٢٦٨.
(٢) المصدر السابق: ٢٥ / ١٢٠٦١ ـ باب جواز أكل الجبن ونحوه مما فيه حلال وحرام، حتى يعلم أنه من قسم الحرام بشاهدين، ح ٣١٣٨٣.
(٣) المصدر السابق: ٤٠٨، ب٣٣، ح٤.
(٤) لا يخفى أن تنقيح هذا المطلب ـ أي استفادة تعميم الأحكام والكبريات ـ المستفاد من الأدلة الشرعية موكول إلى محله، لكني ذكرت ما في المتن مراعاة لطبيعة البحث.

عن سماحة الإسلام، بل هذا الحديث له مجاله الخاص، ولكن كان الغرض أن ننتفع بها في بحثنا. إذن عليك أيها الوسواسي أن تعمل بهذه التعاليم حتى تتخلّص من مشكلتك، وعليك أن تزرع الثقة بنفسك لتتغلّب على هذا المرض وتفوز بالخلاص منه إن شاء الله تعالى، واعلم أخي أنّ الثقة بالنفس من أكبر الفضائل الأخلاقية وأنفعها، يقول العالم الشهير (صموئيل اسمايلز) في هذا المجال: (إنّ الثقة بالنفس أساس لكلّ فلاح ولكلّ تقدّم، ولو تزيّنت بها أكثرية الأمّة لأصبحت تلك الأمة كبيرة مقتدرة، ولا سرّ لرقيّها وقدرتها سوى تلك الخصلة الكريمة، ذلك أنّ عزيمة الإنسان تقوى مع الثقة بالنفس وتضعف بالاعتماد على الآخرين...)[1]فعليك من الآن العزم والإصرار على ألا تعتني بكلّ وسواس يأتيك وقل لنفسك انتهى الأمر سأعود للطبيعة التي يتمتّع بها سائر الناس، وعليك أن لا تتّكل على الآمال وتقول سوف أفعل ذلك غداً أو بعده أو في الوقت المناسب، كلا هذا هو فخّ إبليس وأعوانه؛ لأنّ هذه كلّها آمال خدّاعة ترمي بالإنسان نحو التراجع، عليك أن لا تعيش الهزيمة النفسية أمام هذه الوساوس والوقوف ضدّها بكلّ حزم وقوّة حتى تنتصر في المعركة والله هو الموفّق لذلك، أكرّر عليك هذه الكلمة (عليك أن تترك الآمال)، وانظر ماذا يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام: «**أكذِب الأمل ولا تثق به فإنّه غرور وصاحبه مغرور**»[2]وإنّ من أخطار الاتكال على الآمال الخدّاعة إحداث عقدة في نفس الإنسان تنغص عليه حياته، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ذلّ الرجال في خيبة الآمال**»وقد أكّد ذلك علماء النفس، فهم يرون خيبة الأمل من العوامل المهمة في حدوث الشعور بالحقارة

(١) رسالة الأخلاق، السيّد مجتبى اللاري الموسوي: ٣٤٠.

(٢) غرر الحكم: ٢١٩.

وانعدام الثقة بالنفس، ويقولون: (لعلّه ليس هناك أيّ عامل يُلحق الضرر بقيمة شخصية الإنسان مثل النكسات واللوم على أثرها، فإنّ النكسة على أن يرى الإنسان نفسه أقل من الآخرين، حينما يواجه الإنسان فشلاً يفكّر في أنّه أقلّ من الآخرين وأذلّ، إنّ الفشل يذهب بالثقة بالنفس ويبدّلها باليأس والقنوط، وعلى هذا فالأطفال والشبيبة حينما ينهزمون ويفشلون بصورة مستمرّة ستحدث فيهم عقدة الحقارة ويرون أنفسهم حقراء)[1] كلّ هذا يدعو الإنسان أن يسير الخطوات الحثيثة ليتخلّص من هذا المرض الخطير، ليوفّقه الباري عزّ وجل، ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾[النجم: ٣٩].

نعم فالإنسان المبتلى يحتاج إلى السعي الحقيقي بجدّ وحركة فعلية؛ لأنّ الإنسان إذا عرف أنّ نجاته وخلاصه يتوقّفان على حركته وعمله وجهده سوف يبذل لخلاصه ونجاته الجهد والحركة ليتحرّر ممّا هو فيه، وهذه سُنّة إلهية تشمل كلّ مَنْ يفعل ذلك أياً كانت ديانته. انظر ما ينقله لنا الكاتب الشهير (دايل كارنيغي)، في علم التنمية البشرية عن فتى كيف وفق؟: (ومنذ سنوات مضت، كان الشاب يأمل أن يصبح كاتباً، إلا أنّ كلّ شيء بدا وكأنّه ضدّه فلم يستطع الذهاب إلى المدرسة أكثر من أربع سنوات، وقد أُلقي والده في السجن لأنّه لم يستطع تسديد ديونه، وطالما عرف هذا الشاب ألم الجوع والحرمان إلى أن وجد أخيراً عملاً في لصق الشارات على زجاجات الطلاء في مخزن تعشش فيه الفئران، وكان ينام في علية مع صبيَّين آخرين وهما مشردان من شوارع لندن الفقيرة، لم تكن ثقته كبيرة بقدرته على الكتابة، حتى أنّه كان يتسلّل في وقت متأخر جداً في الليل لتدوين أولى كتاباته كي لا يسخر منه أحد وكانت قصصه تُرفض

(١) رسالة الأخلاق: ٣٣٩.

واحدة تلو الأخرى، وأخيراً جاء اليوم العظيم عندما تمّت الموافقة على أحدها صحيح أنّه لم ينل شلناً واحداً عنها، إلا أنّ المحرّر الصحافي امتدحه وأثنى عليه، وقد طغى عليه الفرح حتى أنّه خرج يتجوّل في الشوارع دون أيّ هدف والدموع تسيل على خديه، فالثناء والتقدير اللذين تلقاهما لدى كتابة قصة واحدة غيّرا مجرى حياته)[1] انظر عزيزي القارئ لهذا الفتى كم حاول وفي أيّ حالة هو؟ ومع ذلك حصل على ما يبتغيه؛ بسبب العزم والإصرار مع العمل والسعي (الفعلي)، لا مجرد الأماني وقراءة الكتب والأسئلة في كيفية التخلّص من الوسواس، كلّ هذا لا ينفع عندما تتركه وراء ظهرك وتنتظر المعجزة تحصل لتتخلّص من الوسواس فجأة ومن دون أيّ سعي!.

ثانياً: الروايات التي دلّت على طرد الوسواس

وردت جملة من الروايات فيها أوراد وأدعية وأعمال تنفع في إزالة الشكوك والوساوس بإذن الله عزّ وجلّ، وهي كما يلي:

١ ـ التعوّذ من الشك، روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوّذ في كلّ يوم من ست خصال: من الشك، والشرك، والحمية، والغضب، والبغي، والحسد**»[2].

٢ ـ ما رواه الشيخ الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أشكو إليك ما ألقى من الوسوسة في صلاتي حتى لا أدري ما صليت من زيادة**

(١) كيف تكسب الأصدقاء، دايل كارنيغي، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ٢٠٠٧م: ١٨٦.
(٢) الخصال، للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي قم: ١ / ب الستة، ح ٢٤.

أو نقصان؟ فقال: إذا دخلت في صلاتـك فاطعـن فخـذك الأيسر بإصبعك اليمنـى المسبحة، ثم قُل بسم الله وبالله، توكلت على الله، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإنّك تنحره وتطرده»[1].

٣ ـ ما ذكره العلامة الجليل الشيخ عباس القمي قدس سره عن الإمام الباقـر عليه السلام: **«إنّ رجـلاً شكـا إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوسوسـة وحـديث النفس وديناً قد أثقله؛ فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ مـن الذل وكبره تكبيراً، فعاد إليه بعـد مدّة فقال: يا رسول الله إنّ الله قد أزال الوسوسة عني وأدّى ديني وأغناني من الفقر»**وأورد قدس سره أيضاً: إذا عرض لك الشك قل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهـو بكلّ شيء عليـم، ولوسـواس الشيطـان أيضـاً رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«امسح بيدك صدرك وقل: بسم الله وبالله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم امسح عني ما أحذر ثم امسح بطنك وقل ثلاث مرات فتزول إن شاء الله»**[2].

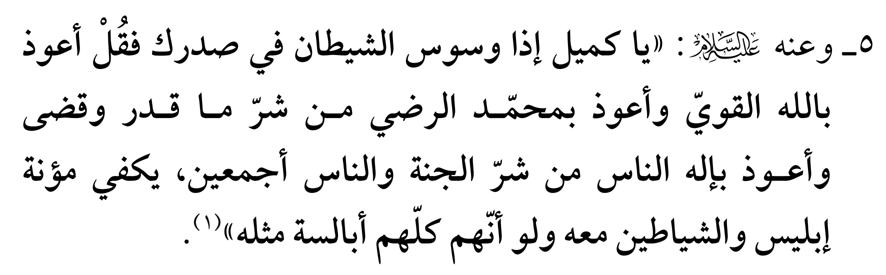
٤ـ رُوِي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«إذا وسوس الشيطان إلى أحدكم فليتعوّذ بالله وليقل: آمنت بالله وبرسوله مخلصاً له الدين»**[3].

---

(١) الكافي: ٣/ ٣٤٨، ب ٢٠٩، ح ٤.

(٢) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي: صلاة حديث النفس، ٧١٨.

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ١٠ / ٣٠٨.



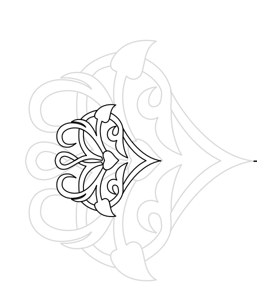
٥ـ وعنه (عليه السلام): «**يا كميل إذا وسوس الشيطان في صدرك فقُلْ أعوذ بالله القويّ وأعوذ بمحمّـد الرضي مـن شرّ مـا قـدر وقضى وأعـوذ بإله الناس من شرّ الجنة والناس أجمعين، يكفي مؤنة إبليس والشياطين معه ولو أنّهم كلّهم أبالسة مثله**»[١].

٦ـ ما رواه الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن الإمام الصادق (عليه السلام): «**اغسلوا رؤوسكم بورق السدر فإنّه قدّسه كلّ ملك مقرب، وكلّ نبيّ مرسل، ومن غسل رأسه بورق السدر صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً...**»[٢].

---

(١) المصدر السابق: ٣٠٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٢ / ٦٣، ب٢٦، ح٥.



العـلاج في الفقه الإسلامي

عندما نطالع كتب الفقه الإسلامي سواء كانت الكتب الاستدلالية، أم الفتوائية، أم كتب القواعد الفقهية، نجدها تنهى عن الاعتناء بالوسواس وكثرة الشك، ولو قصرنا النظر على كتب الفقه لكفى، لأنّ الإنسان مكلّف بأخذ أحكام الشريعة منها وعليه اتّباع ما فيها ولكن من خلال العلماء ومراجع الدين فإنّ المرجع الديني الجامع للشرائط هو الحجة على المؤمنين، فإنا نجد كلّ الفقهاء يفتون بحرمة الاعتناء بالوسواس ـ كما سيتبيّن لاحقاً ـ ولا يجوز ترتيب الأثـر على هذه الوساوس والشكوك مهما بلغت، وعندما نسأل الفقهاء ما الحلّ بالنسبة إلى الوساوس التي تصيب الإنسان؟ يكون جوابهم بشكلٍ صريح ومن دون لف ودوران ومن دون تكلّف على هذا الإنسان الذي يتعرّض للوسواس أن لا يعتني به ولا يلتفت إليه وعليه أن يعمل ويتصرّف كسائر الناس حتى لو لم يطمئن لذلك نفسياً، ويقولون نحن المسؤولون أمام الله عن هذه الأحكام والفتاوى، وإنّ عملك أيّها المبتلى بالوسواس لو أخذت كلامنا وعملت به مبرئ للذمة إن شاء الله تعالى. وأقول لك أيها العزيز ماذا يريد الإنسان أكثر من ذلك! أليس تقليدنا لمراجع الدين من أجل إبراء الذمّة أمام الله سبحانه؟ فما هو السبب والداعي الذي يدعوك لترك كلامهم في هذه المسألة فقط؟! إذن هو الشيطان بلا شك ونحن قد أمرنا بترك ما يوسوسه لنا ونبذ كلّ إيحاءاته وقد

مـرَّ عليك ذلك في باب العلاج القرآني والرّوائي. ومن طرائف ذلك أنّ بعض الوسواسيين كنت بالقرب منه وقد صلّى ورأيته يُعيد قراءة السورة أو بعض آياتها أحياناً عدّة مرات وكنت أصغي لقراءته وهي من الأول صحيحة ولا يوجد فيها أيّ لحن أو خطأ، وقد أخبرته بأنّ قراءتك صحيحة فلا داعي للإعادة، فقال لي أصحيح شيخنا؟، قلت بلى، ولكن مع هذا لم يعبأ بكلامي (عملياً)! وبقي على حاله إلى كتابة هذه السطور!وسوف نتعرّض قليلاً لكلام الفقهاء في ثلاث مجالات وهي في الكتب الاستدلالية، والقواعد الفقهية، والفتاوى؛ لتكون أبلغ في الحُجّة عندما يطّلع الشخص بنفسه على استدلال الفقهاء ويرى البرهان الساطع الذي يحمله الفقهاء في أدواتهم المعرفية وبذلك لا تبقى حُجّة أمام الوسواسيين إلا اتّباع كلام الأعلام والله هو الموفّق والمسدّد ومنه نستمدّ العون والاعتصام، وإليك كلامهم كما يلي:

أولاً: الفقـه الاستدلالي

كثيرة هي كتب الفقه الاستدلالي وقد نعجز عن استقصاء عناوينها فضلاً عن الأخذ منها إلا أنّا سوف نأخذ منها ثلاثة آراء:

أحدها: رأي السيّد الخوئي قدس سره ذكره في كتابه (المستند في شرح العروة الوثقى) قال معلّقاً وشارحاً لقول صاحب العروة في الشكوك التي لا اعتبار بها ولا يلتفت إليها منها كثير الشكّ: (بلا خلاف فيه ولا إشكال، للنصوص الدالة عليه..، التي مفادها المضي في الصلاة وعدم الاعتناء بالشك، ومرجع ذلك إلى إلغاء الكلفة الناشئة من قبل الشك التي تختلف حسب اختلاف الموارد، فقد تكون الكلفة هي الإعادة كما في الشكوك

الباطلة، وقد تكون هي الإتيان إمّا بالجزء المشكوك فيه كما في الشكّ العارض في المحل، أو بغيره من ركعة الاحـتياط أو سجدة السهو كما في الشكوك الصحيحة ونحوها، فهذه الأحكام الثابتة للشك بالإضافة إلى الأشخاص العاديين ملغاة عن كثير الشك وتلك الكلفة مرتفعة.

ونتيجة ذلك أنّه يبني على وقوع المشكوك فيه ما لم يكن مُفسداً، وإلا فعلى عدمه فهو دائماً مأمور بالأخذ بالاحتمال المصحّح وما لا كلفة فيه من أحد طرفي الشك.

فلو شك في الركوع بنى على الإتيان به وإن كان في المحلّ، ولو شك بين الثنتين والثلاث بنى على الثنتين في الثنائية، وعلى الرابعة في الرباعية من غير حاجة إلى ركعة الاحـتياط، ولو شكّ بين الأربع والخمس بنى على الأربع من غير حاجة إلى سجدة السهو، ولو شكّ بين الأربع والست بنى على الأربع وهكذا)[1] وقد ذكر السيّد الخوئي هذا الكلام في كثير الشك الذي هو أهون حالاً من الوسواسي، فإنّه من باب أولى عليه أن يلتزم بهذا الكلام.

ثانيها: الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله في كتابه القيم فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال في كثير الشك: (سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن رجل يشكّ كثيراً في صلاته، فقال فيما قال: «**إنّ الشيطان خبيث معتاد لما عود، فليمضِ أحدكم في الوهم**» أي لا يعتني بالوهم والشّك، وهو عام للشك في الصلاة وغيرها، الأحاديث كثيرة عن النبيّ وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، «**إنّ كثرة الشك من الشيطان**» هذا إلى أنّ العناية بكثرة الشكّ مشقّة وحرج، ولا حرج في الشريعة.

(١) المستند في شرح العروة الوثقى، أبحاث السيّد الخوئي، تقرير الشيخ مرتضى البروجردي: ٧/ ٣ـ ٤، ضمن موسوعة الإمام الخوئي ج١٩ ط ٤ قم.

ومن هنا جاءت القاعدة الفقهية المعروفة: (لا شكّ لكثير الشك)وعليها إذا شك مَن يكثر شكّه في جزء من أفعال الوضوء، وهو يتوضّأ يمضي، ولا يلتفت[1]

وقال في موضع آخر: كلّ من كثر شكه فعليه أن يمضي، ولا يعتني بشكّه إطلاقاً، سواء في عدد الركعات، أم في غيرها من الأفعال، أو في القراءة، وسواء كان الشك في أصل الحدوث والصدور، أو في صحّته سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل الذي يشكّ كثيراً في صلاته، حتى لا يدري كم صلّى، ولا ما بقي عليه؟ قال: **يعيد** قيل له: إِنه يكثر عليه ذلك كلما أعاد شكّه قال: «**يمضي في شكّه. لا تعودوا الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة، فتطمعوه فإنّ الشيطان خبيث معتاد لما عود، فليمضِ أحدكم في وهمه، ولا يكثرنّ الصلاة، فإن فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشك. إنّما يريد الخبيث أن يُطاع، فإذا عُصِي لم يعد إلى أحدكم**»[2].

ثالثها: ما ذهب إليه الكثير من الفقهاء منهم المحقّق الميرزا النائيني قدس سره في أجوبته في كتابه (الفتاوى)[3]، وبعض المعاصرين، قال معلّقاً على كتاب (العروة الوثقى) في قوله ـ لا اعتبار بعلم الوسواسي في الطهارة والنجاسة: (يقع البحث في نقاط ثلاث: الأولى ـ هل يجب على الوسواسي تحصيل العلم بالواقع في مقام الامتثال أو لا؟ لا إشكال في عدم احتياجه إلى العلم بذلك، ولا يجب عليه تحصيل العلم بالطهارة وبصحة عباداته ولا يجب عليه العلم بالفراغ.

(١) فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ١ / ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

(٣) الفتاوى الصادرة عن الفقيه الأعظم المحقق الميرزا محمد حسين النائيني، الناشر نصايح، قم، ط ١، ١٤٢٣هـ: ١ / ١٦٤، المسألة: ١٥٦.

وذلك: لأنّ العمل طبقاً للوسواس إطاعة الشيطان، بدلالة الأخبار، وإطاعته محرّمة بدلالة الآيات والأخبار، فإذا أراد الوسواسي تحصيل العلم بالطهارة أو بالفراغ عن التكليف لا طريق له إلا تكرار العمل بصورة الوسواس، وهو حرام، لكونه عبادة الشيطان

الثانية ـ إنّ علم الوسواسي بنجاسة الذي يحصل بغير سبب عقلائي بل بسبب الوسواس ليس بحجّة لغيره، لأنّ أدلّة حجية الشهادة منصرفة عنه، فلو شهد أنّ قطرة بول لاقت[1] هذا الثوب مثلاً نحتمل أن يكون ذلك كعقيدة الوسواسي الذي نقل أنّه اعتقد أنّ البول قد نزل عليه من أسفل الدار وهو يبول على السطح، ولأنّ عمله ناشئ عن حدسه المخدوش، لا عن حسّ..الثالثة ـ أنّه يحرم عليه الاعتناء بعلمه الذي يحصل بالوسواس من غير سبب عقلائي، فلا يعمل بعلمه بالنجاسة وبطلان الصلاة...)[2].

يقول بعض المعاصرين معلّقاً على كلام المحقّق النائيني: يكون من الوسواس المتسالم ظاهراً على حرمة العمل على مقتضاه، ويمكن استفادة حرمته من قول عليه السلام في صحيحة ابن سنان ـ بعد ذكره له عليه السلام رجلاً مبتلىً بالوضوء والصلاة وقوله هو رجل عاقل ـ «**وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان...**» الحديث، (الوسائل، ب١٠، من أبواب مقدمة العبادات)، فإنّ الظاهـر ثبوت التلازم بين إطاعة الشيطان ومعصية الله تعالى فإنّه لا يأمر إلا بما فيه معصية، قال عزّ من قائل: ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ**﴾[البقرة: ١٦٩]، و(إنما) يفيد الحصر، وقال: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾[البقرة: ٢٦٨]...، ويعضده أمرهم عليهم السلام لمن يكثر سهوه في

(١) في المصدر لاقى والصحيح ما أثبتناه.

(٢) كتاب الطهارة، بحوث السيّد محمد الشاهرودي: ٣/ ١٦٣ــ ١٦٤، بتصرف واختصاروله هناك تفصيل واف لا يناسبه المقام ومن شاء الاطلاع على بحثه الاستدلالي فليراجع .

الصلاة، بالمضي وعدم النقض لكون ذلك من الشيطان وقولهم عليهم السلام: «**لا تعودوا الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة**» و«**إنما يريد الخبيث أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم**»[1].

ثانياً: القواعد الفقهية

القواعد الفقهية هي عبارة عن أحكام شرعية عامة فقهية تجري في مسائل وأبواب مختلفة في العبادات والمعاملات، تنفع المكلّف في تحديد وظيفته الشرعية، وبعض هذه القواعد عامة في جميع المجالات مثل قاعدة (لا ضرر)، وبعضها خاصة في باب معيّن مثل قاعدة (لا تُعاد الصلاة)، وهي مستوحاة من مجموع الآيات والأحاديث الشريفة، كما سيتبيّن، وسوف نذكر هنا القواعد التي تنفعنا في بحثنا، وهي كما يلي:

١ـ قاعدة الطهارة

معنى القاعدة هو أنّ كلّ شيء نشكّ فيه هل هو طاهر أم نجس؟ نحكم بطهارته شرعاً فكلّ شيء يلاقي جسد الإنسان أو مختصّاته من ماء أو أيّ سائل، أو أيّ جسم في الطبيعة ونشكّ لعلّه نجس فإنّ الشريعة تقول لنا هذا اعتبروه طاهراً، وهي من القواعد الثابتة لدى الفقهاء، يقول العلامة المصطفوي: لا شكّ في أنّ قاعدة الطهارة عند الفقهاء من المسلَّمات وقد أرسلوها في كتبهم إرسال المسلَّمات فلا حاجة إلى الاستدلال على اعتبارها[2].

وقد يتذرّع البعض خصوصاً مَن ابتلوا بالوسواس بأنّ الاحتياط حسن

(١) الحجة العلامة الشيخ جعفر النائيني ـ حفيد المحقق النائيني ـ في تعليقته على كتاب الاستفتاءات الصادرة عن جده قدس سره تحت عنوان (الفتاوى الصادرة عن المحقق الميرزا النائيني: ج ١، ص ٥١ ـ ٥٢) مصدر سابق.

(٢) القواعد (مئة قاعدة فقهية)، السيّد كاظم المصطفوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ٩، ١٤٣٤هـ: ١٥٦.

على كلّ حال وهو يليق بالمؤمن المتشرّع كما نُقل عن بعضهم! وأُجيبه بما ذكره بعض الأعلام المعاصرين: الأولى الاقتصار في الاحتياط فيها بما يكون الشبه فيه قوية كشرب سؤر من لا يبالي في الدين، أو يكون متهما جدّاً، وأما الاحتياط في كلّ ما يُؤخذ من سوق المسلمين، وأيدي أهل الدين، بمجرد احتمال النجاسة، الموجود في جميع الأشياء، فلم يثبت في الشرع رجحانه، وإن كان قد يبدو العمل به من بعض أهل العلم والتقوى، بل الظاهر أنه مخالف للاحتياط، لترتب مفاسد كثيرة عليها، من إيذاء المؤمنين، وإتلاف الوقت والمال، وكونه مظنة للوساوس المرغوب عنها، أو مثل ذلك.

بل الظاهر أنّه مخالف لسيرة النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام وأصحابهم لأنّهم كانوا يزاولون الناس، ويأكلون ويشربون معهم، ويدخلون الحمامات، ويشترون الألبسة، والأطعمة من سوق المسلمين، ويلبسونها أو يأكلون منها من غير غسلها، مع ما كانت الأسواق والحمامات، لاسيما في تلك الأزمنة مشكوكة من حيث الطهارة والنجاسة؛ لدخول غير المسلمين فيها، واعتقاد بعض فرق المسلمين بطهارة الميتة بالدباغة، أو طهارة العصير العنبي المغلي، أو حكمهم بطهارة النبيذ، أو طهارة الأشياء النجسة بزوال عين النجاسة، إلى غير ذلك، ممّا يُستفاد من الأخبار وفتاواهم في أبواب مختلفة، من أبواب الطهارات والنجاسات.

فلو كان الاحتياط أمراً مرغوباً فيه في باب الطهارة والنجاسة بمجرد الاحتمال لما خالفه المعصومون المطهّرون (عليهم آلاف الصلاة والتحية)، فالأولى ترك هذه الاحتياطات إلا في موارد الاتّهام الشديد، وترجيح الأخذ بسيرة المسلمين والأئمّة الطاهرين عليهم السلام والحكم بطهارة

الأشياء ممّا لم يعلم نجاسته)[1].

ومستند الفقهاء في إثبات هذه القاعدة عدّة روايات منها موثقة عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كلُّ شيء نظيف حتى تعلم أنّه قذر فإذا علمت فقد قذر، وما لم تعلم فليس عليك**»[2] ومنها ما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**ما أبالي أبول أصابني أو ماء، إذا لم أعلم**»[3] ومنها ما رواه الشيخ الصدوق عن أحد المعصومين عليه السلام: «**كلُّ شيء طاهر حتى تعلم أنّه قذر**»[4] وغيرها من الأدلّة التي ذكرها الفقهاء في بحوثهم جزاهم الله عن الإسلام خيراً.

بعد أن استعرضنا القاعدة وأدلّتها يا ترى هل يبقى سبيل لأولئك الوسواسيّين بل حتى غير الوسواسي تشمله القاعدة لأنّه وضعت لجميع المسلمين، أما الوسواسي وكثير الشك فمن باب أولى أن يلتزم بهذه القاعدة ولا يفوتني أن أنوّه إلى أن هذه القاعدة من القواعد العامة التي تشمل المأكل، والمشرب، والمطعم، والملبس وغير ذلك، فيمكن إجراؤها في جميع هذه الموضوعات، والحكم عليها بالطهارة.

٢ ـ قاعدة نفي الحرج

وهذه القاعدة هي الأخرى من ألطاف الله سبحانه ومننه على عباده؛ لأن مفادها رفع الحرج والعسر في الشريعة الإسلامية عن الإنسان، طبعاً ليس المقصود بالحرج هو التكليف بما لا يطاق أو بما هو فوق المقدور؛ لأنّ التكليف بما لا يطاق منفيّ عقلاً وشرعاً قبل أن يخلق الله

(١) القواعد الفقهية، آية الله الشيخ مكارم الشيرازي: ٢ / ٣٨٣.
(٢) وسائل الشيعة: ٣ / ٤٦٧، ب٣٧ من أبواب النجاسات، ح٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) القواعد الفقهية، الشيخ مكارم الشيرازي: ٢ / ٣٨١.

سبحانه المخلوقات وهو من مسلمات العقيدة الإسلامية، يقول صاحب الإلهيات: (إنّ الوجدان السليم والعقل البديهي يحكم بامتناع التكليف بما لا يطاق)[1]ويقول في موضع آخر: (التكليف بما لا يطاق أمر قبيح عقلاً، فيستحيل عليه سبحانه من حيث الحكمة أن يكلف العبد بما لا قدرة له عليه، ولا طاقة له به)[2]أما في القرآن الكريم فهناك آيات صريحة بذلك كقوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٦][3].

فالمقصود بالحرج في هذه القاعدة هو ما يستوجب فعله المشقة والضيق والعسر، مثلاً إذا كان المكلف مصاباً بيده بجرح، أو ورم، أو ما شاكل ذلك، وعندما يتوضّأ أو يغتسل يتضرّر من استعمال الماء أو يتأخر شفاؤه فإنّ حكمه الانتقال إلى التيمّم حتى يشفى؛ لأنّ بقاء الجرح، أو الورم، أو غيرهما، فيه حرج أو ضرر على الإنسان، والشريعة تنفي الحرج عن الناس بهذا الشكل، وقد يجتمع لدى الشخص أحياناً مال بمقدار الاستطاعة للحج، ولكنّه بحاجة إلى الزواج أو شراء دار للسكن أو ما شاكل ذلك، فلا يجب عليه الحج، ما دام يقع في الحرج لو صرف المال في الحج، فإنّ الحج وإن كان واجباً على المستطيع إلا أنّ قاعدة نفي الحرج حاكمة على الأدلّة الأولية التي منها دليل وجوب الحج[4].

ومستند هذه القاعدة من القرآن قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[الحج: ٧٨] وقوله سبحانه: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[البقرة: ١٨٥] وغيرها من الآيات.

---

(١) الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني: ١ / ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة البقرة:٢٨٦.

(٤) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، الشيخ باقر الايرواني: ٢ / ٧٠٣.

أمّا السنّة الشريفة فهناك كثير من الروايات تدلّ على نفي الحرج والعسر، منها ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام عن آبـائه عن عليّ عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه مناقب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما سأل ربّه ليلة المعراج، وفيه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**اللهمّ إذا أعطيتني ذلك** ـ يعني به رفع المؤاخذة على الخطأ والنسيان ـ **فزدني فقال الله تعالى: سل، قال:** ﴿**رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا**﴾ يعني بالإصر الشدائد التي كانت على من كان من قبلنا، فأجابـه الله إلى ذلك، فقال تبارك اسمه: **قد رفعت عن أمتك الآصار التي كانت على الأمم السابقة، كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع من الأرض معلومة، اخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الأرض كلّها لأمتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الآصار التي كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمتك، وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوها من أجسادهم**[1] وقد جعلت الماء لأمتك طهوراً، فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك، ـ إلى أن قال: ـ **وكانت الأمم السالفة صلواتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وفي أوقات نشاطهم**)[2] الحديث.

فإذا كانت الشريعة لا تريد للإنسان أن يُوقع نفسه في الحرج وترفعه

---

(١) علق سماحة آية الله الشيخ مكارم الشيرازي على هذه الرواية أثناء بحثه في هذه القاعدة بما يلي: الظاهر أن الضمير في قوله (**قرضوها**) راجع إلى النجاسة يعني قرضوا النجاسة وآثارها، لا أنهم كانوا يقرضون لحومهم، وقرض عين النجاسة وآثارها عن أبدانهم لعله كان مثل حلق الشعر عنها، ويشتمل على مشقة كثيرة وإلا فوجوب قرض اللحوم عليهم أمر بعيد جداً، وما ورد في بعض الروايات من (**أن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم قطرة من بول قرضوا لحومهم بالمقاريض**) لعلّه سهو الراوي عند النقل بالمعنى، والمقروض كان عين النجاسة وأثرها، فتأمّل. راجع القواعد الفقهية: ١ / ١٧٤، الهامش ويؤيد هذه الرواية ما جاء في القرآن، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا**..﴾[الأنعام: ١٤٦].

(٢) بحار الأنوار: ١٠ / ٢٥٢، ب٢، من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام، ح ١.

عنه فهل يحق لشخص يوقع نفسه في حرج تبرّعاً ومن دون دليل! هذا ما لا يقبله العقل قبل الشرع، لكن العجيب من الوسواسيين قد أوقعوا أنفسهم في هذا الحرج، بل بعضهم في الحرج الشديد، مثلاً نجد أحدهم يصب الماء الكثير ولمدّة ساعات من الماء البارد في الشتاء القارص بسبب وقوع قطرات بول على جسده! في حين أنّ البول يطهر بطريقة يسيرة جداً.. أَلا يعد هذا إيقاعاً للنفس في الحرج، وبعضهم عندما يريد أن يتوضّأ يستغرق وضوؤه عشرين دقيقة أو أكثر من ذلك! وبعضهم عندما تصيبه نجاسة لا يطمئن من تطهيرها حتى يرتمس في النهر! وغير ذلك من الحالات الغريبةفلينظر كلّ مَنْ ابتُلي بالوسواس إلى هذه القاعدة ويتأمل فيها ويقول لنفسه إذا كان هناك حرج ما فالشريعة تسمح للمكلف التخلص منه بترك بعض الأحكام الأولية كما أسلفنا مثلا ترك الوضوء للمجروح والانتقال إلى التيمم، فلماذا أُوقع نفسي في المشقّة والضيق؟! في حين أنّه غير مطلوب مني ذلك، بل أكثر من ذلك أنّ الذي أفعله منهيٌّ عنه شرعاً.

٣ـ قاعدة لا تعـاد

ومعناها: لا تُعاد الصلاة في فرض وقوع الخلل فيها إلا في خمسة موارد (المنصوص عليها في الحديث) وعليه إذا ورد الخلل في الصلاة من غير عمد ولا تقصير ولم يكن ذلك الخلل بالنسبة إلى الأمور الخمسة المذكورة في الحديث لا يوجب الإعادة في الصلاة[1].

يعني أنّ الإنسان حتى لو كان متيقّناً من إحداثه خللاً في الصلاة كأن ترك قراءة سورة الحمد، أو أخطأ في قراءتها، وما شاكل ذلك، وقد تعدّى

(١) القواعد الفقهية، السيّد كاظم المصطفوي، دار جامعة المصطفى ﷺ العالمية، إيران، ط ١، ١٤٣٠هـ :٣١.

المحل فلا يمكنه التدارك[١]، أو بعد الانتهاء من الصلاة، علم أنّه ترك قراءة الفاتحة فلا يعيد الصلاة، إنّما تجب الإعادة في موارد كما ذكرتها القاعدة وهي: الطهارة، والوقت، والقبلة، والركوع، والسجود.

والمراد من الطهارة أي التطهّر من الحدث فلو صلّى من دون وضوء، أو غسل اذا كان عليه غسل واجباً، فعليه أن يعيد الصلاة، وهكذا لو ترك الركوع، أو السجود ـ يعني السجدتين معاً ـ أو صلّى بعكس اتجاه القبلة مثلاً[٢].

وقد استند الفقهاء في هذه القاعدة إلى جملة من الروايات، وسنذكر الرواية المشهورة وهي صحيحة زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**لا تُعاد الصلاة إلا من خمسة: الطهور، والوقت، والقبلة، والركوع، والسجود..**»[٣].

وهذه القاعدة حجّة وحاكمة على أولئك الوسواسيين الذين يُعيدون صلاتهم بمجرد الشك والوسوسة، وهذا لا يعد مبرّراً لإعادة الصلاة، بل أكثر من ذلك لو كان الشخص (العادي) متيقّناً من تركه جزءاً من الصلاة ـ بعد الانتهاء منها ـ غير الأركان فصلاته صحيحة، وهناك أحكام خاصة تتعلق بالموضوع فراجع الرسالة العملية، هذا بالنسبة إلى عامة الناس أما المبتلى بالوسواس فهو خارج من هذا الحكم؛ إذ إنّه لو كان على يقين من تركه ركناً من الصلاة فلا يعتنى بيقينه وعليه أن لا يعيد صلاته؛ لأنّه واهم وليس متيقّناً.

(١) مثلاً أثناء الركوع تذكّر أنّه ترك قراءة سورة الحمد فلا تجب عليه الإعادة بل يمضي في صلاته وحين إتمامها يسجد سجدتي السهو.

(٢) مصطلحات الفقه، لآية الله الشيخ علي المشكيني قدس سره: ص٤٥٠ بتصرف.

(٣) وسائل الشيعة: ٥ / ٤٧٠، ب١، من أبواب أفعال الصلاة، ح١٤.

٤ ـ قاعدة الفـراغ

وفكرتها الإجمالية، أنّ الفرد إذا فرغ من عمل عبادي معيّن كالوضوء أو الصلاة مثلاً، ثم شك أنّه أتى بجزء معين خلال تلك العبادة أم لا، فإنّ له أن يبني على الصحة، وأنّه أتى بالجزء المشكوك[١].

وقد استدلّ الفقهاء على هذه القاعدة بالإجماع، وبجملة من الروايات، ولهم تفصيل هناك وشروط للقاعدة، إلا أنّي كالعادة لا أذكر التفصيلات ومن شاء ذلك فليرجع إلى المطولات، وكيفما كان فسنذكر روايتين تنفعنا في المقام، الأولى صحيحة محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: رجل شك في الوضوء بعدما فرغ من الصلاة؟ قال: **يمضي على صلاته ولا يعيد**[٢]. والثانية موثقة عبد الله بن أبي يعفور، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **إذا شككت في شيء من الوضوء وقد دخلت في غيره فليس شكك بشيء، إنّما الشك إذا كنت في شيء لم تجزه**[٣]. فهذه القاعدة أيضاً تنفع عامة الناس وخصوصاً الوسواسي فعندما يفرغ من العمل لا داعي لأن يعيده، بل حتى من باب الاحتياط لا توجد أرجحية للإعادة؛ لأنا سمعنا الإمام عليه السلام يقول له: «**يمضي على صلاته ولا يعيد، أو ليس شكك بشيء**»، فتأمّل.

٥ ـ قاعدة التجاوز

ومعناها إجمالاً، ما يفتي به الفقهاء من أنّ المصلّي إذا شكّ في جزء الصلاة بعد أن تجاوز محلّه، لم يعتنِ بشكّه، واعتبر الجزء المشكوك كأنّه

---

(١) ما وراء الفقه، السيّد الشهيد محمد الصدر، دار الأضواء ـ بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ: ١، ق٢ / ١٣٨.

(٢) وسائل الشيعة: ١ / ٤٧٠، ب٤٢، ح ٥.

(٣) المصدر السابق.

موجود، وصحّت صلاته وعبادته[1].

ولا يخفى على القارئ اللبيب من أنّ هناك خلافاً بين الفقهاء في أنَّ هذه القاعدة هي قاعدة الفراغ نفسها أو هي تختلف عنها لذلك بعضهم يعنونهما بـ(قاعدة الفراغ والتجاوز)، ومنهم مَنْ يذهب إلى أنّهما قاعدتان كلّ منهما مستقلّة عن الأخرى، وكيفما كان فالذي ينفعنا هو ما استدلّوا به من روايات، منها صحيحة زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجل شكّ في الأذان ودخل في الإقامة قال: **يمضي**، قلت: رجل شكّ في الأذان والإقامة وكبر؟ قال: **يمضي**، قلت: رجل شك في التكبير وقد قرأ؟ قال: **يمضي**، قلت: شك في القراءة وقد ركع؟ قال **يمضي**، قلت: شك في الركوع وقد سجد؟ قال: **يمضي على صلاته**، ثم قال: **يا زرارة، إذا خرجت من شيء ثم دخلت في غيره فشكّك ليس بشيء**[2] فيمكن للمكلّف ولا سيما الوسواسيّ أن يطبّق هذه القاعدة على نفسه ليتخلّص من الشكوك والوساوس.

٦ ـ قاعدة لا شكّ لكثير الشك

معنى القاعدة هي أنّه عندما يكثر على المكلّف الشك في بعض العبادات وتبقى هذه الحالة ملازمة له فمن الصعب التخلص منها، فحكمه عدم الاعتناء بهذه الشكوك وإن كان في محلّ الشك (فلو احتمل الزيادة كوجود مانع في الصلاة فحكمه لا يعتني به وإن احتمل النقيصة بعدم الإتيان بجزء أو شرط ـ سواء كان الجزء، ركناً أم لا ـ فلا يعتني بهذا الاحتمال أيضاً، ويبني على تمام ما جاء به وعدم الخلل فيه من حيث الزيادة والنقيصة، بحيث لو أراد أن يتلافى المشكوك المحتمل فصلاته باطلة؛ لأنّه زاد في

(١) ما وراء الفقه: ١ ق٢ / ١٦٠ مصدر سابق.
(٢) وسائل الشيعة: ٨ / ٢٣٧، ب٢٣، ح١.

صلاته زيادة منهيّ عنها...)[1] إذاً من خلال ما تقدّم لو حصل شكّ لدى الشخص كثير الشكّ لا يعتني ولا يلتفت لهذا الشك مطلقاً، مثلاً لو شكّ هل قرأت الفاتحة أم لا؟ يبني على أنّه جاء بها ولا شيء عليه وهذا ما حكم به جميع الفقهاء.

ومستند هذه القاعدة جملة من الروايات منها صحيحة محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إذا كثر عليك السهو فامض على صلاتك فإنّه يوشك أن يدعك، إنما هو من الشيطان**»[2].

والمراد بالسهو في استعمال كثير من الروايات هو الشكّ[3]فهذه القاعدة أيضاً من المنن والنّعم الإلهية على الإنسان، ليتخلّص من حبائل الشيطان؛ لأنّه (لع) يأتي للناس بكلّ وسيلة إما من خلال إغوائهم وإيقاعهم في المعصية، أو من خلال إفساد عملهم فالمهم عنده تحقيق مبتغاه وهو إزلاق الناس عن جادة الصواب وفاءً بوعده الذي قطعه على نفسه أمام ربّ العزة، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[ص: ٨٢ـ٨٣] فلو طبّق الفرد المُبتلى بكثرة الشكّ، أو الوسواسي لنجا وارتاح من هذا الحال الذي فيه خطران: الأول: القلق النفسي الذي يعاني منه طوال يومه أو حياته، والثاني: المحذور الشرعي؛ لأنّه لو اعتنى بشكّه واهتمّ به وأعاد العمل كالصلاة مثلاً فعمله باطل من جانب، ومن جانب آخر قد ترك نهي الشارع المقدّس الذي نهاه عن الاعتناء بالشك، فلم يبقَ سبيل أمامه إلا ترك الاعتناء بالشكّ ويعمل كما يعمل سائر الناس ففيها الخلاص من المحذور الشرعي، ومن القلق

(١) القواعد الأصولية والفقهية: ٣/ ٤٧٢، عن جواهر الكلام، والعروة الوثقى.

(٢) وسائل الشيعة: ٨/ ٢٢٧، ب ١٦، ح١.

(٣) دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي، الشيخ باقر الأيرواني: ١/ ٢٥٦.

والألم الذي يعيشه.

بقي شيء وهو أنّ هناك عدّة تنبيهات حول هذه القاعدة والعمل بها نوردها كما يلي:

١ـ المقصود بكثير الشك هو الذي يشك في كلّ ثلاث صلوات، أو يشك ثلاث مرات في الصلاة الواحدة، وإن كان الكثير من الفقهاء يَرَون تحديد ذلك موكول للعرف، والذي ذكرناه كمثال لنظر العرف وقد وردت فيه رواية، فكثير الشك هو الذي يصدق عليه ذلك عرفاً فلا يحتاج إلى تحديد شرعي، فعلى سبيل المثال: شخص يومياً يشك مرتين فنسأل العرف هل هذا كثير الشك أو أنّه طبيعي؟ سوف يجيبنا العرف بنعم أو لا.

٢ـ إنّ كثير الشك أقلّ حالاً من الوسواسي، أما الوسواسي فأسوأ حالاً منه بكثير؛ لذلك نجد بعض الفقهاء يخصّص قاعدة كثير الشك في موارد خاصة كما سيتبيّن لاحقاً، أما الوسواسي فيقولون لا يعتني بشكّه مطلقاً، ولم يخصّصوه في مورد معيّن، فعندما يستفتيهم الناس في مسائل وقضايا خاصة يجيبونهم بأنّ هذه وساوس فلا تعتنوا بها، مثال ذلك شخص يقول أنا لا أقرأ القرآن بمرأى من أهلي لأنّه يحصل لدي رياء!، وشخص آخر لا يذهب للصلاة في المساجد خوفاً من الرياء! وهكذا، فكلّ هذه القضايا من وساوس الشيطان كي يقعد الإنسان عن عمل الخير.

٣ـ إنّ كثرة الشك التي لا يجوز الاعتناء بها تكون بحسب المورد، مثلاً بعض الناس لديه كثرة شك في القراءة فقط وحصل لديه شك في عدد الركعات أو في أيّ مورد آخر غير مبتلى به، فهنا يلزمه مراعاة الشك وتطبيق حكمه المناسب له، ولكن ينبغي الالتفات إلى أنّ هذا خاص بغير

الوسواسي لأنّ الوسواسي يختلف حكمه ـ كما ذكرت آنفاً ـ فلو حصل لديه وسواس من هذا القبيل لا يجوز له الاعتناء به حينئذ، أي إنّ عليه ألا يتقيّد بقاعدة كثير الشك.

٤ـ هناك خلاف بين الفقهاء، هل تجري قاعدة كثير الشك في جميع العبادات أم أنّها خاصة ببعض الموارد؟ ولا بأس بالإشارة إلى ذلك، فالسيّد الخوئي[١]، وجمع من الفقهاء كالسيّد الشهيد محمد باقر الصدر[٢]، والسيّد الشهيد محمد الصدر[٣] (قدّس سرّهم)، والسيّد كاظم الحائري دام ظله[٤]، يرونها مختصّة بمسائل الصلاة فقط، ولا تتعدى للطهارة أو غيرها من الموارد، بينما فقهاء آخرون كالسيّد الخميني[٥]، والشيخ بهجت[٦]، والشيخ زين الدين[٧]، والشيخ الفاضل اللنكراني[٨]، والشيخ جواد التبريزي[٩]، والسيّد محمد حسين فضل الله[١٠]، (قدس سرهم)،

(١) قال: والأظهر اختصاص هذه القاعدة بالصلاة وعدم جريانها في غيرها، لاحظ تعليقته على العروة الوثقى: ١ / ١٧٣، المسألة ٤٦، شرائط الوضوء.

(٢) لاحظ تعليقته على منهاج الصالحين، لم يذكر حكمه في الوضوء، وإنما في الصلاة فقط لاحظ ج١ / ٣٢٠، المسألة ٣، فصل في الشك.

(٣) لاحظ منهج الصالحين: ١/ ٤١، المسألة:١٩٦، ذكر الوسواسي في أحكام الخلل في الوضوء بينما في الصلاة قال بكثير الشك، في ص ٢٢٨، المسألة٩٤٣، في فصل الشك.

(٤) لاحظ تعليقته على الفتاوى الواضحة، فلم يذكر سماحته حكم كثير الشك في باب الطهارة، وذكره في باب الشك في الصلاة، وكذلك لاحظ كتابه (مسائل في الحج والعمرة: ص ٨٤) يقول في جوابه على سؤال: هل يسري حكم كثير الشك لمن يشك في عدد أشواط الطواف؟ ج: إنّ الذي لا يعتني بشكّه هو الوسواسي.

(٥) تحرير الوسيلة: ١ / ١٩٢، القول في الشكوك التى لا اعتبار بها.

(٦) توضيح المسائل: ٨٢، المسألة ٣١٥، أحكام الوضوء، وص ٢٣١، المسألة ٩٦٢، الشك في الصلاة.

(٧) كلمة التقوى: ١ / ١٢٤.

(٨) جامع المسائل: ١ / ٥٨٩، المسألة ٢٠٧٦، قال: إن شك في أيّ مسألة عدة مرات، فلا يعتني بشكه.

(٩) صراط النجاة: ٥ / ٦٧، تجري قاعدة كثير الشك في الصلاة والطهارات الثلاث وفي الطواف ولا تجري في غيرها.

(١٠) المسائل الفقهية، السيّد محمد حسين فضل الله: ١ / ١٠٩، باب الطهارة و ص ١٦٣، وباب الصلاة ص ٢٩٢ويظهر من كتاب مسائل في الحج: ٢ / ٥٦ ـ ٥٧.

والسيّد علي الخامنئي[1]، والشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني[2]، والسيّد السيستاني[3]، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي[4]، والسيّد محمود الهاشمي[5]، والشيخ محمد آل شبير الخاقاني[6] (أدام الله ظلالهم)، يرون حكم كثير الشك يجري في الطهارة أيضاً، بل بعضهم حتى في أحكام الحج كمن يشك في عدد أشواط الطواف أو السعي.

إذن هذه القاعدة تنفع كثير الشك فعند تطبيقها (ولا بدّ من ذلك) يتخلّصون من تلك الشكوك ويكونون في بال مطمئن؛ لأنّ الفقهاء ومراجع الدين أفتوا بذلك وهذا هو المراد من المؤمنين، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[النحل: ٤٣].

٧ـ قاعدة الصحة

إنّ قاعدة أصالة الصحة، المقصود بها أنّه لو صدر فعل ـ عقد بيع وشراء كان أو إيقاعاً أو تطهير شيء أو صلاة استيجار أو غير ذلك ـ وشك في كونه صحيحاً يترتّب عليه الأثر أو باطلاً لا يترتّب عليه أثر، فبأصالة الصحة يحكم بكونه صحيحاً ذا أثر[7].

---

(١) موجز مناسك الحج، السيّد علي الخامنئي، إعداد السيّد كاظم الجابري، مؤسسة الإسلام الأصيل، فهو يرى أحكام كثير الشك تجري في مسائل الحج.

(٢) هداية العباد: ١ / ٢٨.

(٣) منهاج الصالحين: ١ / ٤٦، المسألة١٤٨وص ٢٥٩، المسألة ٨٤٩.الطبعة الجديدة، مناسك الحج وملحقاتها:١٩٠، الهامش١، السؤال ٣.

(٤) توضيح المسائل: ٥٧، المسألة ٣٢٥ ، أحكام الوضوء، وص١٩٠، المسألة ١٠٦١، شكوك الصلاة ، مناسك الحج: ١١١/ المسألة ٢٠٩.

(٥) منهاج الصالحين: ١/ ٤٩، المسألة ١٤٨، أحكام الخلل في الوضوء، وص ٢٤٩، المسألة ٨٤٩، الشك في الصلاة.

(٦) منهاج الصالحين: ١ / ٥٠، المسألة ١٤٨، أحكام الشك في الوضوء، وص ٢٦٠، المسألة ٨٤٩، الشك في الصلاة.

(٧) القواعد الفقهية، الشيخ باقر الأيرواني، دار الفقه، قم، ط ٥، ١٤٣٢هـ: ١ / ٧٤.

فمتى ما أخبر إنسان أنّي بعت داري، أو عقدت على امرأة، أو طهرت ثوبي يصدق إخباره، ويحمل على كون فعله صحيحاً، ولا شك في صحة بيع داره، أو عقده على المرأة، أو تطهيره للثوب، وإذا أراد شخص أن يشكك ويقول لعلّه لم يعصر الثوب جيداً، أو لعلّه لم يجرِ العقد بالماضوية أو ...، حمل ذلك منه على الشذوذ والوسواس[1].

وقد استند الفقهاء إلى عدّة أدلّة على هذه القاعدة منها، ما ذكره السيّد الخوئي قدس سره في كتابه (مصباح الأصول: ج٣)، وآخرون: ويستدل ثانياً على أصالة الصحة (بالسيرة القطعية من جميع المسلمين المتدينين على ترتيب آثار الصحة على أعمال الناس من العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات ولذا لا يقدم أحد على تزويج امرأة لاحتمال كون العقد الواقع بينها وبين زوجها باطلاً وهذه السيرة متّصلة بزمان المعصوم عليه السلام ولم يردع عنها)[2].

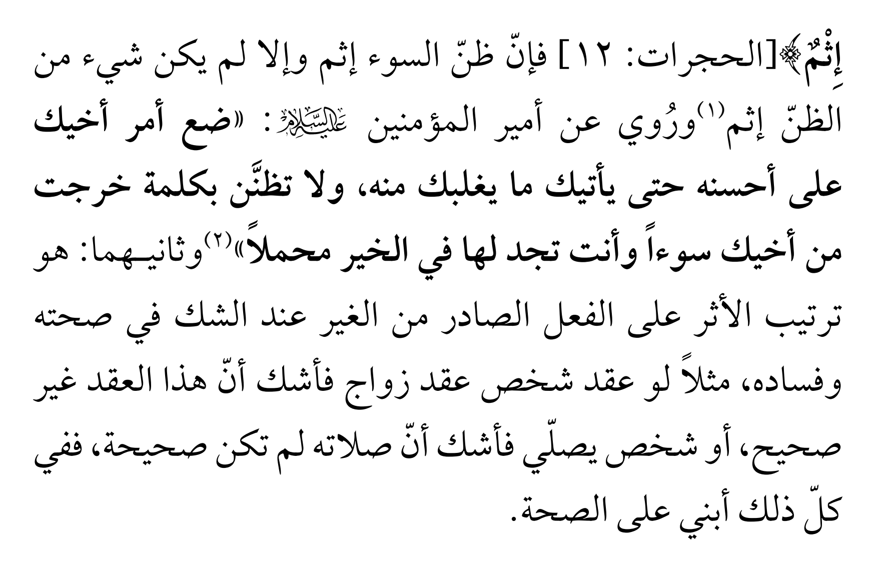
ولنـا على هذه القاعدة عدّة تنبيهات

١ـ الصحّة عند الفقهاء تطلق على معنَيَيْن، أحدهما: الصحة في مقابل القبيح يعني دائماً نحمل الآخرين ـ من المؤمنين ـ على الشيء الحسن حتى لو احتملنا القبح المحرم عندهم، (فلو سمعنا بشخص يغتاب آخر ولا نعلم هل المغتاب يستحقّ الغيبة أم لا؟ فيحمل فعل القائل على الصحة ما لم يعلم فساده ..)[3]واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ**

(١) المصدر السابق: ٧٧.

(٢) القواعد الأصولية والفقهية: ٣/ ٩٥.

(٣) مضمون كلام الشيخ الأنصاري، حكاه السيّد الخوئي في مصباح الأصول، راجع القواعد الأصولية والفقهية: ٣/ ٩٩.



إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢] فإنّ ظنّ السوء إثم وإلا لم يكن شيء من الظنّ إثم[1] ورُوي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنَّن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً**»[2] وثانيهما: هو ترتيب الأثر على الفعل الصادر من الغير عند الشك في صحته وفساده، مثلاً لو عقد شخص عقد زواج فأشك أنّ هذا العقد غير صحيح، أو شخص يصلّي فأشك أنّ صلاته لم تكن صحيحة، ففي كلّ ذلك أبني على الصحة.

٢ـ هناك خلاف بين الفقهاء هل تجري قاعدة الصحة في فعل الغير ـ يعني في تصرفات الناس ـ أم في فعل الشخص نفسه؟ بعضهم قال إنّها مختصّة في فعل الغير فقط، مثلاً إذا عمل شخص عملاً معيّناً، كعقد زواج، أو صلّى وهكذا، فنحكم بصحّة عمله ببركة هذه القاعدة وهذا ما ذهب إليه الميرزا النائيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما أفعال النفس فتجري فيها قاعدة الفراغ، فمثلاً لو صليت وبعد إتمام الصلاة شككت في صحة صلاتي فأحكم بصحتها ببركة قاعدة الفراغ؛ لأنّ مفادها كما تقدّم إذا فرغت من عمل وشككت بصحته تبني على الصحّة لأنّك فرغت منه، وقال بعض المعاصرين يمكن أن تجري قاعدة الصحة حتى في أفعال النفس من ناحية الإخلال ببعض أجزائها وشرائطها أو وجود بعض موانعها[3].

(١) فرائد الشيخ الأنصاري، نقلناه من القواعد الأصولية والفقهية: ٣ / ٩٣.

(٢) أصول الكافي، الشيخ الكليني تحقيق شمس الدين، دار التعارف بيروت: ٢ / ٣٤٦، باب ١٥٢ ـ التهمة وسوء الظن، ح٣.

(٣) الشيخ مكارم في القواعد الفقهية: ١ / ١٥٢ والشيخ باقر الأيرواني في تفسير آيات الأحكام: ٢ / ٧٠٥.

طبعاً هذه القاعدة تجري على عامة الناس، أما الوسواسي فهو مأمور بترك كلّ شك، فلا يحتاج إلى هذه القاعدة حينئذ، ولكنه مع ذلك لو خالف الحكم الشرعي (القاضي بترك الوسواس) وأصرَّ على الاعتناء بشكوكه! فعليه أن يطبق هذه القاعدة على أقلّ تقدير، ويلتزم بها كما هو عليه عامة الناس، فلا يجوز أن يحكم على الآخرين بأنّهم غير ملتزمين بالأحكام سواء في باب الطهارة أو غيرها من الأفعال، سواء كانوا أهله أم غيرهم، فعليه أن يحكم على الجميع بالصحة، بل حتى الأشياء التي يستخدمونها من أوانٍ أو غيرها بحسب ما جاء في هذه القاعدة أي يحكم عليها بالطهارة أو الحلية وهكذا.

هذا ما أحببت ذكره من القواعد الفقهية، وهي كثيرة لكن الذي يناسب المقام أوردناه مع التوضيح والاختصار، وهناك قواعد أخرى تلتقي مع ما ذكرنا في المضمون والروح، مثل (قاعدة لا ضرر)، و(قاعدة الحل: كلّ شيء لك حلال حتى تعرف أنّه حرام)[1] لم نذكرها خوفاً من الإطالة.

ثالثاً: الفتــاوى

والآن نذكر فتاوى الفقهاء ومراجع الدين في مسألة الوسواس وكثرة الشك، من باب الإلزام الشرعي وبلوغ الحجة على هؤلاء الناس الذين يعتنون بالوساوس؛ كي لا يبقى سبيل أمام الشيطان ليغوي هؤلاء المساكين، ولتكون لهم الحجّة عندما يتركون الاعتناء بالشكوك والوساوس وتبرأ ذمّتهم إن شاء الله تعالى فلا داعي للخوف من بطلان العمل حينما يتركون الالتزام بالوساوس؛ لأنّ فقهاء الأمة يفتونهم بذلك كما سيأتي، ولنشرع

(١) البرهان السديد في الاجتهاد والتقليد: ١ / ١٢٧ وقد اوردت فيما تقدم روايات قاعدة الحل في باب العلاج بالروايات.



بذكـر الفتاوى بعد الاستعانة بالله عزّ وجلّ وهي كما يلي[١]:

١ـ آيـة اللـه العظمـى السيّد أبو القاسم الخوئـي (قدس سره): (مسألة ١٤٨) وأما الوسواسي (وهو مَن لا يكون لشكّه منشأ عقلائي بحيث لا يلتفت العقلاء إلى مثله) فلا يعتني بشكّه مطلقاً[٢].

٢ـ آيـة اللـه العظمـى الشيخ حسين الوحيد الخراساني (دام ظله)، فقد وافق سماحتـه أستاذه السيّد الخوئي (رحمه الله)، في تعليقته على منهاج الصالحين.

٣ـ آيـة اللـه العظمـى السيّد روح الله الخمينـي (قدس سره): (مسألة ٨) وأما الوسواسي فالظاهر أنّه لا يعتني بالشك وإن كان في الوقت[٣].

٤ـ آيـة اللـه العظمـى السيّد علي السيستاني (دام ظله): (مسألة ٨٤٧) حكم الوسواسي في الإتيان بالصلاة وعدمه أن لا يعتني بشكّه فيبني على الإتيان بها وإن كان في الوقت والأظهر إلحاق كثير الشكّ به في ذلك[٤].

٥ـ آيـة اللـه العظمـى السيّد كاظـم الحـائري (دام ظله)، فقد وافق سماحتـه أستاذه السيّد الشهيد مـحـمد باقر الصدر (قدس سره) في تعليقته على كتاب الفتاوى الواضحة صفحة ٦٣٤ فراجع.

٦ـ آيـة اللـه العظمـى السيّد محسن الحكيم (قدس سره): (مسألة ١) من شكّ ولم يدْرِ أنّه صلّى أم لا، فإن كان في الوقت صلّى، وإن كان

(١) سنذكر تسلسل اسماء الفقهاء بحسب الحروف الأبجدية.

(٢) منهاج الصالحين: ١ / ٤٠، فصل نواقض الوضوء.

(٣) تحرير الوسيلة: ١ / ٢٠٠.

(٤) منهاج الصالحين: ١ / ٢٥٨ الطبعة الجديدة.

بعد خروج الوقت لم يلتفت، إلى أن قال ـ وأما الوسواسي فيبني على الإتيان وإن كان في الوقت...[1]

٧ـ آية الله العظمى السيّد محمد الصدر قدس سره: (مسألة ١٦٩) وأما الوسواسي فله أن لا يعتني بشكّه مطلقاً بل الأحوط له ذلك وجوباً، والمراد به من لا يكون لشكّه منشأ عقلائي والأحوط وجوباً مع ذلك كون شكّه متكرّراً عرفاً[2].

٨ـ آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض دام ظله: (مسألة ١٥٠): وأما الوسواسي (وهو مَنْ لا يكون لشكّه منشأ عقلائي بحيث لا يلتفت العقلاء إلى مثله) فلا يعتني بشكّه مطلقاً[3].

٩ـ آية الله العظمى السيّد محمد باقر الصدر قدس سره: (مسألة ٥٣) إذا كان ممن تتراكم عليه الشكوك في هذه الناحية على نحو يبدو أنّه شاذ ومفرط في الشك فلا يكترث بشكّه[4].

١٠ـ آية الله العظمى السيّد محمد كاظم اليزدي قدس سره صاحب العروة الوثقى: (مسألة ١) لا اعتبار بعلم الوسواسي في الطهارة والنجاسة[5] و(مسألة ٥): الوسواسي يرجع في التطهير إلى المتعارف، ولا يلزم أن يحصل له العلم بزوال النجاسة[6] و(مسألة

(١) منهاج الصالحين: ١/ ٣١٩، الشك في الصلاة، تعليق السيّد محمد باقر الصدر، وقد وافقه في ذلك.
(٢) منهج الصالحين: ١ / ٤٢ نلفت النظر إلى وجود خلاف في هذا الاحتياط بين الطبعات لكتاب منهج الصالحين.
(٣) منهاج الصالحين: ١ / ٦١، في أحكام الخلل في الوضوء.
(٤) الفتاوى الواضحة: ٦٣٤ تعليقة السيّد الحائري.
(٥) العروة الوثقى: ١ / ٦٥، فصل في طرق ثبوت النجاسة، أي لا يجب عليه تحصيل العلم بالطهارة، ولا يعتمد على إخباره بالنجاسة، المصدر، و الهامش ٣، علماً أنّا اعتمدنا على العروة بتعليقة السيّد الخوئي فقط.
(٦) العروة الوثقى: ١ / ١١٦ وقد وافقه السيّد الخوئي.

١٩): الوسواسي الذي لا يحصل له القطع بالغسل يرجع إلى المتعارف[١] و(مسألة ٤٦): لا اعتبار بشك كثير الشك سواء كان في الأجزاء أو في الشرائط أو الموانع[٢].

وهناك فقهاء آخرون يذهبون إلى الرأي نفسه كما سنشير إلى بعضهم فيما يـأتي إن شاء الله تعالى، بل المسألة مـجمع عليها عند الفقهاء.

مسائل يتعلّق بها الشك

هناك جملة من المسائل والقضايا في الحياة اليومية يُبتلى بها الناس فيسألون عن حكمها الشرعي، وما هو تكليفنا؟ وما الذي نصنعه؟ وهذه المسائل لم تكن خاصة بأهل الوسواس أو بكثيري الشك فقط بل تعمّ جميع الناس، نذكرها لتعمّ الفائدة، وإن كان الوسواسيون أكثر حاجة إليها كما يبدو من حالهم، وهي كما يلي:

أولا: مسائل في الطهارة

١ـ إذا شككنا في أن هذا السؤر ـ يعني الباقي من الماء الذي شُربَ منه ـ أهو سؤر حيوان طاهر، أو حيوان نجس، فهو طاهر للأصل[٣].

٢ـ إذا شككنا في هذا الأحمر هل هو دم أو لا فهو طاهر[٤].

٣ـ إذا علمنا أنّ هذا دم، وشككنا في أنّه من حيوان له نفس سائلة كي

(١) العروة الوثقى: ١ / ١٤٧ وقد وافقه السيّد الخوئي.

(٢) العروة الوثقى: ١ / ١٧٣ وقد وافقه السيّد الخوئي.

(٣) فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ١ / ٣٦.

(٤) المصدر السابق.

يكون نجساً، أو من غيره، كي يكون طاهراً، فهو طاهر للأصل[١].

٤ـ إذا شككنا في أنّ هذا الحيوان جلّال ـ أي يأكل قذارة الإنسان ـ أو لا فهو طاهر للأصل[٢].

٥ـ إذا أصابت النجاسة اليابسة جسد الإنسان أو ثوبه من دون رطوبة مسرية فلا شيء عليه وهو طاهر، وقد سُئل الإمام الكاظم عليه السلام عن الرجل يمشي في العذرة، وهي يابسة، فتصيب ثوبه ورجليه: هل يصلح أن يدخل المسجد، فيصلّي ولا يغسل ما أصابه؟ قال عليه السلام: **إن كان يابساً فلا بأس**[٣].

٦ـ مَن كان على يقين أنّه متوضئ وبعدها شكّ هل بطل وضوؤه أم لا؟ بنى على أنّه متوضئ ولا يحتاج إلى وضوء جديد، وهذه المسألة متّفق عليها[٤].

٧ـ إذا تيقّن بعد الفراغ من الوضوء أنّه ترك جزءاً منه ولا يدري هل الجزء الواجب، أو المستحب؟، فالظاهر الحكم بصحّة وضوئه[٥].

٨ـ إذا شك في أنّ هذا الماء نجس أو طاهر اعتبره طاهراً[٦] ولا شيء عليه.

٩ـ إذا مرَّ في طريقه ووجد ماءً متساقطاً فيه، يحكم بطهارته، حتى لو سقط على ملابسه أو جسمه، فلا يجب عليه أن يطهّره، حتى

---

(١) المصدر السابق.

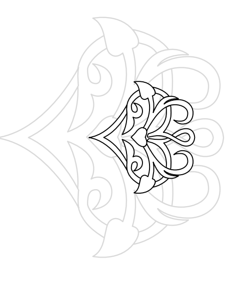
(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) راجع على سبيل المثال منهاج السيّد الخوئي، والسيّد السيستاني، ومنهج السيّد الصدر وغيرهم.

(٥) أيضاً المسألة وفاقية.

(٦) أيضاً المسألة وفاقية راجع على سبيل المثال الفتاوى الواضحة: ١٧٦، وتعليم الأحكام، للسيد الخامنئي: ٣٥.



لو شك أنّه قد تنجّس مثلاً بشرب كلب، أو سقوط نجاسة فيه كالبول.

ثانيــاً: مسائل في الصلاة

اتّفق الفقهاء على مسائل تقع فيها الشكوك ولا يعتني بها عند الشك والبناء على الصحة دائماً وهي كما يلي:

١ـ الشك في شيء بعد تجاوز محلّه، مثل أن يشك وهو راكع في أنّه هل قرأ الحمد أو لا؟ يبني على أنّه قرأها ولا شيء عليه.

٢ـ الشك بعد التسليم، فلو شكّ في صحة أيّ شيء من الصلاة يبني على صحّتها.

٣ـ الشكّ بعد مضي الوقت، مثلاً في الليل وأشك هل صلّيت صلاة الظهر؟ أبني على أنّي قد صلّيتها، وكذلك لو شككت بصحّتها تبني على الصحة.

٤ـ شكُّ كثير الشك، فلا يعتني بشكّه، ويبني على صحة الصلاة دائماً كما مرّ تفصيله في قاعدة لا شك لكثير الشكّ.

٥ـ الشك في الصلوات المستحبّة، فبإمكانه أن يبني على صحتها دائماً، مثلاً لو شكّ أنّه في الركعة الثالثة أو الثانية يبني على الثانية؛ لأنّها الصورة الصحيحة.

٦ـ إذا كبّر تكبيرة الإحرام وشك هل هي صحيحة أم لا؟ بنى على صحّتها.

وتجدر الإشارة إلى مسألة النيّة وهي من أكثر المسائل ابتلاءً عند الأخوة

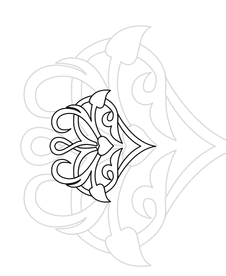
الوسواسيين وكثيري الشك، فترى بعضهم يسأل بشكلٍ دائم عن النية، وعندما يتوجّه للصلاة وكأنّ على رأسه السيف يقول لا أستطيع أن أستحضر النية فلا يستطيع البدء بالصلاة، أو يدخل في الصلاة بعد شقّ الأنفس! وبعض الأحيان يترك الصلاة ويؤجّلها إلى وقت آخر! وهكذا.لكن الذي يهون الخطب أنّ النيّة من أيسر المسائل في الفقه لا تحتاج إلى كلّ هذا العناء، ويعني بها الفقهاء القصد إلى الفعل على نحو يكون الباعث إليه أمر الله تعالى، ويكون القصد في القلب فلا يحتاج إلى التلفّظ أو إخطارها في الذهن، وحسب تعبير بعض الفقهاء: (يكفي وجود الداعي القلبي)والقصد في القلب لا يحتاج إلى مؤنة توضيح ولكن مع ذلك نضرب له مثالاً وهو أنك حينما تخرج من البيت وتريد أن تذهب إلى السوق فلا داعي لأن تقول نويت أن أذهب إلى السوق أو تخطر ذلك في ذهنك، إنّما هو القصد في القلب فحينما يسألك شخص إلى أين أنت ذاهب؟ فهل تتردّد وتبقى متحيّراً في إحضار الجواب لأنّ نيتك لم تحضر في نفسك؟، أم يكون جوابك على الفور إني ذاهب إلى السوق، وهذا هو معنى النيّة عند الفقهاء في العبادات حينما تريد أن تصلي تقصد ذلك في قلبك أو عندما تريد ان تتوضّأ، أو حينما تريد أن تدفع الزكاة أو الخمس يكون القصد في القلب متقرّباً إلى الله سبحانه، يقول السيّد الخميني قدس سره: الوسوسة في النية لعلّها أكثر أضحوكة وأعجبها بين أنواع الوسوسات لأنّه إذا أراد أحد أن يقوم بكلّ قواه وفي جميع عمره أن يأتي بأمر واحد اختياري بدون نية لا يمكن له أن يكون هذا في عهدته ومع ذلك تجد واحداً مسكيناً مريض النفس وضعيف العقل يعطّل نفسه في كلّ صلاة فترة طويلة لكي توجد صلاته مع النية والعزم، فمثل هذا الشخص كمن يتفكّر مدة مديدة لأن يهيّئ نية وعزماً لذهابه إلى

السوق والتغذية، فالصلاة التي ينبغي أن تكون لهذا المسكين معراج قربه ومفتاح سعادته وبالتأدّب بآدابها القلبية والاطلاع على أسرار هذه اللطيفة الإلهية يكمل ذاته ويؤمن النشأة الحياتية، فهو يغفل عن ذلك كلّه بل لا يراها ضرورية لنفسه بل يعدّ جميعها باطلة ويصرف ـ أو يهدر ـ رأس ماله العزيز في خدمة الشيطان وإطاعة الوسواس الخناس ويجعل عقله الموهوب من الله سبحانه الذي هو نور الهداية محكوماً لحكم إبليس[1]

وجاء في المحجة البيضاء: الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل أو جهل بالشرع لأنّ امتثال أمر الله مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حقّ القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال: نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضيلته متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظماً إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة، واشتراط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كالاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيماً، فإنّه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً، ثم هذه الصفات لا بدَّ وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة، ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنّما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكّراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنّه لم يفهم النية..الخ[2].

(١) الآداب المعنوية للصلاة، السيّد الخميني، تعريب أحمد الفهري: ٢٩٠.

(٢) المحجة البيضاء، الشيخ الفيض الكاشاني، انتشارات حسنين، ط ١، ١٤٢٦هـ، قم: ١ / ٣٠٣.



تنويـه

لا بأس بأن نلفت نظركم إلى مسألة التأكيد على إخلاص النية في الروايات وكلام العلماء لا سيما علماء الأخلاق، فإذا كانت النيّة بهذه السهولة التي ذكرناها آنفاً لماذا يؤكد العلماء على إخلاص النية؟ ومن هذا فمن حقّ الوسواسيين أن يهتموا بالنية وأن يتردّدوا لأنّها في غاية الخطورة.

والجواب هو أنّ التأكيد ليس كما يتصوّره هؤلاء، بل المقصود بإخلاص النية هو عدم إدخال الرياء في النية، وكما يعبّر العلامة المجلسي رحمه الله: إرادة وجه الله سبحانه وحده[1].

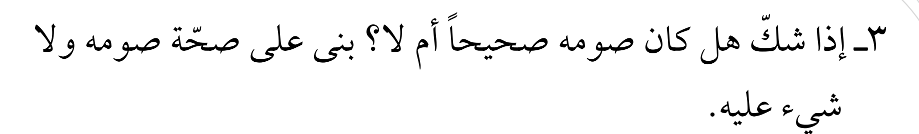
إذاً النتيجة النهائية لمعنى النية هو القصد بالقلب قربة إلى الله للفعل الكذائي، وقد تسأل أريد أن توضح لي الفكرة أكثر؟ أقول: عندما تريد أن تصلّي تقصد بقلبك ذلك وتتوضأ وتذهب تقف في مصلاك متّجهاً نحو القبلة وتكبر تكبيرة الإحرام وتمضي في صلاتك بكلّ بساطة وسهولة، لا تحتاج إلى تأمّل أو تردّد أو تفكّر، وهذا هو المراد منك وهو الذي عليه المتشرّعة وما أفتى به فقهاء المسلمين.

ثالثـاً: مسائل في الصوم

١ـ إذا شكّ المكلّف هل عليه قضاء صوم من العام الماضي أم لا؟ لا يجب عليه القضاء ولا شيء عليه.

٢ـ إذا شكّ هل عليه قضاء يومين أو ثلاثة أيام؟ يجب عليه أن يقضي يومين فقط.

(١) بحار الأنوار: ٦٧ / ١٢٢، ب٥٣، النية.



٣ـ إذا شكّ هل كان صومه صحيحاً أم لا؟ بنى على صحّة صومه ولا شيء عليه.

٤ـ إذا علم أنّه أفطر يوماً ولكن لا يدري هل أفطر بعذرٍ شرعي لكي يجب عليه القضاء فقط، أو بدون عذر لكي يجب عليه القضاء والكفارة معاً فما هو تكليفه؟ والجواب: يقضي ولا كفارة عليه.

رابعاً: مسائل متفرّقة

١ـ إذا أردت أن أشتري من شخص شيئاً ما وشككت في غصبه لهذه السلعة، يجوز لي الشراء؛ ما دمت غير متيقّن ولا علم لي بذلك، فالشكّ لا يترتّب عليه أثر في الشرع.

٢ـ إذا أردت أن أبيعه شيئاً ما وشككت في أمواله أنّها حرام أو بعضها، يجوز لي البيع وقبض هذه الأموال منه.

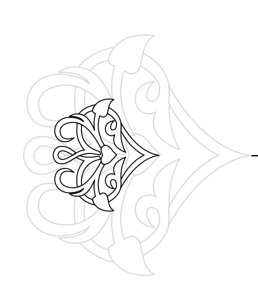
٣ـ لو دعاني شخص لوليمة، أو حللت ضيفاً عنده وأشكّ في مصدر أمواله لعلّها من الحرام، هل يجوز أن آكل منها؟ نعم يجوز، بل أكثر من ذلك حتى لو كنت على علم ويقين بأنّ بعض أمواله حرام يجوز الأكل منه ما دام له أموال أخرى من الحلال، وتُسمّى بـ (أموال شبهة).

٤ـ أذهب إلى السوق وأجد لحماً يباع فيه ولكني أشكّ هل ذُبحت بالطريقة الشرعية أم لا؟ يجوز الشراء والأكل منها لأنّ سوق المسلمين أمارة على الحلّية.

٥ـ إذا أراد شخص أن يتزوج من امرأة زواجاً دائماً، أو متعة وقالت له

أنا مطلقة أو أرملة وهو لا يعرف عنها شيئاً، وقد شكّ بحقيقة الأمر فهل يجوز أن يتزوج منها؟ نعم يجوز الزواج منها.

وغير ذلك من المسائل الفقهية الكثيرة المودعة في مصادر الفقه الإسلامي.



الوسواس في استفتاءات الفقهـاء

سنذكر هنا جملة من الاستفتاءات التي وردت من مراجع الدين من مختلف شرائح المجتمع، ومن بلدان مختلفة، وهي عبارة عن إرشادات هامّة لهؤلاء الناس المبتلين بالوسواس، وهي بالحقيقة عبارة عن طلبهم العلاج من الفقهاء لهذه المشكلة إيماناً منهم أنّ العلاج عند مراجع الدين وفقهاء الأمّة، وامتثالاً للآية المباركة: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[النحل: ٤٣]؛ لأنّ الفقهاء أطباء الأرواح واقعاً، وسأقتصر على الاستفتاءات المتوفّرة في الكتب الاستفتائية، لأنّه قد تقدّم شطر من الفتاوى التي أخذناها من الرسائل العملية، والآن نأتي بالاستفتاءات كما يلي[1]:

سماحة آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي قدس سره

سؤال ما هو حكم الوسواسي؟

١ـ بالنسبة إلى الشك في أفعال الصلاة وأجزائها وهل هو مشابه لحكم كثير الشك مع فارق بأنه كثير الشك في كلّ شيء وليس في مورد معيّن أي هل يبني على الصحّة في كلّ ما يشكّ به ولا يعتني بشكّه مطلقاً؟

ج: حكم كثير الشك يقتصر على الصلاة، وأمّا في الوسواسي لا يختصّ فلا يعتني به في كلّ وظيفة من صلاة وغيرها.

(١) ألفت نظر القارىء الكريم إلى أنني سأذكر تسلسل أسماء الفقهاء بحسب حروف الأبجد.

٢ـ وما هو حكمه بالنسبة لأمور الطهارة بحيث لو طبّق قاعدة الاستصحاب فإنّه غالباً بطبعه ولكثرة شكّه ونسيانه سيستيقن بالنجاسة السابقة وسيشكّ في طروء الطهارة؟

ج: كثرة الشكّ غير الوسواس فإن بلغ الوسواس في الطهارة فلا يعتني به وأمّا مجرد كثرة الشك ففيها تعمل بقواعد الشك.

د ـ ثم هل يجب إخبار الغير إذا اعتقد (لكثرة شكه) بأنّه قد يتسبّب في تنجيس ثيابهم وأوانيهم ما دام هؤلاء لا يعتمدون على إخباره بالنجاسة، كما تشيرون في تعليقتكم على رسالة (العروة الوثقى) للسيد اليزدي رحمه الله ؟

ج: لا يعتني الوسواسي باعتقاد النجاسة لوسواسه ولا يجب إخبار الغير أيضاً في مورد الاعتقاد بها لغير وساوسه أيضاً إلا ما فصلناه في تعليقتنا على المسألة في العروة[1].

سماحة آية الله العظمى الشيخ الميرزا جواد التبريزي قدس سره[2]

(س ٢١٦):

١ـ ما حكم الوسواس وهو لا يطمئن بسرعة وكيف يمكن أن ينهي غسله مع عدم حصول الاطمئنان بغسل تمام يده فماذا يفعل؟

بسمه تعالى: لا يجب عليه الاطمئنان بصحة غسله بل يكفي احتمال الصحة في البناء على الصحة وعدم الاعتناء بالشك، والله العالم.

(١) منية السائل، للسيد الخوئي: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) الشيخ التبريزي هو أحد مراجع التقليد الكبار وقد تلمذ عند السيّد الخوئي في النجف الأشرف، عاد إلى بلاده وحل في مدينة قم المقدسة، وأصبح أستاذاً في حوزة قم المقدسة، حتى أضحى من كبار مراجع الدين، فتخرّج على يده جمع من العلماء، والفضلاء والخطباء، وله مؤلفات قيمة في الفقه والأصول والعقائد وعلم الرجال، توفي عام ١٤٢٧هـ.

٢ـ ما حكم المكلف الذي يشك أنّه وسواسي أم لا؟ يشك أنّه قد تحقّق في غسله هذا الشرط المذكور في المسألة وهو (إذا أزاد في غسل اليد اليسرى من اليدين في الماء) أم لا؟

بسمه تعالى: إذا قيل له عند الناس وسواسي فيجري عليه حكم الوسواسي من عدم الاعتناء بشكّه في تمام موارد وسوسته ومنها غسل اليد اليسرى في الوضوء، والله العالم[١].

سماحة آية الله العظمى السيّد علي الخامنئي دام ظله

(س ٣١): منذ عدة سنوات وأنا مبتلى ببلية الوسواس، وهذا الموضوع يعذّبني جداً، ويوماً بعد يوم تشتدّ حالات الوسواس هذه، حتى أنّي أشكّ في كلِّ شيء، وحياتي قائمة على الشكّ وأكثر شكّي حول الطعام والأشياء الرطبة ولهذا لا أستطيع التصرّف كباقي الناس الاعتياديين، وعندما أدخل إلى مكان أخلع جواربي مباشرة لأنّني أتصور أن جواربي قد عرقت، وسوف تتنجّس على أثر ملامسة النجس حتى أنّي لا أستطيع الجلوس على السجادة بملابسي فأكون مضطراً إلى تطهيرها بالماء، وفي السابق لم أكن هكذا، ولكني الآن أخجل من أعمالي هذه ودائماً أحبّ أن أرى أحداً في عالم الرؤيا وأطرح عليه أسئلتي، أو أن تقع معجزة تغيّر حياتي وأرجع إلى حالتي السابقة، ولهذا أرجو منكم إرشادي؟

ج: أحكام الطهارة والنجاسة هي نفسها التي فصلت في الرسائل العملية، وشرعاً فإنّ كلّ الأشياء محكومة بالطهارة، إلا التي حكم الشارع بنجاستها، وحصل للإنسان يقين بها، والتخلّص من الوسواس في هذه

(١) صراط النجاة، الشيخ جواد التبريزي: ٥ / ٦٨.

الحالة لا يحتاج إلى الأحلام أو وقوع معجزة، بل يجب على المكلّف أن يضع ذوقه الشخصي جانباً ويكون متعبّداً بتعليمات الشرع المقدّس ويؤمن بها، ولا يعتبر الشيء الذي لا يتيقّن بنجاسته نجساً، أنت من أين لك اليقين بأنّ الباب، والجدار، والسجادة، وسائر الأشياء التي تستخدمها نجسة، وكيف تيقّنت بأنّ شعيرات السجادة التي تمشي أو تجلس عليها نجسة، وأنّ نجاستها سوف تسري إلى جوربك، ولباسك، وبدنك؟! وعلى كلّ حال لا يجوز لك في حالتك هذه الاعتناء بالوساوس، فمقدار من عدم الاعتناء بوسواس النجاسة والتمرّن على عدم الاعتناء سوف يساعدك (إن شاء الله وبتوفيق من الله) على إنقاذ نفسك من قضية الوسواس[1].

(س ٣١١): إنني امرأة عندي عدّة أولاد وخريجة دراسات عليا، والمشكلة التي أعاني منها هي مسألة الطهارة، ولأنّني نشأت في عائلة متديّنة وأريد مراعاة جميع التعاليم الإسلامية وبما أنني صاحبة أولاد صغار فأنا دوماً مشغولة بمسائل البول والغائط، وأثناء تطهير البول فإنّ ترشّحات إناء التخلية (السيفون) تتناثر فتصيب الرجلين، والوجه وحتى الرأس أيضاً وفي كلّ مرة تواجهني مشكلة تطهير تلك الأعضاء، وهذه سببّت لي مشاكل عديدة في حياتي، ومن ناحية لا يمكنني عدم مراعاة هذه الأمور لأنّها ترتبط بعقيدتي وديني، حتى أنّني راجعت طبيباً نفسانياً، ولكن لم أحصل على نتيجة، بالإضافة إلى أمور أخرى أعاني منها من قبيل غبار الشيء النجس، أو مراقبة أيدي الطفل النجسة التي إما يجب أن أطهّرها أو أبعدها عن ملامسة أشياء أخرى، علماً أنّ تطهير الشيء النجس عمل شاق جداً بالنسبة

(١) أجوبة الاستفتاءات: للسيد الخامنئي، طبعة الدار الإسلامية ذات المجلد الواحد: ١ / ٥٩، الوسوسة وعلاجها.

لي لكن في الوقت نفسه يسهل عليّ غسل تلك الأواني والملابس نفسها حينما تكون متّسخة فقط، ولهذا أرجو من مقامكم الكريم أن تسهّلوا عليّ العيش بإرشاداتكم؟

ج: ١ ـ في باب الطهارة والنجاسة الأصل هو الطهارة في نظر الشارع المقدّس يعني في أيّ موضع يحصل لك أقل تردّد في حصول النجاسة فالواجب أن تحكمي بعدم النجاسة.

٢ ـ الذين لديهم حساسية نفسية شديدة في أمور النجاسة (ومثل هذا يسمّونه وسواساً في اصطلاح الفقه الإسلامي) حتى إذا تيقّنوا بالنجاسة في بعض الموارد يجب عليهم أن يحكموا بعدم النجاسة باستثناء الموارد التي يشاهدون حصول التنجّس بأعينهم، بحيث إذا رآه أيّ شخص آخر يجزم بسراية النجاسة، ففي مثل هذه الموارد فقط يجب أن يحكموا بالنجاسةوهذا الحكم مستمرّ بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص حتى ترتفع الحساسية المذكورة كلياً.

٣ ـ كلّ شيء أو أيّ عضو يتنجس يكفي في تطهيره، بعد زوال عين النجاسة غسله مرة واحدة فقط من ماء الأنبوب، ولا يجب التكرار في الغسل، أو الوضع تحت الماء، وإذا كان ذلك الشيء المتنجّس من القماش وأمثاله يعصر بالمقدار المتعارف حتى يخرج منه الماء.

٤ ـ وبما أنّك مبتلاة بتلك الحساسية الشديدة في مقابل النجاسة فاعلمي أنّ الغبار النجس ليس نجساً في أية صورة بالنسبة إليك ومراقبة يد الطفل الطاهرة، أو النجسة، غير لازمة، ولا يلزم التدقيق في أنّ الدم زال عن البدن أم لا، وهذا الحكم باقٍ بالنسبة لك إلى أن تزول منك هذه الحساسية كلياً.

٥ ـ الدين الإسلامي لديه أحكام سهلة وسمحاء، ومنسجمة مع الفطرة البشرية فلا تعسّريها عليك ولا تلحقي الضرر والأذى بجسمك وروحك من جراء ذلك، وحالة القلق والاضطراب في هذه الموارد تضفي المرارة على الأجواء الحياتية، وأنّ الباري عزّ اسمه غير راضٍ عن عذابك وعذاب مَنْ ترتبطين معهم، اشكري نعمة الدين السهل، وشكر تلك النعمة عبارة عن العمل طبقاً لتعاليمه تعالى.

٦ ـ هذه الحالة حالة عابرة وقابلة للعلاج، وكثير من الأشخاص بعد الابتلاء بها استراحوا منها بالعمل وفقاً للتدريب المذكور، توكّلي على الله تعالى، وأريحي نفسك بالهمة والإرادة[١].

(س ٨٢٦): أنا شخص كثير الشك، أو بتعبير أدق كثير الوسوسة، وخصوصاً في المسائل الدينية، لا سيما فروع الدين والمسائل الشرعية، ومن تلك الموارد: أنني في شهر رمضان الماضي شككت في أنّه هل دخل في فمي غبار غليظ وابتلعته أم لا؟ وأنّ الماء الذي أدخلته إلى فمي هل أخرجته ولفظته أم لا؟ فهل صومي صحيح أم لا ؟

ج: صومك في مفروض السؤال محكوم بالصحة، ولا اعتبار بمثل هذه الشكوك[٢].

سماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني دام ظله

(س ٢٠٩): قد ألمَّ بي أمر وهو أني أشعر بشيء من الريح يخرج مني في أثناء الصلاة وفي كلّ صلاة حتى وصل بي أن أعيد صلاتي كلّ مرة أو

(١) المصدر السابق: ٦٠.

(٢) المصدر السابق، كتاب الصوم: ١٥٦.

أشكّ في صحتها، وأيضاً في بعض الأحيان يخرج الريح ولا أستطيع أن أصلّي صلاة طبيعية بمعنى أشكّ في كلّ صلاة فما هو الحلّ؟ هل أصلّي ولا ألتفت إليها حتى لو خرج مني الريح لأنّي كما قلت لا أميّز بين خروجه أو لا، وأيضاً يحدث لي في غسل الجنابة ذلك الأمر بمعنى أشعر بخروج الريح فأشك في أمرها مع العلم أصبح حالي شبيه الوسواسي؟

ج: هذا من وساوس الشيطان فلا تعتنِ بها[1].

(مسألة ٢٢): هل هناك فرق عملي في الوظيفة الشرعية بين الوسواسي وغيره؟

بسمه تعالى: لا فرق بين الوسواسي وغيره في الوظيفة الشرعية، فالتكليف واحد، وعلى الوسواسي أن ينتهج الأسلوب المتعارف عند الناس في التطهير، ولا يلزم أن يحصل له العلم بزوال النجاسة[2].

(مسألة ٢٣): شخص يشكّ كثيراً في طهارة الأشياء ونجاستها، فحينما يذهب إلى وليمة يشكّ في الطعام الذي يأكله، وحينما يشتري من سوق المسلمين لحماً أو خبزاً ولبناً وما شابه ذلك، يشكّ في طهارتها، وحينما يذهب إلى الحمام يشكّ في طهارة جداره وأرضه، وحينما يصافح غيره يشك في طهارة يده، وحينما تصيبه قطرة ماء يشكّ في طهارتها، وحينما يدخل المطعم يشكّ..ويشكّ...، فماذا يفعل؟

بسمه تعالى: لا يعتني بشكّه، ويبني على الطهارة، فإنّ هذه من وساوس

(١) الفوائد الفقهية، طبقا لفتاوى السيّد السيستاني، إصدار مكتبه في قم المقدسة ، دار الباقر ـ كربلاء: ١ / ٩٠.

(٢) ٣٠٠٠ سؤال وجواب في مسائل فقهية حديثةمطابقة لفتاوى السيّد السيستاني، إعداد وجمع مناف البغدادي: ١٣.

الشيطان، وقد ورد: «**لا تعودوا الخبيث من أنفسكم**»، وعليه اتباع الشريعة فقط[1].

(مسألة ١٩٥١): في قراءة سورة الحمد أغلط (أخطىء) في كلمة نستعين ممّا يضطرني لأن أقولها جهراً في صلاة الظهر وصلاة العصر ما رأي سماحتكم في هذا الخلف[2] مع العلم أنّي أقول مضطراً؟

بسمه تعالى: اقرأها إخفاتاً وإن كان غلطاً فإنّ ذلك من الوسوسة لا يُعتنى به[3].

(مسألة ٢٦٦٦): أنا مبتلى بالوسواس في الأعمال المكلّف بها كالوضوء والصلاة والطهارة فأشكّ بصحّتها فأقوم بتكرارها أكثر من مرة وسائر الأعمال العبادية بدرجة كبيرة جداً ولا أقدر أن أتخلّص من هذا الشك والوسواس الذي سيدمّر حياتي؟

بسمه تعالى: لا حلّ لهذه المشكلة إلا عدم الاعتناء بالشك ولا عبرة بالشكّ الناشئ من الوسوسة ولا يجب حصول القطع للوسواسي في موارد لزومه لغيره[4].

(مسألة ٢٣٨): ما حكم الشخص الذي يعاني من كثرة الشكّ في غسل الجنابة من حيث وصول الماء إلى أجزاء الجسم المختلفة وخاصة تحت شعر الرأس لدرجة أنّه يستغرق في عملية الغسل ساعتين أو أكثر:

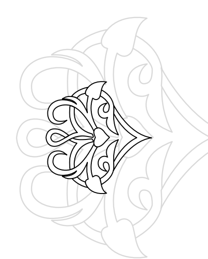
١ـ هل يطلق على مثل هذا الشخص كثير الشك؟ وهل يعتني بشكّه في

(١) المصدر السابق: ١٣.

(٢) في المصدر حلف ولعل الصواب ما أثبتناه إذ لا معنى لذلك.

(٣) المصدر السابق: ٥٥١.

(٤) المصدر السابق: ٧٤٣ـ ٧٤٤.



مثل هذه الموارد؟

٢ـ إذا اعتقد أنه نسي جزءاً معيّناً من الرأس مثلاً بعد أن أكمل غسل الجزء الأيمن وأشرف على الانتهاء من غسل الجزء الأيسر فماذا يفعل في هذه الحالة؟

٣ـ كيف يتحقّق من صحة غسل الرأس (أرجو التوضيح عندما يكون الوضع بالنسبة إلى المرأة)؟

بسمه تعالى: نعم هذا من الوسواس، ولا يجب عليك الاستمرار في الغسل إلا بالمقدار المتعارف ويصح الغسل وإن لم تعلم بوصول الماء.

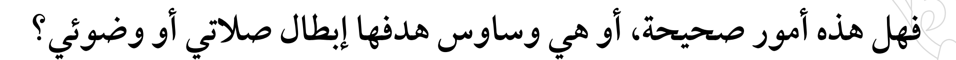
١. لا يعتن به.

٢. لا يجب غسل الشعر والماء يصل إلى البشرة بمجرد الصبّ على الشعر قطعاً، فلا تتّبعي إيحاء الشيطان ووسوسته[١].

سماحة آية الله العظمى السيّد كاظم الحائري دام ظله

(المسألة ٤١): أنا من النوع الذي يدقّق كثيراً في الوضوء والصلاة والأمور الدينية الأخرى، فالآن أنا حينما أتوضأ أدقّق كثيراً وأكرّر وضوئي، وكذلك في الصلاة فأحياناً أقطعها، وأحيانا أفكّر ـ بسبب شكّ صغير ـ في الصلاة فأنوي بقلبي بأنّي سأقطعها وأعاود فأكرّرها من جديد، ولكن قبل أن أهدم الصلاة أفكّر بأنّ ذلك وسواس؛ لأنّه يحدث كثيراً لدي فأعاود تغيير النيّة في قلبي لأكمل الصلاة وبعدها أقول: عليَّ أن أهدم الصلاة؛ لأنّها قد بطلت حينما نويت قطع الصلاة؛ لأنّ العمل يبطل بإبطال النية خلال ذلك العمل،

(١) المصدر السابق: ٧٦.



فهل هذه أمور صحيحة، أو هي وساوس هدفها إبطال صلاتي أو وضوئي؟

الجواب: الحالات التي نقلتها عن نفسك في النية والوضوء والصلاة وساوس شيطانية، ولا علاج لها إلا ترك العمل بها حتى لو أوحى إليك الشيطان بأنّ صلاتك باطلة، وتعوّذ بالله من الشيطان ومن هذه الحالة، والاستمرار على الاعتناء بهذه الشكوك سيؤدّي إلى صعوبة المرض وتعسّر علاجه لا سمح الله[1].

سماحة آية الله العظمى السيّد الشهيد محمد الصدر قدّس سرّه

سؤال ما هو حكم الوسواسي ؟

١ـ بالنسبة إلى الشك في أفعال الصلاة وأجزائها وهل هو مشابه لحكم كثير الشك من حيث إنّه لا يعتني بشكه؟

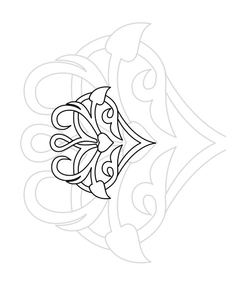
بسمه تعالى: نعم إذا كان شكه إلى حدّ الوسواس.

١ـ وما هو حكمه بالنسبة لأمور الطهارة بحيث لو طبّق قاعدة الاستصحاب فإنّه غالباً بطبعه ولكثرة شكّه ونسيانه سيستيقن بالنجاسة السابقة وسيشك في طروء الطهارة؟

بسمه تعالى: كثرة الشك غير الوسواس فإن بلغ الوسواس في الطهارة فلا يعتني به وأمّا مجرد كثرة الشكّ ففيها تعمل بقواعد الشك.

ج ـ ثم هل يجب إخبار الغير إذا اعتقد (لكثرة شكه) بأنّه قد يتسبّب في تنجيس ثيابهم وأوانيهم ما دام هؤلاء لا يعتمدون على إخباره بالنجاسة؟

(١) الفتاوى المنتخبة، دار المتقين ـ بيروت: ١٣٩.



بسمه تعالى: كلا[١].

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد الفاضل اللنكراني قدس سره[٢]

(السؤال ٢٠٧٦): ما هو تكليف من يشك في بعض المسائل؟

الجواب: إن شكّ في أيّ مسألة عدة مرات، فلا يعتنِ بشكّه.

(السؤال ٢٠٧٧): منذ فترة ابتُليت بمرض الوسواس الخطر فأشكّ في جميع أعمالي، أرشدوني إلى واجبي.

الجواب: واجبكم الشرعي هو عدم الاعتناء بالشك[٣].

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض دام ظله[٤]

سؤال: ما رأيكم بحالة الوسواس التي تعتري الكثير من المؤمنين بحيث نجد بعضهم يعيد الطهارة (الحدثية والخبثية) عدّة مرات؛ لأنّه يقول لم أتطهّر بالصورة الصحيحة، وكذا يعيد الصلاة محتجّاً بعدم تحقّق النية لديه، وكذا يعيد القراءة في الصلاة، لأنّه يقول لا أتلفّظ بالصورة الصحيحة، وهكذا في كثيرٍ من شؤون حياته اليومية، نجده عندما يأتي موعد الصلاة لا

(١) مسائل وردود، السيّد محمد الصدر، ط هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر، بيروت، ٢٠١٠ م: ٢ / ١٧

(٢) الشيخ محمد الفاضل اللنكراني هو أحد مراجع التقليد الكبار في قم المقدسة، من أبرز تلامذة السيّد الخميني، وقد قرّر بحوثه في الطهارة، والبيع، والأصول، وكذلك حضر عند السيّد البروجردي، وقرّر بحثه تحت عنوان (نهاية التقرير)، له مؤلفات قيمة في التفسير والعقائد والأصول أهمها موسوعته الفقهية (تفصيل الشريعة) تصل إلى ٤٠ مجلداً، لبّى نداء ربه عام ١٤٢٨هـ.

(٣) جامع المسائل، للشيخ محمد الفاضل اللنكراني: ١ / ٥٨٩.

(٤) الشيخ الفياض هو أحد مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف، أفغاني الأصل من أبرز تلامذة السيّد الخوئي وقد قرّر بحثه في ١٠ أجزاء في الأصول صدر منها ٥ أجزاء وقد قرّظ لها السيّد الخوئي في حينها، له مؤلفات في الفقه والأصول أهمها موسوعته (المباحث الأصولية، ١٣ جزءاً)، وموسوعته الفقهية (تعاليق مبسوطة على العروة الوثقى، ١٠ ج) لا زال درسه في البحث الخارج مستمراً مدّ الله في عمره.

يفرح بل يتأذّى لهذه الصعوبة التي يلاقيها بسبب اعتنائه بهذه الشكوك، فما هو الحل والعلاج لهذه المشكلة، أرشدونا إليه أيدكـم الباري.

بسمه تعالى: لا يجوز لكثير الشك الاعتناء بشكه فضلاً عن الوسواسي وعليه فالحلّ هو العمل بوظيفته الشرعية وهي عدم الاعتناء بحالة الوسواس وعدم اتباع الشيطان الرجيم بتلك الوساوس ليضله عن أداء أعماله وتكاليفه[١].

سماحة آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله قدس سره[٢]

س ١٣٦٩: أنا شاب كثير الشك في الصلاة، بحيث كلّما انتهيت من جزء أشك في الإتيان به، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الوضوء والغسل، فماذا يجب عليَّ أن أفعل؟

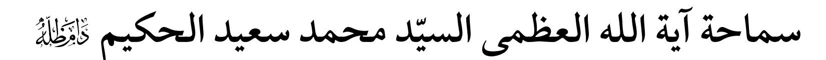
ج ـ ما دمت كثير الشك، فلا ينبغي لك الاعتناء بهذا الشك أبداً، ولا بدّ لك من البناء على ما يصحّ معه العمل، ففي الشك في عدد الركعات تبني على الأكثر، إلا إذا كان الأكثر موجباً لفساد الصلاة، فمثلاً لو شككت في أنّك في الركعة الرابعة أو الخامسة، يوجب فساد الصلاة، وهكذا الأمر في غسل الجنابة، حيث تبني على أنّك أتيت بالجزء المشكوك، لأنّه لا شك لكثير الشك، وعليه دائماً أن يهمل هذا النوع من الشكوك[٣].

---

(١) استفتاء خاص قدمناه لسماحته، بتاريخ ٢٤/ ذي القعدة/ ١٤٣١هـ.

(٢) أحد مراجع التقليد الكبار في لبنان، وُلِد ونشأ في النجف، ودرس على السيّد الحكيم والخوئي، له عشرات المؤلفات في الفقه والعقائد والفكر، ولديه تفسير من وحي القرآن، من ٢٤ جزءاً، أنشأ حوزة دينية في لبنان (المعهد الشرعي الإسلامي)، ودرّس بحث الخارج، وتخرّج منها العديد من العلماء والمجتهدين، توفي في ٤/ ٧/ ٢٠١٠ م.

(٣) المسائل الفقهية، السيّد محمد حسين فضل الله، دار الملاك ـ بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ: ١ / ٢٩٧.



سماحة آية الله العظمى السيّد محمد سعيد الحكيم دام ظله

(س ١٢٥٠): شخص من بعض أرحامنا مصاب بالوسوسة إلى درجة ترك الأعمال الاجتماعية وترك الاشتغال بطلب الرزق والمعاش، وإلى درجة اشتغاله الكامل وقضاء يومه بالتطهير والصلاة فيضيع وقته ومع ذلك فهو غير متيقّن، من صحّة عمله، مع علمه بالأحكام الشرعية، ومع معرفته بوضعه الشخصي، بحيث إنّه يتأذّى بشدة من وضعه هذا فهو جليس داره وقد ضعف جسده وهو في حالة مرضية شديدة وهو متألم القلب من هذا ولكنه لا يستطيع إصلاح نفسه، وقد ضعفت عائلته لضعفه وهي في حالة تعاسة وألم لما يعانيه الأب ويرى أن في كلمتكم (أدام الله ظلّكم) بعض بل كلّ الشفاء له فيُرجى من سماحتكم كتابة ما هو الحلّ لنصبر وأقرب منه إلى الحكم الشرعي؟

الجواب: وصيّتنا له أن يتّقي الله تعالى في نفسه فإن الله تعالى رؤوف بالمؤمنين رحيم بهم وما جعل عليهم في الدين من حرج ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام والمؤمنون المخلصون يتوضؤون ويصلّون ويتطهّرون من دون أن يحرجوا أنفسهم ولا يؤذوا عوائلهم وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوجز الناس صلاة رحمة بالمؤمنين وعرف عن الشيعة تبعاً لأئمتهم التخفيف في الوضوء وقد ورد أنّه يكفيك في الوضوء ثلاث أكف من الماء وأنه كلّما جرى عليه فقد طهر.

فاللازم على المؤمنين الاقتداء بنبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وبأئمّتهم عليهم السلام والسلف الصالح منهم ومن خرج عن ذلك وتكلّف ما لم يجعله الله عليه فإنّما يتبع الشيطان ويقفو أثره وأيّ شيء أسرّ للشيطان من أن يرى المؤمن معذّباً في نفسه بسبب دينه، قد آذى نفسه وعائلته ومحبّيه فالحذر ثم الحذر من

خطوات الشيطان وتسويلاته، وليكن هذا الشخص طبيعيّاً في عمله وأنا أتحمّل مسؤوليّته فإن الله تعالى لا يسأله عن أكثر من ذلك ولا يكلّفه شططاً وليدع الشيطان جانباً ويحذر منه وإلا جـرّه للمهالك ونسأله سبحانه له الشفاء والعافية ممّا هو فيه وهو أرحم الراحمين[1].

سماحة آية الله العظمى السيّد محمد صادق الروحاني دام ظله

(س ٤٤٤): أنا ـ بحمد الله ـ استبصرت، ولكن واجهتني بعض الإشكالات في الطهارة، فقد أصبحت أعاني من كثرة الشك، فكلّ البيت أصبح بنظري نجساً، ولا أقدر أن أمس شيئاً خوفاً من أن أتنجّس وأنجّس الباقي المتبقّي، وأصبحت حياتي مدمّرة وحالتي النفسية صعبة جداً، واستاء مني أهلي وأصدقائي، وأهملت نفسي، وقطعت الأكل وغير ذلك، كل ذلك خوفاً من النجاسة وأن يتنجّس كلّ البيت، وأكون مذنبة إن أنا أهملت غسل كلّ ما هو متنجّس، ودائماً أشكّ في نظافة الملابس فأعيد غسلها المرة بعد الأخرى، وقد تعبت ـ يا سيدي ـ ممّا أنا فيه، فهل تنصحونني بشيء؟

باسمه جلت أسماؤه: ابنتي المؤمنة (رعاكِ الله تعالى): إنّ الله تبارك وتعالى لا يُطاع من حيث يُعصى، وأنت بما تقومين به من إراقة المياه الكثيرة ـ التي لا تخلو عن شبهة الإسراف المحرّم ـ من أجل تحصيل اليقين بالطهارة، قد تعصين الله تعالى وأنت تتوهّمين طاعته، بل إنّ الاهتمام بالوساوس النفسانية، والعمل على طبقها ـ مع الالتفات إلى ذلك ـ أقرب إلى طاعة الشيطان من طاعة الرحمان؛ لأنّ الشيطان ـ حرسك الله من مكائده ـ هو الذي يسعى إلى إثارة حالة الوسواس في صدور المؤمنين، حتى يبعدهم

(١) الفتاوى أسئلة وأجوبة، السيّد محمد سعيد الحكيم، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية ـ النجف، ط ٢، ١٤٢٨هـ: ٤٠٥.

عن طاعة الله تعالى وقربه، فاسعي إلى محاربة هذا العدو اللدود، عن طريق عدم المبالاة بوساوسه النفسانية، وعدم ترتيب الأثر عليها، وتعويد النفس على البناء على طهارة الأشياء التي تشكّين في طهارتها، واستعيني ـ كما ورد في وصية النبيّ الأعظم ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام ـ بتكرار الآيتين الشريفتين ٤٥ و ٤٦ من سورة الإسراء[١].

(س ٤٤٠): هل هناك طريقة لدفع الوسواس؟

باسمه جلت أسماؤه: من جملة الأمور بالغة الأهمية لدفع الوساوس الشيطانية: عرض ما يختلج في النفس ـ بتسويل الشيطان ـ على الأشخاص لإيمانه العارفين والقادرين على دفعها وإزالتها، حتى يكون بناء الإنسان لإيمانه واعتقاده على أساس متين ومحكم لا تشوبه شائبة شك.

وهناك توصيات من النبي وآله الهداة عليهم السلام لعلاج ما يختلج في النفس ويعتريها، من قبيل تكرار الذكر الشريف: (**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله أن يحضرون، إنّ الله هو السميع العليم**)وكذا ورد عنه تكرار قول: (**آمنت بالله ورسوله**) ثلاث مرّات، وورد في توصيات أمير المؤمنين عليه السلام لعلاج ذلك: صيام ثلاثة أيام من كلّ شهر خميسين بينهما أربعاء، وكذا الإكثار من الذكر الشريف: (**اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد**) وعن الإمام الصادق عليه السلام الإيصاء بتكرار قول: (**لا إله إلا الله**) كلّما وقع شيء في القلب[٢].

---

(١) أجوبة المسائل، لسماحة السيّد محمد صادق الروحاني، دار زين العابدين، قم، ١٤٣٢هـ: ٢ / ١٩٦.
(٢) م. ن: ٢ / ١٩٣.

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد محمد طاهر آل شبير الخاقاني دام ظله[١]

السؤال: ما رأيكم بحالة الوسواس التي تعتري الكثير من المؤمنين بحيث نراه يعيد الطهارة عدّة مرات ويعيد الصلاة عدّة مرات؛ لأنّه يقول لا تحصل النيّة ويعيد القراءة مراراً لأنّه يقول لا أتلفّظ بصورة صحيحة وهكذا ومن ذلك أمثلة كثيرة كالدخول إلى بيت الخلاء فيريق الكثير من الماء بحجّة التطهير ويحكم بنجاسة الأرض ويتصوّر أنّها تنزو عليه وتصل وجهه وجميع بدنه أصبح نجساً في حال نزول الماء من الإبريق، وهو بذلك يعيش حالة نفسية سيئة ومضطربة تؤثر في جميع عباداته ومعاملاته فنرجو من سماحتكم أن تضعوا إرشاداتكم ليكون فيها الخلاص لهم وفّقكم المولى لمراضيه؟

بسمه تعالى: الوارد في الحديث لمن كان مبتلى في الوسوسة أنّه يعبد الشيطان وعليه الابتعاد عن هذه الأمور ويبني على صحة عمله لا على ما يوسوس الشيطان له، واعلم أنّ الشيطان يجري في النفس كما يجري الدم في العروق فاحذر من حبائله ومكره ولا تسلّم نفسك له، وزِدْ في إيمانك من خلال التفقّه في الدين ومعرفة المسائل الشرعية والعمل على تطبيقها وترك الشكوك والظنون، والحمد لله رب العالمين[٢].

---

(١) الشيخ محمد آل شبير الخاقاني هو أحد مراجع الدين، ابن المرجع الكبير الشيخ محمد طاهر الخاقاني، ولد في النجف، وتلمذ على السيّد الخوئي ووالده، وغيرهما، له مؤلفات كثيرة أهمها موسوعته (من أشعة الإيمان ١٦ج) في العقيدة، والأخلاق، والتفسير، والاجتماع، والفلسفة، والسياسة، وموسوعته الفقهية (مدرك العروة ٢٦ج)، وموسوعته الأصولية (دراسات أصولية، ١٥ ج) وغيرها، عاد إلى النجف بعد التهجير القسري.

(٢) استفتاء خاص قدمناه لسماحته.

سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله[1]

(السؤال ٨٢): أنا مبتلى بمرض الوسواس، وهو للأسف من الشدّة لدرجة أنه لا يطاق، وفيما يخصّ الغسل والتطهير ينتابني وسواس شديد للغاية بحيث إني إذا دخلت الحمام في الليل أحياناً لا أتطهّر إلا قبل طلوع الشمس، صدّقوني أنّي استهلكت من الماء في هذه السنوات القليلة الأخيرة ما يعدل استهلاك عشرين سنة، وقد راجعت عدداً من علماء بلدتي وأحد مراجع قم وعلّموني بعض الأذكار ولكنّها لم تنفع، وذهبت إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام متحمّلاً مشاق السفر إلى مشهد ومتاعب الزيارة وبالغت في التضرّع والدعاء ولكنّي لم أُشفَ للأسف الشديد، ويوشك هذا المرض أن يقضي عليَّ، بل إنّه يسبّب متاعب وإزعاجات كثيرة لعائلتي وحتى أنّه يعيق أدائي لعباداتي، ولهذا السبب أتعمّد السفر في شهر رمضان لأتخلّص من إشكالات الصوم رغم أنّي لا أتناول شيئاً في السفر، أرجو إرشادي لطريقة تخلّصني من هذا الوضع المحزن ومن تجريحات من حولي بحقّي؟

الجواب: مشكلتك في الحقيقة مصدرها أنت، فأنت المقصّر الأصلي؛ ولهذا السبب لا يُستجاب دعاؤك وسببها عدم معرفة المسألة، هي أنك لست ملزماً باليقين من الطهارة والغسل وأمثالها، إنّ واجبك الشرعي هو أن تصبّ الماء بالمقدار المتعارف لدى الآخرين والاكتفاء بذلك حتى لو انتابك شكّ في الغسل أو الطهارة ونحن نتحمّل المسؤوليّة الشرعيّة لهذا

---

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي هو أحد مراجع التقليد الأكابر في قم المقدسة، تلمذ عند الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قدس سره، والسيّد محسن الحكيم قدس سره، والسيّد الخوئي، وغيرهم، وقد أجازه الأول في الاجتهاد المطلق، وبعدها عاد من النجف الأشرف إلى قم المقدسة، له مؤلفات قيمة في الفقه والأصول والفلسفة والعقائد والأخلاق والتفسير، من أشهر مؤلفاته تفسيره طائر الصيت (الأمثـل)، لازال مستمراً في التدريس في قم المقدسة.

العمل، عليك من الآن أن تصبّ المقدار المعروف بين الناس من الماء وتكتفي به ثم تصلّي ببدنك النجس وحالة الجنابة التي أنت عليها (كما يخيّل إليك) ولا إشكال في ذلك البتة، وتصحّ صلاتك وصومك، ونحن هنا نتمّ الحجّة عليك وعلى جميع الوسواسيّين، ومن خالف ذلك فهو آثم، ونسأل الله أن يوفّقكم إلى الالتزام بهذه المسألة وينجّيكم من شرك الشيطان[١].

(السؤال ٤٦): أنا شاب في العشرين من عمري أشكو وسواساً شديداً أصبح مانعاً لتقدّمي وقد رفعت إليكم رسالة بهذا الشأن فكان ردّكم أنّكم تفضلتم بالقول: (ندلّك على طريقة أشرنا بها على كثيرين فأعطت نتائج جيدة وهي تنظر إلى المتديّنين العاديين وترى كم يستعملون من الماء واكتف بالمقدار نفسه، وهكذا تطهر ونتحمّل المسؤولية الشرعية عنك) في حين أنّي كنت قد طلبت في رسالتي فتوى تعتبرون فيها الأشياء النجسة والمتنجّسة طاهرة لي لمدّة زمنية معيّنة، ولكنكم أوردتم الجواب المذكور أعلاه، أما أنا فلا أزال مصرّاً على قولي، وأرجو التفضّل عليّ بهذه الفتوى التي تسمح لي باعتبار الأشياء النجسة والمتنجّسة طاهرة؟

الجواب: يجب عليك أن تفوّض أمرك إلى الله وتسلّم إليه، وحكم الله يقضي بأن تغسل بالمقدار المتعارف، وما تبقّى فهو طاهر، مهما أوحى لك الوسواس بأنّه نجس. هذا أوضح طريق وقد عُولج الكثير به[٢].

(السؤال ٤٧): عرضت لي مسائل حول الطهارة والنجاسة شغلتني وأرّقتني وسبّبت لي أذى كبيراً حتى تخلّفت في الدراسة، وضاقت أسرتي

(١) الفتاوى الجديدة، للشيخ مكارم الشيرازي: ١ / ٣٠.
(٢) م. ن: ٢ / ٢٣.

بتصرّفاتي ذرعاً، فأقسم عليك برسول الله ﷺ أن تنقذني، ويكفي أن تقول لي (إنّ الاهتمام بهذه الأشياء محرّم وإذا حصل منك ذلك كان مصيرك إلى جهنم) وتتحمّل إثمها فإنّي أنجو؟

الجواب: ممّا لا شك فيه أنّ اهتمامك بالأعمال الناجمة عن الوسواس محرّم ويجب عليك تركه ونتحمّل نحن المسؤولية عن ذلك[1].

(السؤال ٤٨): ما تكليفي في الحالات التالية:

أ ـ تتنجّس الأرض أحياناً ثم ينزل الثلج أو المطر وتبتلّ الأرض كلّها ثم يمر عليها الناس والمركبات وإلى كلّ مكان (المساجد والمراقد المقدّسة والمخابز والمجازر والحافلات والمدارس والأسواق ..الخ) وينقلون معهم النجاسة إلى تلك الأماكن بسبب رطوبة الأرض، لذا فإنّي أعتبر تلك الأماكن نجسة كما اعتبر التراب والغبار الموجود في تلك الشوارع والأمكنة نجساً.

ب ـ عند الذهاب إلى بيت الخلاء للبول أحرص كثيراً على عدم تطاير رذاذ البول ولكني مع ذلك أقطع بأن البول وصل إلى سروالي وقدمي، لذا أصبح الذهاب إلى بيت الخلاء مشكلة بالنسبة لي، ولا يقرّ لي قرار حتى أغسل الموضع.

ج ـ يحدث أحياناً أن تصطدم يدي بحافة المنضدة أو طرف الكتاب أو بأشياء أخرى خشنة فتنخلع أشياء من أطراف أظافري أو أماكن أخرى من يدي بدون جرح أو نزيف ولكن مجرّد ألم أو أنّ على بشرة أصابعي قشرة بسيطة تنفصل عنها عندما أدخل يدي في جيبي أو تمس شيئاً ويصحب

(١) المصدر السابق.



ذلك ألم بسيط، فما تكليفي في مثل هذه الحالات؟

الجواب: لا شك أنّك مصاب بالوسواس وواجبك أن تنظر إلى باقي الناس لترى إلى أي درجة يهتمّون بهذه المسائل ويتحقّق لهم العلم بالنجاسة (والمقصود هنا المتديّنون من الناس لتفعل مثلهم في تحقّق اليقين والغسل وما عدا ذلك فلا تكليف عليك، مهما خُيّل لك أنّه نجس، لأنّ الأشخاص المتديّنين العاديّين لا يتحقّق لهم العلم بالنجاسة في مثل هذه الحالات، كما أنّ القشرة التي تتساقط من جلدك طاهرة، إلا إذا فصلتها بالضغط وصاحب ذلك حرقة في الموضع، حيث يجب عليك الاحتياط»[١].

(السؤال ٤٩): يعاني بيتنا من مشكلة من حيث الطهارة فكلّ شيء فيه نجس، السجاجيد والأبواب وجدران الغرف، والشبابيك والستائر والمدفأة الجدارية والمكنسة الكهربائية والدواليب وبعض الكتب، والوسائد والأسرة والفرش وأطر الصور وكلّ شيء، لذا فكرت بكتابة رسالة إليكم أرجو من خلالها أن أحصل منكم على فتوى خاصة (إجازة خاصة) تمنحني إعفاءً خاصاً يسمح لي باعتبار كلّ ما تنجّس حتى الآن طاهر.

الجواب: أنت مصاب بالوسواس والعلاج الوحيد لذلك هو اللامبالاة، وإنّ فتوانا لك هي أن تنظر إلى باقي المؤمنين بمثل هذه الأمور وتعمل مثلهم، وما تبقى فهو طاهر لك[٢].

(السؤال ٤٠): إن المشكلة الأصلية التي أعيشها تتمثل في جدار البيت وغسل الأطفال، لأنّني وضعت منديلاً نجساً على حافة الجدار المصبوغ بالصبغ الدهني، وطبعاً لم تكن عين النجاسة قد أصابت الجدار، ولكن

(١) المصدر السابق: ٢٤.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢٤.

رطوبة المنديل اتصلت بالجدار، وبما أنّ طفلي قد بلغ مرحلة المشي على أربع ويمس بيده الجدار، فلذلك أقوم بغسل يده بصورة منظمة، وهذه الحالة تسبّب لي حرجاً وأذى، فالرجاء الجواب عن الأسئلة التالية لكي أتخلّص من هذا الوضع:

١ـ لقد قرأت طرق سراية النجاسة، ولكنّني لا أعلم مقدار الرطوبة القليلة، وغير المسرية؟

الجواب: لا شكّ أنك مبتلاة بالوسواس الشديد، ولو أنّك عملتِ بما نقول فسوف تتخلّصين منه سريعاً، وإلا فإنّ مشاكلك ستزداد وتشتدّ في البداية أجيب عن أسئلتك ثم أذكر دستوراً كلياً:

المراد بالرطوبة المسرية هي أنّ الإنسان عندما يضع يده الجافة على ذلك الشيء المرطوب، فإنّه سيرى آثار تلك الرطوبة على يده.

٤ـ هل جدار البيت يسبّب ما تقدم من وضع المنديل قد أصبح نجساً؟

الجواب: إنّ جدران البيت ومن خلال ما ذكرت في السؤال، طاهرة تماماً.

٥ـ هل الإناء الموضوع تحت الحنفية (أي ماء الحنفية) مع عدم امتلائه، له حكم ماء الكرّ أم لا؟ وهل يمكن تطهير اللباس النجس بذلك الماء؟

الجواب: إنّ الإناء الموضوع تحت الحنفية له حكم ماء الكرّ سواءً كان مليئاً أم فارغاً.

٦ـ إذا كان الشيء ممّا تشعر ببرودته عند لمسه كمقبض الباب، فهل تنتقل إليه النجاسة من خلال التماس مع اليد الجافة؟

الجواب: إنّ برودة مقبض الباب لا ترتبط إطلاقاً بالرطوبة ولا تنتقل إليه النجاسة وهذا السؤال نابع من كونك مبتلاة بالوسواس.

وأمـا الدسـتور الكـلّي:

إنّ وسواسك ناتج عن عدم علمك بالمسائل الشرعية، فلو أنّك تعلّمت هذه المسائل بصورة جيدة فسوف تشعرين بالراحة من الوسواس، فالمسألة الهامّة هي أنّ علم ويقين الشخص الوسواسي لا يُعتبر ملاكاً للنجاسة والطهارة وبعبارة أوضح: يجب عليك أن تلاحظي الأشخاص العاديين من المتديّنين متى يعلمون بنجاسة الشيء ومتى يعلمون بطهارته، وعليك أن تقتنعي بهذا المقدار ولو رأيت قلبك لا يطاوعك على هذا فلا تعتنِ به ودعي مسؤولية ذلك بعهدتنا، ولا ينبغي لك الاعتناء بالشكّ والترديد، وحتى أرض المرافق الصحية ما دمت لا ترين عين النجاسة عليها فهي طاهرة، وجميع الأزقة والشوارع والمحلات التجارية طاهرة أيضاً، وكذلك السيارات والباصات العامة والكراسي والأبواب كلّها طاهرة، والحمام طاهر كذلك ما دمت لا تعلمين يقيناً بوجود عين النجاسة فيه، وجميع المسلمين وأطفالهم طاهرون ما دمت لا تستطيعين أن تحلفي على نجاستهم، فوظيفتك الشرعية العمل بما قلناه لك، وسوف ترين النتائج الإيجابية بعد أيام من العمل بهذا الدستور[١].

ويمكن أن نلخّص ما جاء في هذه الاستفتاءات في نقاط كما يلي:

١ـ إنّ الوسواس هو من الشيطان لذلك أفتى الفقهاء بحرمة مراعاته، وعدم الاعتناء به.

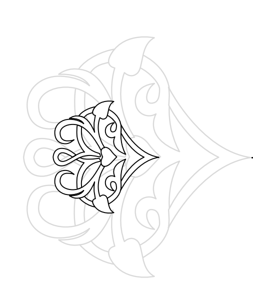
---

(١) الفتاوى الجديدة: ٣ / ١٩ـ ٢٠.

٢ـ في حالة عدم مراعاة الوسواس يجب العمل مثل سائر الناس من وضوء، وصلاة وغسل، وهكذا.

٣ـ إنّ طريق النجاة الوحيد منحصر بترك الوسواس من قبل الشخص نفسه فلا ينتظر نزول الوحي عليه أو شيء آخر وعليه أن يعمل بالشكل الطبيعي من دون أي تكلّف أو تدقيق.

٤ـ إنّ الفقهاء أجمعهم ضمنوا براءة الذمّة لهذا الإنسان إذا ترك هذه الوساوس والهواجس النفسية والعمل كباقي الناس مع وجود هذه الوساوس في أعماق نفسه ـ يعني حتى لو حصل لديه علم أو قطع بأنّ العمل الكذائي لا بدّ أن يكون بهذا الشكل ـ لأنّهم يقولون لا اعتبار بعلم الوسواسي كما مـرَّ عليك.



عـلاج الوسواس في علم الأخلاق

إنّ علم الأخلاق هو الركيزة الأساسية في علاج الأمراض النفسية والأخلاقية، وهو يتكفّل برقيّ الإنسان وقربه من الخالق المتعال، وإبعاد العبد عن مهالك الشيطان؛ لذلك نرى المدح الوفير للأخلاق في القرآن والسنّة والعقل، وما من مشكلة أخلاقية في حياة الإنسان إلا ولها حلّ في علم الأخلاق؛ لأنّه العلم الذي يصح لنا أن نصفه بعلم الوقاية والعلاج من ذميم الأخلاق، وعلم الموعظة والإرشاد، والمحور الأساس في علم الأخلاق هو محاربة الشيطان في جميع الميادين، ومن ذلك الوسواس القهري الذي يعاني منه الكثير، وتربية النفس.

وهناك بحث عند علماء الأخلاق حول إمكان التغيير في أخلاق الفرد والمجتمع، وطبيعته سواءً في الجانب الإيجابي أو السلبي، فهناك نظرية تقول بعدم إمكان التغيير ولعلّها التي تقول بالجبر كما يبدو، والنظرية الأخرى تقول بإمكان التغيير، وهذه النظرية صادقة بل بديهية عقلاً وشرعاً[1]، وعلى هذا الأساس جاءت الشرائع السماوية ودعوة الأنبياء عليهم السلام؛ لذلك نـرى علم الأخلاق قائماً على المنهج التغييري ومحاربة الجمود والركود من أجل السير نحو الأحسن والأفضل، فلو كان الإنسان

(١) هناك بحث قيّم حول الموضوع ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه الأخلاق في القرآن: ١ / ٢١ـ ٣٢فراجع.

في الجانب السلبي يسعى علم الأخلاق لإصلاحه وإيصاله إلى جادة الصراط السويّ، وإذا كان في الجانب الإيجابي فيرقّيـه نحو الأفضل من أجل الوصول إلى مدارج الكمال، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[الشمس: ٩ ـ ١٠]، تؤكّد هاتان الآيتان حقيقة هامّة وهي: إنّ بإمكان الإنسان أن ينمّي نفسه ويكمّلها من خلال طلبه للأخلاق الحسنة، وإلا لو لم يكن ذلـك مقدوراً له، لما أشارت الآيتان إلى فلاح مَنْ يزكّي نفسه وخيبة مَنْ يدسّها[١] ولننظر إلى هذا العلم الشريف هل عالج مشكلة الوسواس وكثرة الشكّ؟ والجواب بالبداهة أنّ ذلك من أولويات علم الأخلاق؛ لأنّ الوسواس وكثرة الشكّ هي من أهم حبائل الشيطان لإزلاق الناس عن الصراط المستقيم، وقد ركّز على مسألة الوسوسة ونبّه عليها بما جاء في القرآن منذ قصّة أبي البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحتى اليوم المعلوم، أي إنّ القرآن وضع دستوراً وقانوناً ثابتاً للإنسان من أجل معرفة كيفية التعاطي مع وساوس الشيطان إلى اليوم المعلوم.

ما هو الشيطـان ؟

كلمة شيطان من مادة (شطن) و(الشاطن) هو الخبيث الوضيع، والشيطان تُطلق على الموجود المتمرّد العاصي ـ أو الشرير ـ إنساناً كان أو غير إنسان، وتعني أيضاً الروح الشريرة البعيدة عن الحق وبين كلّ هذه المعاني قدر مشترك، والشيطان اسم جنس عام، وإبليس اسم علم خاص، وبعبارة أخرى، الشيطان كلّ موجود مؤذٍ مغوٍ طاغٍ متمرّد، وإبليس اسم الشيطان الذي أغوى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويتربّص هو وجنده الدوائر بأبناء آدم دوماً[٢] ومن

(١) في ظلال العقيدة والأخلاق، السيّد كمال الحيدري، دار فراقد، إيران، ط ١، ١٤٢٥هـ: ٧٢.
(٢) الأمثل: ١ / ١١٧.

استعمالات القرآن للمعنى العام للشيطان قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾[الأنعام: ١١٢].

أعمـال الشيـطان

يصنّف القرآن الكريم أعمال الشيطان تحت عدّة عناوين وأساليب مختلفة، من الضروري اطّلاع الإنسان عليها، ونذكرها كالتالي:

١ـ الوسوسة[١]: وهي في صدر قائمة أعماله، بل يصحّ القول إنّ أصل الأعمال الشيطانية هو الوسوسة، ولعلّ الأعمال الأخرى تعود بالتالي إليها (أي مصاديق للوسوسة)، وقد أشار القرآن في مواضع كثيرة لذلك، كالآية: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾[طه: ١٢٠] قال الشيخ مكارم الشيرازي: الوسوسة في الأصل تعني الصوت المنخفض جداً، ثم قيلت لخطورة الأفكار السافلة والخواطر السيئة سواء كانت تنبع من داخل الإنسان، أو من خارجه، إنّ الشيطان تتبّع رغبة آدم في أيّ شيء، فوجد أنّ رغبته في الحياة الخالدة والوصول إلى القدرة الأزلية، ولذلك جاء إليه عبر هذين العاملين واستغلّهما في سبيل جرّه إلى مخالفة أمر الله، وبتعبير آخر: فكما أنّ الله قد وعد آدم بأنّك إن تجنّبت الشيطان وخالفته فستحظى بالتنعّم في الجنة دائماً، فإنّ الشيطان قد وسوس إليه عن هذا الطريق (أي إنّه سيخلد في الجنة أيضاً)[٢].

(١) معارف القرآن: ٤١٢ والأخلاق في القرآن الكريم، الشيخ مصباح اليزدي: ١ / ٢١١.
(٢) الأمثل: ١٠ / ٦٢.

٢ـ إضلال الناس بأساليبه الإغوائية: قال تعالى: ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ** ـ من أجل إضلالهم ـ **وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[الأعراف: ١٧] وقد تحقّق هذا التنبّؤ الشيطاني بالنسبة إلى بعض الأمم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبليس ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[سبأ: ٢٠] روى العلامة الطباطبائي قدس سره عن المجمع، عن الإمام الباقر عليه السلام في معنى قوله: ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ**﴾ الآيـة **(من بين أيديهم) أُهّون عليهم الآخرة (ومن خلفهم) آمرهم بجمع الأموال ومنعها عن الحقوق لتبقى لورثتهم (وعن أيمانهم) أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة: (وعن شمائلهم) بتحبيب اللذة وتغليب الشهوات على قلوبهم**[1].

٣ـ تزيين الأعمال القبيحة[2]: فهو يزيّن الأعمال في نظر الإنسان ويوسوس له عن هذا الطريق، ويكون سبباً لعدم ترك ذلك الفعل القبيح فحسب بل التمادي في مزاولته، لأنّ تزيين الشيطان يقوّي الدافع لممارسة ذلك العمل، وقد أشارت آيات عديدة إلى (تزيين الشيطان) كالآية: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾[النمل: ٢٤] ويقول العلامة مصباح اليزدي في موضع آخر حول التزيين: وهذه الشباك هي إحدى الأسلحة الهامّة التي يستخدمها الشيطان خلال نشاطه، فيجسّم

(١) الميزان: ٨ / ٦١.

(٢) الأخلاق في القرآن الكريم، الشيخ مصباح اليزدي: ١ / ٢١٢.

الأشياء التي لا ترضي الله، ويظهرها لذيذة في ذوق الإنسان أكثر ممّا تتميّز به من لذّة بشكلٍ طبيعي، حتى يخيّل للإنسان أنّ طريق المحرّمات هو الأقرب للقلب والأسعد للنفس، فيتصوّر أنّ فرخ دجاجة الجيران طير[1].

٤ـ النـزغ: والنزغ لغة الإغراء، نزغ: أي أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض، والنزغ: الكلام الذي يغري بين الناس، ونزغ الشيطان بينهم ينزغ، وينزغ نزغاً أي أفسد ويفسد فساداً، قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[الأعراف: ٢٠٠].

والنزغ شبه الوخز والطعن، وهو حالة استفزاز الشيطان للإنسان... ([2])، وقال العلامة الطباطبائي: قال الراغب في المفردات: النزغ دخول في أمر لأجل إفساده، قال: من بعد أن نـزغ الشيطان بيني وبين أخوتي، انتهى، وقيل: هو الإزعاج والإغراء وأكثر ما يكون حال الغضب، وقيل: هو الوسوسة، والمعاني متقاربة، وأقربها من الآية هو الأوسط لمناسبته الآية السابقة الآمـرة بالإعراض عن الجاهلين فإنّ مماستهم الإنسان بالجهالة نوع مداخلة من الشيطان لإثارة الغضب، وسوقه إلى جهالة مثله[3].

٥ـ تقديم الوعود الكاذبة للإنسان بقوله له[4]: إن فعلت هذا العمل كان لك كذا وكذا، وقد تحدّثت بعض الآيات عن ذلك كالآية: ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾[النساء: ١٢٠].

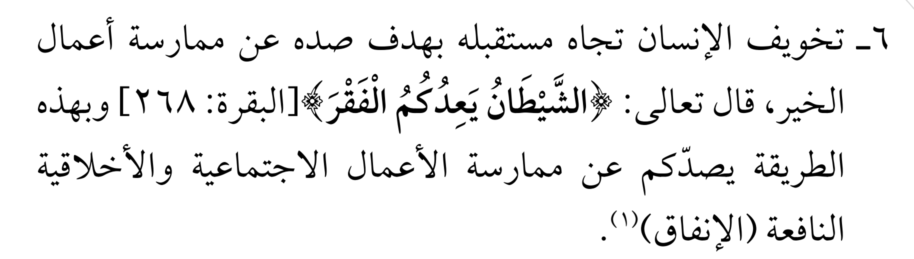
---

(١) معارف القرآن: ٤١٣.

(٢) خطوات الشيطان، السيّد سعيد الأعرجي: ٩٩.

(٣) الميزان: ٨ / ٣٨٥.

(٤) الأخلاق في القرآن الكريم: ١ / ٢١٢.



٦ـ تخويف الإنسان تجاه مستقبله بهدف صده عن ممارسة أعمال الخير، قال تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**﴾[البقرة: ٢٦٨] وبهذه الطريقة يصدّكم عن ممارسة الأعمال الاجتماعية والأخلاقية النافعة (الإنفاق)[١].

٧ـ ومن أعماله أيضاً[٢]، إيجاد النسيان في الإنسان فهو يهيئ الأرضية ويوفر الظروف المناسبة لكي ينسى الإنسان ذكر الله: (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله)[٣].

٨ـ ومن أعماله الإلقاء في الأمنية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾[الحج: ٥٢] التمنّي تقدير الإنسان وجود ما يحبّه سواء كان ممكناً أو ممتنعاً كتمنّي الفقير أن يكون غنياً..وهذا التمني هو تمني القلب، ومعنى ذلك أن الشيطان يلقي في أمنية الرسول فيداخل فيها وسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء المفسدين فأفسد الأمر على ذلك الرسول أو النبي..وهناك معنى آخر لذلك وهو: كون التمنّي بمعنى القراءة والتلاوة: أي يلقي الشيطان شبهاً مضلة على الناس بالوسوسة ليجادلون بها ويفسدون على المؤمنين إيمانهم....[٤].

٩ـ ويُستفاد من روايات كثيرة أنّ الشيطان يستخدم كلّ وسيلة من أجل إيذاء المؤمنين، منها في عالم النوم يصوّر لهم مشاهد

(١) الأخلاق في القرآن الكريم: ١ / ٢١٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المجادلة: ١٩.

(٤) الميزان: ١٤ / ٣٩٢ـ٣٩٣، بتصرف واختصار.

مؤلمة توجب الحزن والغم، ولا بدّ للإنسان المؤمن في مثل هذه الحالات أن يلتجئ إلى الله ويتوكّل عليه، ويبعد عن نفسه هذه الوساوس الشيطانية[١]، وقد ورد من أجل التخلّص من مثل هذه الأحلام أن يقول: (**أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبياء الله المرسلون وعباده الصالحون من شرّ ما رأيت من رؤياي**)ويقرأ الحمد والمعوذتين و(**قل هو الله أحد**) ويتفل عن يساره ثلاث تفلات، فإنّه ما يضرّه ما رأى)[٢].

فمن مجموع الآيات يبدو لنا واضحاً أنّ الشيطان لا يستطيع أن يجبر أحداً على عمل ما، وإنّما هو يدعو فقط ويوسوس، فإذا اتبعه أحد واختار لنفسه العبودية له عندئذٍ يتسلّط عليه الشيطان وينفّذ فيه وعيده[٣].

مكائـد الشيطـان

لا شكّ أنّ للشيطان حبائل كثيرة يوقع الإنسان فيها، وعند وقوع الإنسان فيها يعلم أنّ ذلك من الشيطان، ولا شكّ أنّ الذنوب لا سيّما الكبيرة هي في صدارة القائمة، وهناك أفعال أو أعمال...، لم تعد من الذنوب ولكن وردت فيها روايات تنهى أو تحذّر من الوقوع فيها وبالتالي تقرّب الإنسان من مكائد الشيطان وهذا ما يُسمّى بالمكروه بحسب اصطلاح الفقه، بل بعضها لم تثبت كراهته عند الفقهاء إلا أنّ علماء الأخلاق ينصحون بالاعتناء بها؛ لوجود روايات ولو ضعيفة الإسناد؛ ليكون الإنسان في مأمن من فخاخ ومكائد الشيطان، فعليه مراقبة ذلك، بل بعضها ذات آثار دنيوية[٤].

---

(١) الأمثـل: ١٨ / ٨٢.

(٢) تفسير نور الثقلين، العلامة الحويزي، تحقيق السيّد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: ٧ / ٢٩٦، تحقيق السيّد علي عاشور.

(٣) معارف القرآن: ٤٢٤.

(٤) من الكتب القيمة في هذا المجال التي تكفلت بنقل أغلب الروايات ذات الآثار الدينية والدنيوية، كتاب

تسلّط الشيطان على الإنسان

قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾[النحل: ١٠٠] وتولّي الشيطان هي تلك الحالة التي يتّصف بها الإنسان بالصفات الرذيلة فيصبح من التابعين له، فالتورّط في الذنب مرّة أو مرّتين لا يغدو الشيطان ولياً للإنسان، ولكنّه إذا استغرق في المعاصي واستمرّت هذه الحالة فإنّ الشيطان يستولي عليه[1].

أمّا الأعمال التي يقترفها الإنسان ويصبح وليّاً للشيطان فيتسلّط عليه هي الذنوب، وكما تقدّم هي حالة الاستمرار في المعاصي، وهناك روايات تشير إلى تسلّطه على الإنسان حتى في آخر ساعة من عمره، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **ما من أحد يحضره الموت وإلا وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله حتى يموت.** وفي رواية أخرى: **لقّنه كلمات الفرج وسمِّ له الإقرار بالأئمة واحداً بعد واحد حتى ينقطع عن الكلام**[2].

مـا يدفـع به الشيطـان

سنذكر ـ ضمن المنهج الذي سرنا عليه ـ علاجاً لهذه الوساوس الشيطانية التي يغوي بها الناس، ولكن لا ندّعي الإحاطة بكلّ ما ذُكرَ في

مرآة الكمال للعلامة المامقاني، وكتاب عواقب الأمور، وكتاب آثار الأقوال والأفعال كلاهما للشيخ عبد الرسول آل عنوز، فراجع

(١) معارف القرآن، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: ٤١٥.

(٢) خطوات الشيطان: ٣٤٠.

المصادر الإسلامية بل ما تيسّر لنا بفضل الله عزّ وجل، وسننقل بعض الأحاديث بالمعنى وبعضها بالنص للاختصار كما يلي:

١ـ عن النبيّ ﷺ: **ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان منكم تباعد المشرق من المغرب؟** قالوا: بلى، قال: **الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه**[1].

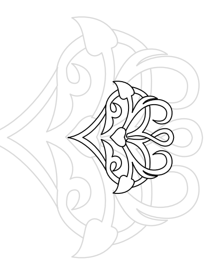
٢ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أَحْسِن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن ولا أعانه، إلا خمش وجه إبليس، وقرح قلبه**»[2].

٣ـ زيارة الإخوان في الله، وعند لقائهم يذكرون الله عزّ وجلّ، وفضل أهل البيت عليهم السلام[3].

٤ـ التعوّذ من الشيطان في كلّ شيء، حتى ورد عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمار[4].

٥ـ ذكر الله عزّ وجلّ خصوصاً قول ((بسم الله)) في كلّ شيء وقد وردت بهذا الشأن روايات في عدّة موارد منها عند الأكل والشرب، ولبس الملابس، والوضوء، وعند إرادة جماع الزوجة، وعند التكشّف للبول، بل هناك آداب لدخول بيت الخلاء تنفع في المقام راجعها في مفاتيح الجنان، وعند المرور على الجسر، بل

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٨٣، ب ٣، ح ١٤٠.
(٢) وسائل الشيعة: ١٦ / ٣٧٧.
(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٤٧.
(٤) م. ن: ٦٠ / ٣٤٧، ح ١٤.



ذكر الله ـ بشكل مطلق ـ وعند الغضب[1].

٦ـ التسليم على أهله إذا كان الشخص له أهل، وإلا يسلم على نفسه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا دخلت منزلك فقُلْ بسم الله وبالله وسلّم على أهلك، فإن لم يكن فيه أحد فقل بسم الله وسلام على رسول الله وعلى أهل بيته، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قلت ذلك فرَّ الشيطان من منزلك**»[2] وغيرها من الروايات.

٧ـ السواك فمن فوائده الكثيرة أنّه يسخط الشيطان[3].

٨ـ الإكثار من الدعاء[4]، خصوصاً ما ورد في الصحيفة السجادية.

وغير ذلك ممّا سنذكره في باب (الخطوات العملية للتخلّص من الوسواس).

كيفية التعامل مع الشيطان

من خلال ما تقدّم في بحث الآيات والروايات، نرى أنّ الشارع المقدّس يولي قضية وساوس الشيطان أهمية فائقة، ولا بدّ من مراعاة الحذر والدقّة في التعامل مع أساليب الشيطان والتنبّه لخطواته الخفية والظاهرة ـ وهي في الأغلب خفية ـ لأنّه يسلك هذه الطريق من أجل النفاذ إلى أعماق الإنسان وكوامن وعيه، فحينما يصل إلى هذا المستوى من الإنسان يسيطر عليه أو على الأقل يتمكّن من إغوائه، فيعمل على بثّ وساوسه وتسويلاته من خلال استغلال نقاط الضعف في شخصية الإنسان فيصوّر له الباطل

(١) المصدر السابق: ٣٤٨ ـ ٣٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٧٣ / ١٢.

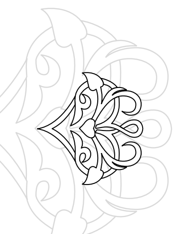
(٣) نهج الفصاحة، قصار كلمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ١ / ٥٢٧.

(٤) منتخب ميزان الحكمة: ٢٧٢.

بصورة الحقّ حتى يتّبعه ـ كما هو الحال في أفعال الوسواسي ـ حيث يظنّ أنّ فعله هو الحق والصحيح بالرغم من نهي الشريعة عن اتباع الوسواس، فالشيطان يصوّر له أنّ عمله هو الصحيح وهو الذي تريده الشريعة منه ـ ويصور الحق بصورة الباطل حتى يجتنبه الإنسان ويبتعد عنه ـ لذلك القرآن يلفتنا إلى أساليبه وطرقه حيث يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾[النور: ٢١].

فالشيطان لا يدلّ الإنسان على الشرّ دفعة واحدة، بل على دفعات في خطوات خفيّة لا يشعر الإنسان بها، ولهذا عندما نقول لإنسان ما عمل عملاً سيّئاً بأنّ الشيطان قد وسوس إليه وزيّن له ارتكاب هذا العمل السيّئ يستغرب ويتساءل أين الشيطان؟ ويؤكّد لنا بأنّه بنفسه الذي قرّر وخطّط ونفذّ هذا العمل ولم يحصل أنّ الشيطان هو الذي وسوس إليه، فالإنسان لا يشعر بوجود الشيطان على الرغم من أنّه يجري من ابن آدم مجرى الدم[1]، وبإمكانه أن يشاركه في المسكن والمأكـل والمشرب والملبس والمنكح، وذلك إذا لم يُسمِّ الله ويتلو الأذكار الخاصة لكلّ أمر من الأمور الحياتية، كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ ومن الطبيعي أنّ الإنسان لا يرى الشيطان، ولا يشعر بوجوده، وإن كان الشيطان يراه قال تعالى بعد تحذيره من فتنة الشيطان: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**﴾[الأعراف: ٢٧].

(١) ورد عنه ﷺ: «**إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» فإنّ المقصود به ليس أنه يدخل عروقه وأوراده وتجاويف أعضائه، بل المعنى أنّ الشيطان لا يزال يراقب العبد ويوسوس إليه في نومه ويقظته، إذ هو جسم لطيف هوائي يمكنه أن يصل إلى ذلك الإنسان فيوصل كلامه ووساوسه إلى باطن أذنه فيصير إلى قلبه، والله العالم بكيفية ذلك. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة الشيخ حبيب الله الخوئي، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٣٤هـ: ٣/ ٥٣٣.



إذاً خلاصة ذلك تكون كما يقول العلماء في ثلاثة أشياء:

١ـ التعرّف على مكائده وحيله، فمتى عرف الإنسان مكائد عدوّه وخططه تمكّن من مواجهته ودحره، فهو كاللص إن عرف أن حارس البيت يقظ فـرّ وهرب.

٢ـ الاستخفاف بما يدعو إليه وعدم التعلّق بها، فهو كالكلب إن أوليته اهتماماً نبح وضجّ في النباح وأن اعرضْتَ عنه سكت وانقطع نباحه.

٣ـ ذكر الله في القلب واللسان، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إنّ ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالآكلة في جنب ابن آدم**»[1].

وهذه كما قلت هي خلاصة لما مـرّ، وبعضها سيأتي في الموضوع اللاحق ـ أعني الذكر ـ وهو أحد الخطوات العملية للتخلّص من وساوس النفس والشيطان.

الخطوات العملية للتخلّص من الوسواس

هذه الخطوات التي سنذكرها هي ضمن تسلسل مراحل العلاج السلوكي التي ذكرنا بعضها فيما سبق، وهي نافعة إن شاء الله تعالى لمن يلتزم بها للتخلّص من مشاكل الوسواس.

الخطوة الأولى: التـوبة

إنّ التوبة بمعناها العام هي ترك الشيء وعدم العود إليه، وهي من أولى خطوات الإصلاح الذاتي والاجتماعي، وفي جميع المستويات مثلاً في المجال الصحي عندما ينصح الطبيب مراجعيه بترك الأكل الفلاني فعند

(١) موسوعة العرفان الإسلامي، مصدر سابق: ٥ / ٢٧١ ـ ٢٧٢.

التزامهم بإرشاد الطبيب وعدم العود لذلك سوف يحصلون على النتيجة المرجوة، أما إذا تركوا إرشاده وعادوا إلى ما نهاهم عنه الطبيب فسوف تكون النتائج سلبية. إذاً في كلّ مجالات الحياة يحتاج الإنسان لأن يتوب من كلِّ شيء سلبيّ خلاف القانون الصحيح، وهذا ما يأمر به العقل قبل الشرع، قال السيّد الخوئي في بحثه عن التوبة: (فالتوبة مأمور بها بالأمر المولوي ومتّصفة بالوجوب شرعاً كما أنّها واجبة عقلاً، ولا مانع من أن يكون شيء واحد واجباً عقلاً وشرعاً كالظلم فإنه قبيح عقلاً ومحرّم شرعاً، وكما في ردّ الأمانة إلى أهلها فهو واجب عقلاً لأنّ تركه ظلم وواجب شرعاً)[1] هذا اذا أخذنا التوبة بمعناها العام فتصدق على الجميع، وقد ذهب بعض الأعلام إلى تعدّد أنحاء التوبة بتعدّد المقامات التي وصل إليها العبد[2]، قال السيّد الحائري في تزكية النفس[3]: أقول: وممّا يؤيد ما أفاده (أي السيّد الخميني رضوان الله عليه) من تعدّد أنحاء التوبة بتعدّد المقامات التي وصل إليها العبد ما ورد في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام: «**التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأصفياء من التنفس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب، ولكلّ واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره** ...»[4] أما في الاصطلاح فتكاد

---

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى، أبحاث السيّد الخوئي، تقرير الشيخ علي الغروي، ط ٤ مؤسسة الخوئي الإسلامية: ٨ / ٢٥٤.

(٢) منهم السيّد الخميني في (الأربعون حديثاً)، تزكية النفس، السيّد كاظم الحائري، ط ٥، انتشارات دار البشير ـ قم: ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ط دار المتقين بيروت، الناشر مؤسسة المراقد

تختصّ بالمسائل الأخلاقية لذلك تجد بحثها بشكلٍ مفصل هناك، وإن كانت الفروع الأخرى لا تخلو منها كالفقه، والعقائد في مجالات خاصة، ولا يخفى أنّ التوبة هي أول مراتب تهذيب النفس، وفي محلّ بحثنا إذا قلنا إنّ اتباع الوسواس وعدم تركه هو ذنب كما ذهب إليه بعض الفقهاء فيجب على هذا الإنسان المبتلى التوبة منه، وأما اذا لم نقل بذلك، فعلى هذا الشخص التوبة من باب المعنى العام الذي أشرنا إليه، والذي نوّهت إليه الرواية آنفة الذكر عن مصباح الشريعة.

وقد يسأل سائل هل الاعتناء بالوسواس ـ أي العمل بحسب الوسوسة ـ يُعتبر ذنباً، ويجب على المبتلى به التوبة مع أن الشخص الوسواسي لا يرغب فيه ولم يفعله عن عمد؟

قال السيّد الخميني: (إنّ الشاهد على أنّ هذه الوساوس والأعمال من ألعاب الشيطان وإلقاءات ذلك الملعون، وأنه لا يوجد لها دافع ديني وباعث إيماني، زعم صاحبها أنّ دافعه أمر ديني، هو أنّ هذه الوساوس تخالف أحكام الشريعة وأخبار أهل بيت العصمة والطهارة.

مثلاً وردت في أحاديث متواترة عن طريق أهل بيت العصمة عليهم السلام كيفية وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنها كانت غسلة واحدة للوجه، وغرفة لغسل اليد اليمنى وغرفة لغسل اليد اليسرى...)[1] ويتابع قائلاً: (وعليه فإنّ الإنسان الجاهل المبتلى بالوسوسة، يغسل أعضاء الوضوء أكثر من عشر مرات وفي كلّ مرة يوصل الماء إلى كلّ أطراف العضو الذي يريد أن يغسله بدقّة متناهية، بل يغسل العضو حتى يجري ماء الوضوء، ويتحقّق الغسل

المقدسة العالمية: ٥٧.

(١) الأربعون حديثاً، للسيد الخميني: ٤٢٧.

الشرعي ثم يكرّر الغسل مرات عديدة، فمع أي مقياس نستطيع أن نطبق عمله هذا؟ ومع أيّ حديث أو فتوى فقيه يتطابق عمله؟ لقد صلّى المسكين عشرين عاماً أو أكثر مع مثل هذا الوضوء الباطل، وتظاهر أمام الناس أنّه في منتهى القدسية والطهارة، إنّ الشيطان قد داعبه، والنفس الأمارة بالسوء قد غرّرته ومع هذا كلّه يُخطّئ الآخرين ويرى نفسه مصيباً.

إنّ الذي يخالف النص المتواتر وإجماع العلماء، هل يجب أن نعدّه من عمل الشيطان أو من طهارة النفس وتقواها؟ فإذا كانت هذه الوسوسة من جراء منتهى التقوى والاحتياط في الدين فلماذا نجد الكثير من ذوي الوسوسة التي لا مبرّر لها والجهلة المتنسّكين، لا يحتاطون في مواضع يجب الاحتياط فيها أو يُستحب؟ هل سمعت أنّ أحداً يعيش حالة الوسوسة في الشبهات المالية؟ مَن من الوسواسيين دفع الزكاة والخمس مرات عديدة؟ وذهب إلى الحج مرّات متكرّرة؟ وأعرض عن الطعام المشتبه؟ لماذا كانت (أصالة الحلية)[1] في الأطعمة المشتبه جارية و(أصالة الطهارة)[2] في شكوك النجاسة غير جارية؟ مع أنه في باب مشكوك الحلية من الراجح الاجتناب، وتدلّ على ذلك الأحاديث الشريفة مثل «حديث التثليث» عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «**وإنما الأمور ثلاثة: أمر بَيِّن رشده فيتبع وأمر بَيِّن غيّه فيجتنب وأمر مشكل يُرَدُّ علمه إلى الله وإلى رسوله**» ـ وفي باب الطهارة عكس ذلك ـ «**كلّ شيء طاهر حتى تعلم أنه نجس**»وهذا المسكين الذي يرى نفسه محتذياً حذو الإمام يتّكل على

(١) أصالة الحلية: قاعدة فقهية مفادها كل شيء حلال حتى تعلم أنه حرام ، فلو حصل لك شك في حرمة الشيء الفلاني، تبني على الحلية بفضل هذه القاعدة الفقهية.

(٢) أصالة الطهارة: أيضاً هي قاعدة فقهية مفادها أنّ كلّ شيء لك طاهر حتى تعلم نجاسته، فلو شككت في نجاسة شيء ما تبني على طهارته استناداً لهذه القاعدة.

قاعدة (أصالة الطهارة) ويأكل، ثم يقول ويغسل فمه ويديه، إنّه حين الأكل يتمسّك بأصالة الطهارة وبعد أن يشبع يقول كلّ شيء نجس، وإذا كان من أهل العلم يرد عمله هذا بأنّني أريد أن أصلّي مع الطهارة الواقعية، مع أنّنا لم نعرف ميزة للصلاة مع الطهارة الواقعية، ولم يُنقل عن أحد من الفقهاء (رضوان الله تعالى عليهم) اعتبار الطهارة الواقعية، في الصلاةإذا كنت من أهل الطهارة الواقعية فلماذا لا تكون من أهل الحلية الواقعية؟ وإذا فرضنا أنّك أردت الطهارة الواقعية فما معنى الغسل في الماء الكرّ أو الجاري عشر مرات؟ مع أنّه يكفي الغسل مرة واحدة من غير البول أو بعض النجاسات الأخرى في الماء الجاري وفي الماء الكر، وأما في البول فتكفي مرة واحدة على المشهور، وتكفي مرتان إجماعاً، فلا يكون الغسل لمرات عديدة إلا من تدليس الشيطان وتسويل النفس، وحيث إنّ ذلك لا يطلب جهداً منا نجعله رأس المال للتظاهر بالقداسة)[1].

انظر النكير الذي يشده السيّد الخميني قدس سره على من يعتني بالوساوس ويعتبره ذنباً عظيماً، وينعت هذا الشخص بمن يتظاهر بالقداسة؛ لأنّه لا يعمل بالشرع وما أراده الله له من العمل بحسب الظاهر من دون تكلف وإضافة شيء على مراد الشارع المقدس، قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾[الطلاق: ٧].

إذاً القاعدة الأولى للخلاص من الوسواس هي التوبة منه والإقلاع عنه، جرّب ذلك سوف تجد النتيجة، نعم قد يصعب عليك في الأيام الأولى وبعد ذلك تعتاد عليها ويصلح الأمروقد يختلف الأمر عند بعض الأشخاص فتراه يستطيع أن ينجح في بادئ الأمر ومن ثم يخفق، فنقول له لو تمكّنت

(١) الأربعون حديثاً: ٤٢٨ ـ ٤٣٠ بتصرف.

لأول وهلة لا تنظر إلى ما وراءك واستمرّ في سعيك وكلّما تحصل لك الوسوسة لا تدر لها بالاً، وتغافل عنها كلّما تحصل، نعم دَعْ الوساوس تمرّ في مخيّلتك بشكلٍ طبيعي ولكن دون محاولة مقاومتها بل اهملها، ستجد التقدّم الواضح كما حصل لكثيرين وقد نجحوا بهذه الطريقة.

الخطوة الثانية: التذكّر

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[الأعراف: ٢٠١].

ومعنى التذكّر هو أنّ الإنسان التائب من الذنب ـ أي ذنب كان ـ عندما تعرض عليه وساوس الشيطان أن يتذكّر خطورة المعاصي، وأنه تائب، وأنّ هذه الوساوس شيطانية تخلّ بتوبته ولا يرضاها الله سبحانه، فعندئذٍ سوف يسيطر على هذه الوساوس وينجح عند تغلّبه عليها، يقول السيّد الشهيد دستغيب قدس سره: (ولو كان الإنسان متقياً فإن الشيطان يدور حول قلبه ليجد له منفذاً فيه، فيتذكر صاحب التقوى، وبمجرد أن يتذكّر فإنّ برق الرحمة الإلهية سوف يشعّ ويكشف مصيدة إبليس ويحفظه الله تعالى منها).

والآن لِنَرَ ما المقصود من التذكّر في هذه الآية الشريفة (تخيّل المعصية وذكر الله) ما أكثر الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الشريفة حيث يقول عليه السلام: «**إذا ذكرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فإذا هم مبصرون**».

وذِكْرُ الله تعالى له مراتب أيضاً ويختلف بالنسبة إلى موارده ومصاديقه، ومن جملة ذلك أنّه يجب عليه أن يعلم عندما يهمّ بالذنب بأنّه من إلقاء العدو وأنّ مخالفته واجبة عقلاً، ألم يعهد إليَّ الله عزّ وجلّ أن لا أعبد

الشيطان، فلا ينبغي أن أكون خائناً، فقد عاهدت أن أكون عبد الرحمن لا عبد الشيطان، إذاً فلو أردت أن أذنب [وفي موردنا أتبع الوسواس] فعليَّ أن أخالف عهدي لأنّه إذا اتبعت الخيالات الشيطانية فإنّها لا تؤدّي إلا إلى الهلاك والضلال ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾[يس: ٦٢] ويصرح في آية أخرى أكثر من ذلك ﴿**كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[الحج: ٤] [١].

دفع الوسواس بالتذكّر

عندما يوسوس إبليس فإنّه يريد أن يفتح له مكاناً في القلب ولكن صاحب التقوى يتذكّر الوعيد الإلهي ويقول في نفسه إذا ارتكبت هذا الذنب فماذا أصنع بعد ذلك إذ إني قد ابتعدت عن الرحمة الإلهية؟ فيوسوس له الشيطان مرةً أخرى أنك سوف تتوب إلى الله وهو الغفور الرحيم، فيجيبه (هذا الشخص الذاكر) ويقول للشيطان مَنْ يعلم بأنّي سوف أوفّق للتوبة ومَنْ يعلم بأنّ هذه التوبة مقبولة عند الله؟ والخلاصة أنّ التذكّر لا يسمح للشيطان أن يحكم في قلبه[٢].

وقد يعمد الشيطان في أساليبه الخاصة ووساوسه المختلفة فيلقي في قلب الإنسان بأنّ هذه ليست وساوس وإنّما احتياط في أمر الدين، فيوسوس له بأن يعيد وضوءه أو صلاته أو قراءته وهلمّ جراً، ومع التذكّر يعلم هنا بأنّ هذه كلّها وساوس فلا يعتني بها حينئذٍ

وتارة يَرِد إلى مخيّلة الشخص عن طريق التهديد (من أساليبه ووساوسه)

---

(١) الاستعاذة، السيّد عبد الحسين دستغيب: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) المصدر نفسه: ١١٠ ـ ١١١.

بأنّه لو لم تفعل هذا الفعل فسوف يحدث كذا وكذا [وفي بحثنا يخوّفه ببطلان العمل ومن ثم العقاب الإلهي]، أو أنه إذا فعلت ذلك فسوف يكون كذا وكذا ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ**﴾[آل عمران: ١٧٥].

لكن المتقي (الواعي) يتذكّر بأنّ هذه الوسوسات من الشيطان فلا ينبغي التخوّف منه، بل يجب الخوف من الله تعالى وحده ﴿**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران: ١٧٥].

إذاً، على الإنسان الذي يريد الخلاص من هذه الورطة أن يتبع هذه الطريقة حتى ينجو من الوساوس بكلِّ تأكيد، وعليه أن يفكّر في خطورة الوسواس حتى عند التخلّص منه، كي لا يغفل عنه ولا ينساه، وإلا سوف يجرّه بطريقة وأخرى (من حيث لا يشعر)، وهذا الأسلوب نصح به علماء الأخلاق للدوام على التوبة: (ليفكّر دائماً بالذنب الذي تاب منه، وإفرازاته يجعلها نصب عينيه لئلا يغفل وينسى مضرّاته، وإلا ستهجم عليه الوساوس لإيقاعه في هوّة الخطيئة مرة أخرى).

ويقول العلامة النراقي قدس سره: الوساوس إن كانت بواعث الشرور والمعاصي، فالعلاج في دفعها أن يتذكّر سوء عاقبة العصيان ووخامة خاتمته في الدنيا والآخرة، ويتذكّر عظيم حقّ الله وجسيم ثوابه وعقابه.

ويقول السيّد الخميني قدس سره: (ويجدر بالإنسان أن تكون أعماله وأفعاله، نتيجة التفكّر والتأمّل، بأن يتفكّر في هذا العمل الذي يريد أن ينجزه، ويريد أن يجعله مرضياً لله تعالى من أيّ مصدر يكون وممّن يُؤخذ حتى تكون كيفيّته بهذا الشكل المخصوص؟ ومن الواضح أنّ العوام من الناس يأخذون من الفقهاء كيفية العمل، ومراجع التقليد يستنبطون من الكتاب

والسنّة والقواعد الفقهية، وعندما نرجع إلى الفقهاء نسمع منهم القدح في عمل الوسواسي ويرون بعض أعماله الباطلة، وعندما نرجع إلى الأحاديث الشريفة، والكتاب الإلهي نجد بأنّ عمله يُعتبر من الشيطان ويجعل صاحبه مجنوناً، إذاً الإنسان العاقل إذا فكّر وتدبّر قليلاً قبل أن يهيمن الشيطان على عقله لأوجب على نفسه الإقلاع عن هذا العمل الفاسد، ولسعى في سبيل تصحيح عمله حتى يكون مرضياً عند الحقّ المتعال).

إذاً، الخطوة الثانية للخلاص من الوسواس هو أن يعلم بأنّ الوساوس من الشيطان وعندما يقلع عنها وتُعرض له الوساوس لا يعتني بها ويتذكّر خطورة العودة إليها في الاعتناء بالوساوس.

الخطوة الثالثة: الاستعاذة بالله

على الإنسان أن يستعيذ بالله عزّ وجل من كلِّ ذنب عندما يصبح ويمسي ليس فقط من الوسواس؛ لأنّها من جملة الأمور التي ورد الاهتمام بها كثيراً في القرآن الكريم وأخبار أهل البيت عليهم السلام، هو موضوع الاستعاذة يعني اللجوء إلى الله تعالى من شر الشيطان: ﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[النحل: ٩٨] وبطبيعة الحال يجب أن تحدث في النفس حالة الاستعاذة، يعني الاستجارة بالله لتكون الاستعاذة حقيقية.

يعني أن يعيش الإنسان الاستعاذة في نفسه بأنّه عائذ بالله وبعبارة أدقّ أن يعلّق كلّ آماله على الله سبحانه في هذه الحالة، ولا سيّما الإنسان الوسواسي فعندما يعيش هذه الحالة سوف تحصل ثمار بإذن الله تعالى، أما مَنْ يلفظ الاستعاذة بلسانه ولم يكن لديه الأصل الحقيقي فلا ينفع في العلاج إلا أن يرحمه الله مع تقصيره ولم يكن عزيز على الله عزّ وجلّ.

فعلى الإنسان أن يستعيذ في كلِّ أحواله، خصوصاً عند الابتداء بالعبادة، (لأن إبليس كامن لكلّ فرد من أفراد البشر ويسعى أن لا يصدر خير من الإنسان، ولو صدر ذلك فإنّه يسعى لابطال عمله وعدم وصوله إلى آخره، لكي لا ينتفع به الإنسان.

ولم ترد الاستعاذة من الشيطان فقط في العبادات بل حتى في بعض المباحات كما هو الحال في لبس الملابس، وفي الأماكن أشرفها وأوضعها، فعندما تتّجه إلى المسجد فاستعذ قبل الدخول، بل حتى عند الدخول إلى بيت الخلاء، راجع الكتب التي تعرّضت لذلك.

وقد أورد في الوسائل باباً في استحباب الاستعاذة عند إرادة القراءة في الصلاة ومن جملة الروايات التي جاءت فيه عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر دعاء التوجّه بعد تكبيرة الإحرام ثم قال: ثم تعوّذ من الشيطان الرجيم، ثم اقرأ فاتحة الكتاب.

فعلينا أن نستعيذ بالله من الشيطان ووساوسه على كلّ حال، قال الله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ**﴾[المؤمنون: ٩٧].

وقد يسأل سائل أنّ الوسواسيين أكثرهم من أهل التديّن وكثيراً ما نراهم يتعوّذون من الشيطان ويلعنونه أشدّ اللعن فلماذا نراهم يعتنون بوساوسه يا ترى؟

والجواب على ذلك أنّ للاستعاذة معنيَيْن: أحدهما، مجرّد لقلقة لسان، وهذه لا تأثير لها كما أفاد غير واحد من علماء الأخلاق (رضوان الله عليهم) وثانيهما، بأن يعيش الإنسان أجواء الاستعاذة واللجوء بحقّ إلى الله سبحانه وتعالى.

ونجيب عن السؤال أعلاه، إنّ هؤلاء الوسواسيين يتعوّذون بالألفاظ فقط ولا يعملون بما يريده الله سبحانه إنّما بما يريده الشيطان (الذي يتعوّذون منه!)، ومن الطريف ما يمثّله السيّد دستغيب قدس سره على هذه الحالة فيقول: أنت تريد أن تضع يدك في فم الأسد ثم تقول بلسانك: إني أخاف من الأسد وأهرب منه وألجأ إلى قلعة قوية! أو تقف كالعبد الذليل مقيّد اليدين أمام الشيطان ثم تقول بلسانك: أعوذ بالله من شر إبليس.

وما دام لسانك ينطق بكلِّ لغو فيعني أنك عبد للشيطان كظلّه، فأنت تكذب حتى لو لعنت الشيطان من الصباح إلى المساء، ويجب أن تستغفر الله من قولك (أعوذ بالله)إذن القاعدة أو الخطوة الثالثة: هي الاستعاذة الحقيقية بالله هي التي تنجي من الوسواس وغيره بإذن الله تعالى.

الخطوة الرابعة

أن يعلم الوسواسي أنّه على خطأ في مراعاة الوساوس والشكوك، وهو يستطيع أن يصلح نفسه ويسعى بكلّ جدية لإصلاح نفسه والخروج من بوتقة الظلام الذي حاكه له الشيطان، لأنّ الكثير ممّن هم على خطأ ولكنّهم لا يقرّون بذلك بل يعتقدون أنهم على الصواب، هؤلاء لا يهتدون أبداً إلا أن يرجعوا عن حالهم وهو الضلال المبين، لأنّ الله عزّ وجل لا يهدي من أراد الضلالة.

وفي هذا الصدد يقول السيّد الخميني قدس سره: ولكن يجب أن يشعر الإنسان بأنّه سقيم، حتى يسعى في سبيل المعالجة، ولكن النقص يكمن في أنّ الشيطان قد يزيّن له الأمور على مستوى لا يرى فيه هذا المسكين نفسه مريضاً، وإنما الآخرون يرونه منحرفاً عن السبيل وغير مكترث بالدين.

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «**والله ما ينجو من الذنب إلا مَنْ أقرّ به**».

وقد يشكّ البعض هل أنا وسواسي أم لا؟

ويجيب السيّد قدس سره في الكتاب نفسه: ويجب على كلّ مَنْ يشكّ في حصول الوسوسة عنده، أن يكون مثل الناس العوام، في عرض عمله على العلماء والفقهاء، والاستفهام منهم بأنّه هل ابتلي عمله بمرض الوسوسة أم لا؟

لأنّ كثيراً ما يكون الإنسان الوسواسي غافلاً عن حاله ومعتقداً بأنّه معتدل وأنّ الآخرين غير مكترثين بالدين، ولكنّه إذا فكّر قليلاً، لوجد أنّ مصدر هذا الاعتقاد هو الشيطان وإلقاءاته الخبيثة، لأنّه يرى بأنّ العلماء والفقهاء الكبار من الذين يؤمن بعلمهم وعملهم، بل ويكونون مراجع المسلمين في أخذ مسائل الحلال والحرام منهم، يعملون بما يغاير عمله، ولا يستطيع القول بأنّ الملتزمين غالباً والعلماء وعظام الدين لا يحفلون بدين الله وأنّ الإنسان الوسواسي وحده يتقيّد بالدين

وإذا لم يفعل الشخص الوسواسي بهذه النصيحة يبقى من الذين استحوذ عليهم الشيطان والعياذ بالله، وهذا ما كان يتعوّذ منه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الاستعاذة: «**اللهم إنّي أعوذ بك من..، وأن يستحوذ علينا الشيطان..**».

ويقول السيّد نعمة الله الجزائري رحمه الله في شرح هذه الفقرة: يستولي علينا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**بينما كان موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل عليه إبليس وعليه برنس وألوان فقال له: ما هذا البرنس؟ قال: أخطف به قلوب بني آدم، قال: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنب ابن آدم استحوذت عليه، قال:**

إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **لو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أنّ الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم منا الحسنى. وروي أنه كان في بني اسرائيل رجل عابد وقد سمع بجماعة يعبدون شجرة فمضى لقلعها فاعترضه الشيطان فقال: يا عبد الله مالك والناس عليك بنفسك، فلم يقبل العابد مقالته فتقابضا فصرع العابد الشيطان وضرب الشيطان على الأرض، فقام الشيطان فقال له: يا عبد الله أجعل لك كل يوم دنانير فتصدّق بها وارجع عن قلع هذه الشجرة فرجع العابد، وأتى له بالدنانير في ذلك اليوم وقطعها عنه في اليوم الآخر، ثم إن العابد مضى لقلع الشجرة فاعترضه الشيطان في الطريق وزجره بصوت هائل وقال له: ارجع، فلما لم يرجع أخذه الشيطان وضرب به الأرض فقام له العابد وهو يقول: غلبتك بالأمس وغلبتني هذا اليوم فما السبب، فقال له الشيطان صرعتني حيث لم تطعني والآن استحوذت عليك فغلبتك حيث أطعتني.**

انظر عزيزي القارئ هذا الكلام وتأمّل فيه جيداً، ألا يصدق على واقعنا ولا سيما الوسواسيّين كيف استحوذ عليهم الشيطان من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وألا بربك شخص يقف في مصلاه باتجاه القبلة يريد أن ينطق تكبيرة الإحرام لا يستطيع ويقول النية لا تتأتّى ولا تحضر في قلبي فلمن أصلي ولا أعرف الصلاة التي أريد أصليها الساعة! بالرغم من أنّها صلاة الظهر وهو توضأ بسبب أذان الظهر، ومشهور الفقهاء المعاصرين يقولون بأنّ النية ارتكازية (أي أنها مرتكزة في القلب وهو القصد القلبي) فلا حاجة لحضورها في الذهن أو إخطارها، فشخص كهذا استحوذ عليه الشيطان؛

لأنّه لم يعمل بالمتعارف ولا يأخذ كلام أهل البيت عليهم السلام، ولا يعمل بما يأمره به الفقهاء وعلماء الأخلاق، فهذا بلا شك قد استحوذ عليه الشيطان ـ لا أقل في هذا المورد ـ.

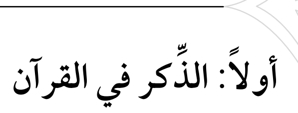
إذاً، القاعدة الرابعة: هي أن يشعر الوسواسي ويعتقد أنّه خاطئ ومشتبه، وعليه أن يصحّح هذا الخطأ ولا يراعي أي شك، حتى يسير على المنهج الصحيح.

الخطوة الخامسة: الذِّكر

وهذا الموضوع كسابقاته، لم يكن مختصّاً بالوسواسي، إنّما بكلّ إنسان يريد القرب من الله سبحانه، وهو من أهم المواضيع التي يبحثها علماء الأخلاق والعرفان، ولها الدور الكبير والفعال في حياة العبد الذي يدين بالشرائع السماوية لاسيما الإسلام الحنيف، وقد أكّد على ذلك من قبل القرآن الكريم، والروايات الإسلامية، واعتبروه (أي علماء الأخلاق) من العناصر الهامّة في خطّ العبادة وتطهير النفس وتهذيبها وذكروا لكلّ مرحلة من مراحل السير والسلوك الذكر الخاص بها، فمثلاً في مرحلة التوبة ينبغي للسالك في طريق الحق الاهتمام بذكر (يا غفار) وفي مرحلة محاسبة النفس (يا حسيب) وفي مرحلة استنزال الرحمة (يا رحمن) و (يا رحيم) ..وهلم جرا.

نعم، فإنّ ذكر الله تعالى، من أكبر العبادات وأفضل الحسنات، في عملية التصدّي للتحدّيات النفسية الصعبة، وتحقيق الصيانة من الوساوس الشيطانية.

ولا بأس بالتعرّض إلى فضل الذكر (بصورة عامة) في القرآن والسنة الشريفة:



أولاً: الذِّكر في القرآن

نذكر هنا بعض الآيات رعاية للاختصار، وهي:

١ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

٢ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[الأحزاب: ٤١].

٣ـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾[المائدة: ٩١].

ثانياً: الذِّكر في السنة الشريفة

١ـ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**ذكر الله دواء إعلال النفوس**»[١].

٢ـ وعنه عليه السلام أنّه قال: «**ذكر الله رأس مال المؤمن، وربحه السلامة من الشيطان**»[٢].

إلى غيرها من الآيات والروايات التي حثّت على الذكر وذكرت فضائله وأهمّيته في حياة المسلم في الدنيا والآخرة.

الأذكار التي تدفع الوساوس

١ـ روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا وسوس الشيطان إلى أحدكم فليتعوّذ بالله، وليقل آمنت بالله ورسوله مخلصاً له الدين[٣].

(١) الأخلاق في القرآن، الشيخ مكارم الشيرازي: ١ / ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ط مؤسسة الأعلمي بيروت ـ ٢٠٠٨م: ٩٢ / ٣٦٢، ب ٩٨، الدعاء

٢ـ كذلك روى الشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن ابن عباس: (لما بعث الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فتعرّض له الشيطان فوسوس له، فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**سبحان الله ملء سماواته وأراضيه، ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضا نفسه**»، قال لما سمع إبليس (لعنه الله) ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئاً حتى وقع في اللجة الخضراء)[1].

وقد أورد هذا الحديث العلامة المجلسي قُدِّسَ سِرُّهُ في بحاره تحت باب (الدعاء لرفع وساوس الشيطان)، إذاً، ينبغي للمبتلى بالوسواس أن يقرأ هذا الدعاء بنيّة التخلّص من الوساوس.

٣ـ لوسوسة القلب: يقول: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ويقرأ المعوذتين.

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا وسوس الشيطان لأحدكم، فليتعوّذ بالله، وليقل بلسانه وقلبه: آمنت بالله ورسله مخلصاً له الدين**».

لضيق القلب: يقرأ سبعة عشر يوماً ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ**﴾ إلى آخره كلّ يوم مرتين: مرة بالغداة (وقت الفجر)، ومرة بالعشاء[2].

٤ـ نقل من خط الشهيد رَحِمَهُ اللَّهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ الشيطان اثنان: شيطان الجنّ، ويُبعد بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وشيطان الأنس ويُبعد بالصلاة على النبي وآله**».

لدفع وساوس الشيطان، ح ١.

(١) آمالي الصدوق، الشخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ: ١٥٣ ـ ١٥، المجلس ٣٧، ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ٩٢ / ٣٦٣، ب ٩٨، ح ٣

ومنه عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس عما يجد الإنسان في صدره من الشك فقال: ما نجا من ذلك أحد وقد أنزل الله (فإن كنت في شك) إذا وجدت ذلك فقل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلِّ شيء عليم)وعن عثمان ابن أبي العاص: قلت: يا رسول الله حال الشيطان بين صلاتي وقراءتي، قال: **ذلك شيطان يقال له: خيزب، فإذا أحسست به فتعوّذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً**[1].

٥ـ عن حريز d عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت: يا ابن رسول الله، إنّي أجد بلابل في صدري، ووساوس في فؤادي حتى لربما قطع صلاتي، وشوش عليّ قراءتي قال: **وأين أنت من عوذة أمير المؤمنين** عليه السلام؟ قلت: يا ابن رسول الله علّمني، قال: «**إذا أحسست بشيء من ذلك فضع يدك عليه، وقل: (بسم الله وبالله اللهم مننت علي بالإيمان، وأودعتني القرآن، ورزقتني صيام شهر رمضان، فامنن عليّ بالرحمة والرضوان، والرأفة والغفران، وتمام ما أوليتني من النعم والإحسان، يا حنّان ويا منّان، ويا دائم ويا رحمن، سبحانك وليس لي أحد سواك، سبحانك أعوذ بك بعد هذه الكرامات من الهوان، وأسألك أن تجلي عن قلبي الأحزان) تقولها ثلاثاً فإنّك تعافى منها بعون الله تعالى، ثم تصلّي على النبي والسلام عليهم ورحمة الله**[2].

٦ـ عن الحلبي قال: قال رجل لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إنّي إذا خلوت تداخلني وحشة وهم، واذا خالطت الناس لا أحس بشيء

(١) المصدر السابق: ح ٤.

(٢) المصدر السابق نفسه: ب ٩٩، ح ١.

من ذلك، فقال: «**ضع يدك على فؤادك وقل (بسم الله، بسم الله، بسم الله) ثم امسح يدك على فؤادك وقل: (أعوذ بعزة الله، وأعوذ بقدرة الله، وأعوذ بجلال الله، وأعوذ بعظمة الله، وأعوذ بجمع الله، وأعوذ برسول الله، وأعوذ بأسماء الله، من شرّ ما أحذر، ومن شرّ ما أخاف على نفسي) تقول ذلك سبع مرات**»، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عني الوحشة، وأبدلني الأنس والأمن[١].

وأنت عزيزي المبتلى بالوسواس عليك أن تفعل ذلك.

٧ـ عن عبد الله بن سنان قال: شكى رجل إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام كثرة التمنّي والوسوسة فقال: **أمِرّ يدك على صدرك ثم قل: (بسم الله وبالله، محمد رسول الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلّي العظيم، اللهم امسح عنّي ما أحذر) ثم أمر يدك على بطنك وقل ثلاث مرات، فإن الله تعالى يمسح عنك ويصرف**»، قال الرجل: فكنت كثيراً ما أقطع صلاتي ممّا يفسد عليّ التمني والوسوسة، ففعلت ما أمرني به سيدي ومولاي ثلاث مرات، فصرف الله عني، وعُوفيت منه، فلم أحس به بعد ذلك[٢].

الخطوة السادسة: العزم

وهذه النقطة كسابقاتها أيضاً لم تكن مختصّة بموضوعنا فقط، إنّما في كثير من المجالات لا سيّما علم الأخلاق، فهو من أفضل الوسائل، والسبل التي يؤكّد عليها علماء الأخلاق والعرفان، فمن خلاله يتمكّن المؤمن

(١) المصدر السابق: ب ٩٩ الدعاء لوساوس الصدر وبلابله ولرفع الوحشة، ح ٢.
(٢) المصدر السابق نفسه: ب ٩٩ الدعاء لوساوس الصدر وبلابله ولرفع الوحشة، ح٣.

الوصول إلى المراد وتحمّل كلّ المصاعب، يقول العلم الحجة السيّد محمد مهدي بحر العلوم رحمه الله في (رسالة السير والسلوك) المنسوبة له في العزم: (ويجب أن يكون العزم جازماً، بحيث لا يحتمل الرجوع عن مقارعة السيف والسنان، ومقابلة الأبطال والشجعان، وتحمل الشدائد، واحتمال المخاوف).

وورد في دعاء الإمام الكاظم عليه السلام: «**وقد علمت أنّ أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي**».

وكتب السيّد الخميني قدس سره حول العزم قائلاً: (والعزم الذي يتناسب وهذا المقام، هو أن يوطّن الإنسان نفسه ويتخذ قراراً بترك المعاصي وبأداء الواجبات، وتدارك ما فاته أيام حياته، وبالتالي العزم في أن يجعل من ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعياً، بحيث يحكم الشرع والعقل ـ بحسب الظاهر ـ بأن هذا الشخص إنسان والإنسان الشرعي هو الذي ينظّم سلوكه وفق ما يتطلّبه الشرع وأن يكون ظاهره كظاهر الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يقتدي بالنبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ويتأسّى به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع ما يفعل وما يترك، وهذا أمر ممكن، لأن جعل الظاهر مثل هذا القائد أمر مقدور لأيّ فرد من عباد الله).

ومراد السيّد الخميني قدس سره من هذا الكلام في جميع المعاصي بما فيها (الوسواس= أي الاعتناء به)، كما نقلنا عنه فيما تقدّم من هذا الكتاب، وقد يستغرب القارئ العزيز أنّه كيف يكون الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمراً ممكناً؟ نعم قد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**)، وقد نقلت لنا سيرة المسلمين ذلك، وكذا ما نقل عن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتب السيرة والحديث، فما عليك يا أخي المبتلى بهذا المرض، إلا مراجعة هذه الكتب،

وانظر سيرة النبي ﷺ في وضوئه، وصلاته، وسائر عباداته ومعاملاته ﷺ، بعدها اعزم على ترك ما أنت فيه من وساوس، حتى تصبح ذلك المؤمن الذي لا ينقاد بسهولة لشباك ووساوس الشيطان، (وإنّ هذا العزم هو جوهر الإنسانية، فعلى مقدار عزمك ونسبته يكون عملك، وليس العزم إلا مقدمة لأعمالك وعباداتك وبه تتحقّق إنسانيّتك).

وفي موضع آخر نرى السيّد الخميني يؤكّد على سالك طريق الأخلاق، الذي عليه أن يحقّق العزم ليصل إلى مقامات عالية، أن يعمل بالشريعة الظاهرة، فما بال الذين يشكون ويوسوسون في كلِّ شيء! ألم يكن السيّد الخميني من علماء الأخلاق والعرفان؟ بل من أكابر مراجع الأمة ينصح ويرسم الطريق لمن يريد سلوك طريق الأخلاق، انظر ماذا يقول: (واعلم أن طيّ أي طريق في المعارف الإلهية، لا يمكن إلا بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدّب الإنسان بآداب الشريعة الحقّة، لا يحصل له شيء،..وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه، سيستمرّ أيضاً بتأدّبه بالآداب الشرعية الظاهرية)[1].

انظر ماذا يعقب شارح الحديث على هذا الكلام: لأنّها أصبحت بذلك ملكات له ولو تركها لما كانت ملكات ولعاد من حيث بدأ، ومن هنا قال شيخنا وأستاذنا جوادي آملي حفظه الله: (إنّ الإنسان ما دام في عالم الطبيعة فهو على الدرج وحينما ينتقل إلى عالم الآخرة يصبح على السطح، فنحن نعيش في بئر عالم الطبيعة آخذين بالصعود، درجة درجة، وسُلّمنا هو عبادتنا وهذه الآداب الشرعية فإن تركناها نكون قد تركنا الدرج، وسنهوي

(١) الأربعون حديثاً: ٣١.

إلى قعر البئر من جديد)[١].

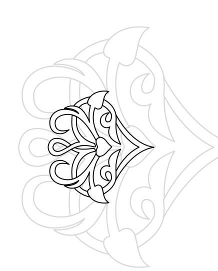
وقد أرجع بعض الفقهاء الكبار العزم إلى الندم الذي هو أحد أركان التوبة والتي تكلّمنا عنها في الخطوة الأولى من الكتاب، ولكنّه مع ذلك جعله (العزم) الركن الثاني للتوبة إذ يقول: (وكون هذا ـ العزم ـ ركناً ـ أيضاً ـ من الواضحات؛ إذ بدونه لا يصدق عنوان الرجوع إلى الله أو الرجوع إلى الفطرة الصافية، والندم في الغالب يستبطن العزم على عدم العودوقد ورد في الحديث عن ربعي، عن الصادق عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الندم على الشرّ يدعو إلى تركه**»[٢].

إذاً عزيزي المبتلى بالوسواس، عليك أن تعزم من ساعتك هذه ألا تبالي وتراعي أي شيء يوسوسه لك الشيطان، فإذا كنت تشكّ كثيراً في الطهارة، أو الصلاة، أو غيرهما فافعل كما يفعل الناس، واعتبر الشكّ في زاوية الإهمال وإن كانت نفسك تحدّثك وتلحّ عليك بأنّ هذا العمل باطل أو خطأ! فأنت بإرادتك وعزمك سوف تتغلّب على ذلك إن شاء الله تعالى، أقول لك، جرب هذه الحالة ليوم واحد وانظر الثمار التي تجنيها، وعندما يأتي اليوم الثاني افعل كما في الأول حتى تتغلّب بـ (عزمك) على هذه الوساوس، والله سبحانه وتعالى يريد منك هذه الخطوة حتى يمدّ لك يد العون، وإلا أسألك بربّك ترى شخصاً يعصي الله سبحانه وهو على معصيته يريد من الله تعالى أن يتوب عليه ويساعده للخلاص من هذه المعصية وهو قائم عليها! أيّ سذاجة وبلاهة هذه؟!.

الله ينادي عبده ليلاً نهاراً إذ يقول: (**فإذا عزمت فتوكّل على الله**).

(١) التربية الروحية، السيّد كمال الحيدري، دار الكاتب العربي ـ بيروت: ٢٣١.

(٢) تزكية النفس، السيّد كاظم الحائري: ١٤٠.



الخطوة السابعة: الدعاء

لا شكّ أنّ الدعاء هو سلاح المؤمن، وعماد الدين[٣]، ومن أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله تعالى، وأنّه يرد القضاء وإن أبرم إبراماً، ومفتاح كلّ رحمة، وأنّه سبب عطاء الله تعالى من بركات وعطايا جزيلة لا تقدّر ولا تُحدّ بحدود، والدعاء هو العبادة، بل مخ العبادة كما ورد عن المعصومين عليهم السلام[٤] وفيه الكثير من الآثار أهمّها مخاطبة الله تعالى والحديث معه، كما ورد ما مضمونه (إنّ القرآن هو حديث الباري مع عبده، والدعاء هو حديث العبد مع ربّه).

الدعاء إقبال على الله، وهو روح العبادة، وقيمة الدعاء أنّها تشدّ الإنسان إلى الله وتربطه به تعالى، وأنّ ترك الدعاء والإعراض عنه هو إعراض عن الله تعالى[٥].

يقول أحد الأعلام: فإنّ الدعاء والمناجاة أحد أفضل سبل الارتباط المعنوي بالله وبلوغ صفاء الباطن وتهذيب النفس، فلو علم الداعي مَن يناجي وأمام أيّ عظيم يترنّم ويستغيث والمفاهيم الرفيعة الواردة في الأدعية، لاستشعر لذّة ونشوة لا تعدلها لذّة في العالم، فالدعاء يهذّب النفس ويطهّر الروح وينوّر القلب.

فالتضرّع والخضوع للحقّ تعالى والاستغاثة في محضر المعبود المتعال، وانهمار الدموع على وجنات العبد وخدوده وغسل غبار الغفلة

(٣) يقول سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي: وإنّما كان الدعاء (عماد الدين)؛ لأنّ قوام الدين هو التحرّك إلى الله، والدعاء إقبال على الله، الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، ص ١٧

(٤) أغلب ما ذكرته هو مقتبس من الأحاديث والروايات الشريفة.

(٥) اقتبست هذه المعاني من كتاب الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، لسماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية ـ قم، ط ٤، ١٤٢٩هـ: ١٣ ـ ١٤

والخطيئة بماء الندم، كلّ ذلك علامات العبودية وامتياز الإنسان على سائر الموجودات..فإن خشع القلب وإنسابت الدموع على الخدود، وانطلق اللسان بالتسبيح والتقديس وأردف ذلك بكلمات الاستغفار والاعتذار، تحقّق الارتباط والاتصال بمقام الأحدية وكان ذلك الوقت أعظم اللحظات لطلب الحاجة من الله تعالى[1].

ويقول في موضع آخر: الآية ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر: ٦٠]، قوله: فالدعاء يقود الإنسان من جانب إلى معرفة الله تبارك وتعالى، وهذه المعرفة هي أفضل رصيد للإنسان في وجوده، ومن جانب آخر يدفع الدعاء الإنسان إلى الإحساس العميق بالفقر والخضوع تجاه خالقه جلّ وعلا، ويبعده عن التعالي والغرور اللذين يُعدّان الأرضية المناسبة للمجادلة في آيات الله والانحراف عن جادة الصواب والوقوع في المهالك.

من جانب ثالث يعمِّق الدعاء لدى الإنسان الشعور بأنّه جلّ وعلا منبع النعم ومصدره ويدفعه إلى العشق والارتباط العاطفي مع الله جلّ جلاله.

ومن جانب رابع يشعر الإنسان بالحاجة إلى الله تعالى وأنّه رهين نعمته، ولذلك فهو موظّف بطاعته وتنفيذ أوامره، ويرهف إحساسه بالعبودية لله تعالى.

والجانب الخامس بما أنّه يعلم أنّ للإجابة شروطها، ومن شروطها خلوص النيّة، وصفاء القلب، والتوبة من الذنوب، وقضاء حوائج المحتاجين، والسعي في مسائل الناس من الأقرباء والأصدقاء وغيرهم، فلذلك يهتمّ ببناء الذات وإصلاح النفس وتربيتها.

(١) المفاتيح الجديدة، الشيخ مكارم الشيرازي: ٤٣.

والسادس يركّز الدعاء في نفس الإنسان الداعي عوامل المنعة والإرادة والثقة، ويجعله أبعد الناس عن اليأس والقنوط أو التسليم للعجز[1].

ومهما يكن من أمر فإنّ الحديث يطول حول الدعاء، وقد كتب العلماء كتباً وبحوثاً متفرِّقة في فضل الدعاء، وحقيقته، وفلسفته، وشروطه[2] فمن شاء الاستزادة فليراجع، ولكن مع ذلك لا بأس أن نذكر بعض الآيات والروايات في فضل الدعاء.

أولاً: الآيات القرآنية

١ـ قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة: ١٨٦].

٢ـ وقال تعالى في الإرشاد للتوسّل بالدعاء وذمّ الذين يتركون الدعاء ويعرضون عنه: ﴿**قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[غافر: ٦٠].

ثانياً: أما الروايات

١ـ ورد عن الأمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من عدوكم، ويدر رزقكم؟ قالوا: نعم، قال: تدعون بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء**»[3].

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق: ١٥ / ١٩٥

(٢) راجع بحار الأنوار، وكتب التفسير كالميزان، ومواهب الرحمن، والأمثل، وكتاب الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام للشيخ الآصفي، وغيرها من المصادر التي تحدثت عن الدعاء.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠ / ٤٤٢، أبواب الدعاء، ح ١٤.

وأنت يا أخي العزيز عليك أن تدعو الله سبحانه أن يخلّصك وينصرك على عدوك وهو الشيطان (الوسواس الخناس).

٢ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من لم يسأل الله من فضله افتقر**»[١].

٣ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**عليك بالدعاء فإنّه شفاء من كلّ داء**»[٢].

ولا أريد الخوض في ما ذكر من شروط الدعاء واستجابته ومواطن الاستجابة وما هي فلسفة عدم الاستجابة؟.

ولكن لا بدّ من الإشارة إلى نقطة هامّة جداً، وهي أنّ الوسواسي عندما تحصل لديه حالة عدم الاستجابة لا سمح الله، عليه ألا يقع في الشكّ أو الريبة في هذه الآيات والأحاديث، فهناك نقطة جديرة بالالتفات وهي أنّنا نعتقد أنّ الحلّ لهذه المشكلة، بيده إذ يستطيع التغلّب عليها، كما سمعناه من الأحاديث والروايات والفتاوى، ونصائح العلماء، فيكون ممّن لا يُستجاب لهم على سبيل فرض عدم الاستجابة والله العالم بحقائق الأموركما ورد في بعض الأصناف الذين لا يُستجاب لهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أربعة لا يُستجاب لهم دعاء: رجل جالس في بيته يقول يا رب ارزقني فيقول له: ألم آمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقول ألم أجعل أمرها بيدك؟ ورجل كان له مال فأفسده فيقول يا ربّ ارزقني فيقول ألم آمرك بالاقتصاد؟ ألم آمرك بالإصلاح؟** ثم قرأ: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾[الفرقان: ٦٧] **ورجل كان له مال**

(١) المصدر السابق: ح ٣٦.

(٢) أصول الكافي: ٢ / ٤٤١ ـ ٤٤٢، كتاب الدعاء، ب ـ إن الدعاء شفاء من كل داء، ح ١.


فأدانه بغير بيّنة فيقول ألم آمرك بالشهادة؟[1].

فلعلّ هذا المبتلى يستطيع أن يتخلّص من الوسواس ولكنّه مع ذلك يبقى ضعيفاً أمام هذه الوساوس، فلا يمكن له أن يعتمد على الدعاء فقط كما هو الحال في الرواية الآنفة الذكر.

دعاء لدفع الوسواس

أمّا بالنسبة إلى خصوص الدعاء، وهل هناك دعاء خاص لدفع الوسواس أو لا؟ الجواب أنّه لا يُشترط ذلك بحسب ما هو وارد في العمومات (أعني الآيات والروايات الآمرة بالدعاء) فيمكن للإنسان أن يدعو بأي دعاء شاء مع توفر شروطه، إلا أنّه من الأفضل أن يدعو بما هو وارد عن المعصومين عليهم السلام؛ لأنّهم عليهم السلام هم أعرف، وأعلم الناس بالأسلوب الأنسب لدعاء الباري ومخاطبته عزّ وجلّ، كما قيل أهل البيت أدرى بما فيه.

أما بالنسبة إلى السؤال الثاني، هل يوجد دعاء خاص للوسواس؟ نعم قد ذكرت في الخطوة الخامسة (أي الذكر) مجموعة من الأذكار هناك فراجع، وكذلك يوجد دعاء لدفع الوسوسة ذكره العلامة المجلسي (قدّس سرّه) وهو (توكّلت على الحيّ الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذلّ وكبّره تكبيراً ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم)[2] بالإضافة إلى أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية، مثل دعائه عليه السلام في الاستعاذة من الشيطان، ودعائه في الاستغاثة، ودعائه في الاستعاذة، وغيرها من أدعية الصحيفة المباركة التي تناسب المقام.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨ / ٤٧٧، ب ـ ٨٦، ح ١

(٢) ، مفتاح الجنان، المطبوع مع زاد المعاد للعلامة المجلسي: ٥٦٠.



مظانّ استجابة الدعاء

بعدما عرفت أنّ الدعاء هو من العبادات الشريفة ذات الأجر والفائدة في الدين والدنيا، وله الأثر في روح الإنسان المؤمن، وكما ذكرت له شروط وهناك موانع الاستجابة، وفي الوقت نفسه هناك أوقات ومواطن استجابة الدعاء، إلا أنّها لا تنحصر بهذه المواطن، أو الأوقات، بل الدعاء يُستجاب في كلّ وقت ولكن مظان الإجابة تكون آكد في الاستجابة وأسرع، وقد ذكروا مظان الإجابة تبعاً للروايات، كما يلي:

١ـ ما يرجع إلى الزمان والوقت، وبعض الأفعال العبادية: مثل ليلة الجمعة، وأوقات السحر في سائر الليالي، وعند هبوب الرياح، ونزول المطر، وزوال الأفياء، وفي صلاة الوتر، وبعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد الظهر، والمغرب، وعند قراءة القرآن، وعند الأذان، وإذا حصلت حالة رقة في القلب، والدعاء عقيب الصلاة).

٢ـ ما يرجع إلى المكان: مثل عرفة، الحرم والكعبة، المساجد، عند مرقد الإمام الحسين عليه السلام.

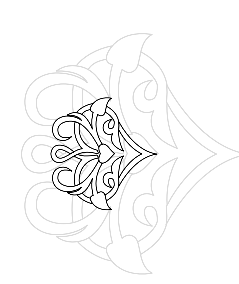
وغير ذلك فمن شاء التوسّع عليه مراجعة المطولات[١].

ولا يفوتنّك من ضمن ما جاء في أدب الدعاء مع الله جلّ وعلا، ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إياكم إذا أراد أن يسأل أحدكم من ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله عزّ وجلّ والمدحة له، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يسأل الله حوائجه**»[٢].

---

(١) راجع عدّة الداعي لابن فهد الحلي قدس سره الباب الثاني، في أسباب الإجابة وغيره من المصادر.

(٢) عدة الداعي، للعلامة العارف أحمد بن فهد الحلي، شركة الأعلمي ـ بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ: ١٤٦.



الخطوة الثامنة: التوسّل

من الخطوات والأعمال المفيدة في إنجاح سؤل المؤمن، وقضاء حوائجه لا سيّما عندما تستعصي الأمور، أن يتوسل بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بجاههم ومقامهم عند الله تعالى، في الخلاص من حالة الوسواس القهري

ولا توجد أدعية توسّل خاصّة ولكنّه يمكن قراءة ما ورد في أدعية التوسل التي ذُكرت في محلّها لا سيما دعاء التوسّل الموجود في مفاتيح الجنان[1].

الخطوة التاسعة: الطبّ النبويّ

ومن الخطوات الهامّة هو العلاج بالطبّ النبوي، وطبّ الأئمّة عليهم السلام وهي نافعة إن شاء الله تعالى، وهذا ليس غريباً لأنّ الله تعالى قد أودع أسرار إبداعه وإعجازه في خلقه، وقد جعل لكلّ داء دواء، والكثير منها مودع في خلقته أسراراً، ولكن يحتاج إلى مَن يكتشف هذه الأسرار ليظهرها للوجود، وهذا ليس بدعاً فإنّنا نرى العلاجات التي يذكرها علماء النفس مستعيناً بالطبّ الحديث كما هو الحال في علاجات الأمراض النفسية التي منها الوسواس القهري التي تُسمّى بـ (المهدّئات والمسكّنات) إلا أنّها وقتية، أما في الطبّ النبوي فيعالج الأمراض الروحية بل النفسية والبدنية، كما أذعن اليوم العلم الحديث لهذه الحقيقة وقد قيل: إنّ الطب النبويّ أو الطب القديم يعالج الأمراض من دون أيّ مضاعفات ولكنّه إذا استُخدم بالشكل الصحيح، وأفضل ما فيه إذا لم يحقّق الشفاء فلا توجد فيه

(١) ذكر العلامة المجلسي رحمه الله جملة من أدعية التوسل، في بحاره، ج ٩٩، ب ١٠. وهناك نقاش حول سند ومتن هذا الدعاء (الناشر).

مضاعفات وآثار جانبية يسبّبها كما هو الحال في علاج الطبّ الحديث[١].

أما في الشريعة أيضاً يوجد علاج روحي كما تقدّم من الأذكار والأدعية، ويوجد علاج طبي ورد في طبّ الأئمة عليهم السلام فيمكن الاستفادة منه ولكن مع اطمئنان القلب والاعتقاد الصحيح، بعد مشيئة الله سبحانه، والطبّ النبوي يجمع بين ما نسمّيه بالطب القديم والطب الروحي الذي يتلاءم مع عالم الروح، كما سيتبيّن، فقد وردت الكثير من الأحاديث والروايات لعلاج هذه الحالة، وسنوردها كما يلي:

١ـ صوم ثلاثة أيام من كلِّ شهر؛ الخميس الأول والأخير من الشهر ويوم الأربعاء وسط الشهر، روى الصدوق رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر** ـ أربعاء وخميسين ـ **وصوم شعبان يذهب بوسوسة الصدر، وبلابل القلب**»[٢].

وهذا ما يشمل الشك والوساوس في القضايا العقائدية، ويمكن أن يأتي به المكلّف بنيّة رجاء الخلاص من أيّ وسواس يؤثّر على دين الإنسان.

٢ـ أكل الرمان على الريق: عن الحنظلي قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: **من أكل رمانة على الريق أنارت قلبه فطردت شيطان الوسوسة**

(١) أخذت في السنين الأخيرة بعض الدول منها المتقدّمة بالاعتماد على الطب النبوي أو ما يُسمّى بطب الأعشاب أيضاً أو ما يسمّى بـ (الطب البديل)، وقد اكتشف أحد الأطباء الإيرانيين هذه الحقيقة حينما ذهب إلى بريطانيا من أجل الدراسات العليا، وعند عودته إلى إيران أسس المعاهد والمراكز العلمية لدراسة الطب القديم، وأخذت هذه المراكز بالانتشار في إيران، وقامت بإنتاج وتوزيع الأدوية اعتماداً على الطب القديم.

(٢) المفاتيح الجديدة، الشيخ مكارم الشيرازي: ٧٤٦.

أربعين صباحاً[1] وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: «**من أكل حبّة من رمان، أمرضت شيطان الوسوسة أربعين يوماً**»[2].

وتوجد أحاديث أخرى كثيرة بهذا الشأن أوردها العلاّمة المجلسي في بحاره فمن أراد الاطلاع فليراجع ج٦٣، ب ٧.

٣ـ غسل الرأس بالسدر: فعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغسل رأسه بالسدر ويقول: ومن غسل رأسه بورق السدر صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً، ومن صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً لم يعص الله ومن لم يعص الله دخل الجنة**»[3].

٤ـ استعمال المسواك، أو السواك: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**عليكم بالسواك فإنّه يذهب وسوسة الصدر**»[4].

٥ـ الشرب من ماء نيسان: أورد العلاّمة المجلسي رحمه الله رواية طويلة الذيل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها: «**والذي بعثني بالحق نبياً أنّ جبرائيل عليه السلام قال: إنّ الله يدفع عن الذي يشرب من هذا الماء كلّ داء في جسده** ـ إلى أن يقول ـ **ولا يتأذى بالوسوسة ولا الجنّ ولا الشياطين**»[5].

وتوجد بعض الآيات والسور تُقرأ على ماء نيسان تجدها في (مفاتيح

---

(١) بحار الأنوار: ٦٣ / ١١٠، ب ٧ ـ فضل الرمان وأنواعه، ح ٣٣

(٢) الكافي: ٦ / ٣٦٧، ح ٨

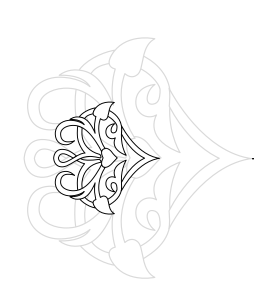
(٣) بحار الأنوار: ٧٣ / ٦٥، ب ٥ ، ح ٦.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٠١، ب ٨٩، ح ٥٢

(٥) المصدر نفسه: ٦٣ / ٣٣٨، ب ٣ باب فضل ماء المطر في نيسان، ح ١

الجنان)[١] وقد ذكر العلاّمة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره في تعليقته على الحديث، أن أفضل ماء نيسان (بعد مضي ثلاثة عشر يوماً من نيسان)[٢].

(١) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، الفصل الحادي عشر، ضمن أعمال الأشهر الرومية.
(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ٦٣ / ٣٣٨، ب ٣ باب فضل ماء المطر في نيسان، الهامش ٢.



الوسواس في كلمات علماء الأخلاق

لا يختلف علماء الأخلاق، والعرفان عن الفقهاء في مسألة علاج الوسواس، والشكوك التي يعاني منها هؤلاء المصابون، فإنّنا نرى كلمتهم تلتقي مع الفقهاء في القضاء على هذه الظاهرة الشيطانية، هذا من جانب، ومن جانب آخر هو أن هناك إحساساً أو تصوّراً عند البعض نلمسه من خلال بعض الحالات، إنّ علماء الشريعة (الفقهاء) يتعاملون بحسب الظاهر أي يريدون من المكلّف أن يتعامل بحسب الفقه الظاهر ـ لو صح التعبير ـ والقواعد الفقهية التي تبرئ ذمّة المكلّف، إلا أنّنا كمتديّنين ونريد أن نراعي الجانبي الأخلاقي والسلوكي في التوجّه إلى الله تعالى نعمل بالاحتياط أخذاً بكلام علماء الأخلاق والعرفان! فنقول: هذا الكلام مردود في هذا الجانب أيضاً لأنّنا نرى علماء الأخلاق والعرفان يتّفقون في مسألة عدم مراعاة هذه الوساوس والشكوك الكثيرة؛ لأنّها ناتجة من الشيطان كما سيتّضح إن شاء الله تعالى.

وهناك هدف آخر من نقل كلام هؤلاء الأعلام، وهو زرع الثقة في نفس الإنسان الذي يريد التخلّص من هذه الحالة المزرية وهذا ـ الثقة بالنفس ـ عامل هام جداً في الخلاص.

كما أنّ مَنْ له ثقة بنفسه تنمو فيه طاقاته وقدراته وهو بذلك، يتمكّن من أن يعيش سعيداً حرّاً وينال الرقيّ والتقدّم، كذلك مَن كان متأثّراً بالأفكار

السلبية فإنّه تضعف فيه قواه البناءة بل ينعدم فيه النشاط والفاعلية[1].

فإنّنا نرى مَنْ يعاني من الوسواس لا يمكنه أن يؤدّي الكثير من الأعمال المستحبّة في الشريعة كالصلوات المستحبّة وغيرها بمرور الأيام بسبب الوسواس، وهذا يؤدّي إلى الضعف والتراجع لا التطوّر والتقدّم، فإنّ (الرقيّ والتقدّم من الأهداف الإنسانية، والبشر حيث قواه محدودة ومحال عليه أن يصرف كلّ ما لديه في سبيل الوصول إلى المقاصد الدنيئة ومع ذلك يبقى له مجال للتجوال في سبيل الكمال، ويتمكّن من أن يجد السبيل إلى العالم العلوي معرفة وارتباطاً، إن الاستجابة الدائمة والمستمرّة للدوافع الدنيئة هي العامل المهم في سقوط الإنسان، ويشكل جداً مع هذه الحالة أن يبدي من نفسه نشاطاً وفعالية هامة في الترفّع نحو الأمور القيمة، إنّ الإسلام يعبّىء القوى الإيجابية في الإنسان لمقاومة المشاكل، ليقف في الحوادث الشديدة، ويسيطر على كلّ شيء بمتابعة الكفاح ضدّ العوائق والعراقيل، وكذلك يبقى ثابتاً أمام الأقوياء يحافظ على مكانته، وهكذا ترتفع همم الإنسان ويصبح ذا قوة روحية قويمة وعجيبة)[2].

والآن نأتي إلى ما كتبه الأعلام في نقد وذمّ الوسواس ومَن يعتني به كما يلي:

١ـ صاحب المحجّة البيضاء قدّس سرّه

ينقل المرحوم العلاّمة الفيض في محجّته، مسألة: قال أبو حامد: (الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل أو جهل بالشرع لأنّ امتثال

(١) رسالة الأخلاق، السيّد مجتبى اللاري، مصدر سابق: ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٥

أمر الله مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حقّ القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضيلته متّصلاً بدخوله مُقبِلاً عليه بوجهي سفّه في عقله بل عمّا يراه ويعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظماً إلاّ إذا قام لشغل آخر أو في غفلة، واشتراط كون الصلاة ظهراً أداءً فرضاً في كونه امتثالاً كالاشتراط به ليكون تعظيماً، فإنّه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً، ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة، ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس نية إلا أنّك دُعيت إلى أن تصلّي في وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل...الخ)

٢ـ صاحب جامع السعادات قدس سره

ولصاحب جامع السعادات العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدي النراقي، كلام حول الوسواس بصورة عامة ومعالجته، نقتطف من كلامه ما يناسب مقامنا إذ يقول: (فظهر أنّ وسواس الخنّاس لا يزال يجاذب قلب كلّ إنسان من جانب إلى جانب ولا علاج له إلاّ قطع العلائق كلّها ظاهراً وباطناً)، ويقول في (فصل ما يتم به علاج الوسواس، فإنّما يتمّ بأمور ثلاثة الأول: سدّ الأبواب العظيمة للشيطان في القلب.الثاني: عمارة القلب بأضدادها من فضائل الأخلاق وشرائف الأوصاف، والملازمة للورع والتقوى، والمواظبة على عبادة ربّه الأعلى.الثالث: كثرة الذكر بالقلب واللسان...)

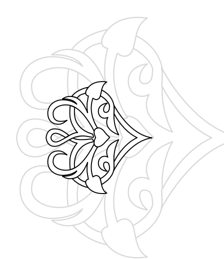
أقول: تعليقاً على النقطتَين الثانية والثالثة، أنّى لهذا المنشغل بالتطهير أو إعادة الصلاة يومه أن يعمر قلبه بأضداد هذه الأخلاق والتصرّفات التي نهى عنها الشرع؟ وأنّى له أن يكثر الذكر بالقلب؟.

٣ـ العلاّمة الملكي التبريزي رحمه الله

يقول في كتابه القيم (أسرار الصلاة): (فإنّ الوسوسة من أضرّ الصفات والأمراض القلبية ـ وبتأدّب من أئمّة الدين حيث لم يجوزوا لنا المبالغة في الاحتياط في هذا الباب، بل زجروا عنه بالقول والفعل وإذا عرف الإنسان الآداب الواردة في الأخبار بالنسبة إلى التطهير، علم أنّ الاحتياط الذي شرّعوه في سائر المقامات، زجروا عنه في هذه المسألة بخصوصها، وعرف وجه الفرق..ولا بأس أن نذكر ما سنح بخاطرنا من وجه الفرق، وهو أنّ وجه الطهارة والنجاسة ليست لها كسائر الأحكام أهمية لقلّة تعلّقها بالجهات القلبية...)[1].

ويقول في موضع آخر: (في ذمّ وساوس تصحيح ظاهر القراءة عند قراءة القرآن): ومن جملة إسداله سدل وسواس القراءة فيوكل إليه من أبنائه من يصرف كلّ همّه لإقامة حروفه، فيدخله بذلك في إضاعة حدوده، ويأمره بالتكرار والترديد ليتحقّق عنده بحكمه استقامة الحروف، وخروجها عن مخارجها، فمن كان همّه مقصوراً على مخارج الحروف فأين له التفكّر في فهم معناه؟! قيل: (وأعظم ضحكة للشيطان مَنْ أطاعه في مثل ذلك)[2].

(١) أسرار الصلاة، الملكي التبريزي ضمن مؤلفاته الثلاث: ٣٢.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣١.



٤ـ السيّد الخميني قدس سره

يقول في كتابه القيّم (الأربعون حديثاً) في حديثه عن الشكّ والوسوسة وفي ضمن ما قال: اعلم أنّ الوسوسة والشكّ والتزلزل والشرك وأشباهها من الخطرات الشيطانية والإلقاءات الإبليسية التي تُقذف في قلوب الناس، كما أنّ الطمأنينة واليقين والثبات والإخلاص وأمثالها من الإفاضات الرحمانية والإلقاءات المُلكية...[١].

ويقول في موضع آخر: إنّ الشاهد على أنّ هذه الوساوس والأعمال من ألعاب الشيطان وإلقاءات ذلك الملعون، وأنّه لا يوجد لها دافع ديني وباعث إيماني، رغم زعم صاحبها أنّ دافعه أمر ديني، هو أنّ هذه الوساوس تخالف أحكام الشريعة وأخبار أهل بيت العصمة والطهارة.

مثلاً: وردت في أحاديث متواترة عن طريق أهل بيت العصمة عليهم السلام، كيفية وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنّها كانت غسلة واحدة، ومن ضروريات الفقه أجزاء غَرفة واحدة للوجه، وغرفة لغسل اليد اليمنى وغَرفة لغسل اليد اليسرى وأمّا الإجزاء مع غَرفتين أو غسلتين لكلّ من الوجه واليد اليمنى واليسرى، فهو محلّ خلاف حتى أنّه يستفاد من وسائل الشيعة الفتوى بعدم الجواز أو التأمّل في عدم الجواز، ونقل عن آخرين خلاف ذلك، مع أنّ جواز الغسلتين لا يكون محلّ تأمّل أيضاًوالشهرة العظيمة مع الأخبار الكثيرة دالة على استحبابه، لكن لا يبعد أفضلية الغسلة الواحدة شريطة أن يصل الماء إلى جميع أطراف العضو الذي نريد أن نغسله، مع العلم بأنّ الغَسل ثلاث مرات بأن نصبّ الماء في كلّ مرة على أن يستوعب الماء العضو المغسول هو بدعة وحرام من دون أيّ محذور، ووضوؤه يكون

(١) الأربعون حديثاً، السيّد روح الله الخميني: ٤٢٥.

باطلاً إذا مسح مع رطوبة الغسلة الثالثة وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّ الغسلة الثالثة بدعة، وكلّ بدعة في النار..[1].

وينتقد حالة الوسواس في النية قائلاً: وأسوأ من كلّ ذلك وأكثر فضيحة، وسوسة البعض لدى نيّة الصلاة وتكبيرة الإحرام، لأنّه يرتكب عدّة محرّمات، ويعتبر نفسه من المقدّسين، ويرى بهذا العمل ميزة لنفسه[2].

٥ـ الشيخ حبيب الكاظمي

نقتطف كلمة قصيرة لسماحة الأستاذ المربي الشيخ حبيب الكاظمي سلّمه الله، يقول في إحدى محاضراته: البعض منّا يعيش الوسوسة في القراءة، وفي الطهارة، وفي النجاسات، وما شابه ذلك، ولا يعيش الوسوسة القولية عندما يريد أن يتكلّم على مؤمن .والحال أنّ هذه الوسوسة مقدّسة ومثمرة، ويحبّها الشارع .بخلاف الوسوسة في القراءة، والصلاة[3].

وهذا المعنى نجده في كلام الإمام الصادق عليه السلام ولعلّ العلماء استفادوا منه عليه السلام، فعن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ عيسى بن أعين يشكّ في الصلاة فيعيدها قال عليه السلام: «**هل يشكّ في الزكاة فيعطيها مرتين؟**»[4].

ويقول سماحة الشيخ الكاظمي في ردّه على سؤال إحدى السيّدات التي تعاني من الوسواس القهري: كانت رسالتك مثاراً للأسف، من جهة أنّك

(١) المصدر السابق: ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٤٢٩.

(٣) محاضرات أخلاقية للشيخ حبيب الكاظمي، إعداد الشيخ صلاح الرماحي، طباعة محلية ـ النجف الأشرف: ٢.

(٤) وسائل الشيعة: ٨ / ٢٤٨، ب ٢٩، ح ٢.

تملكين هذه القدرة على التعبير والفهم، ومع ذلك ابتليت بأمر لم يبتلِ به عامة الخلق! .فأقول: أولاً عليك أن تعلمي أنّك لا تصلين إلى الطهارة الواقعية مهما حرصتِ، فكلّ شيء حولنا نجس واقعاً، محكومة بالطهارة ظاهراً، فليكن الهدف هو العمل بالرسالة العملية، كما يفهمه عامة الناس، وعليه، برمجي تعاملك مع الطهارة كالعرف الذي حولك، فإنّ الله تعالى أجلّ من أن يدخلك النار، لأنّك لم تعتنِ بالوسوسة، والحال أنّ عدم الاعتناء هو المأمور به شرعاً، ونلاحظ في حياة الأئمّة والنبيّ ﷺ أنّه ليست هناك مراجعات كثيرة حول الوسواس، رغم شحّ المياه في مكة والمدينة في تلك الأيام، ممّا يفهم أنّها لم تكن مشكلة شاغلة لأصحابهم عليهم السلام، وقد ورد عن الإمام عليه السلام التشكيك في عقل مَنْ يوسوس.

واعلمي أخيراً: أنّ الوسواس لا يتوقّف في حقل الطهارة، بل يتعدّى ليشمل العبادة، فيكره الشيطان العبادة للإنسان، فلا يكاد يحس بطعمٍ لها أبداً فالمشكلة الكبرى عندما تتعدّى إلى العقائد، لأنّ الخبيث ـ وهو الشيطان ـ يريد أن يوصل الإنسان إلى مرحلة الكفر إن أمكنه ذلك، وقد ورد أنّه: (**لا تعوّد الخبيث!**).

أكثري من المعوذات، وآية الكرسي صباحاً ومساءً، واجعلي لنفسك فترة أربعين يوماً لمقاومة النفس في هذا المجال، لترين بعد ذلك، أيّ عمر ضاع في أمر سخيف! ..[1].

(١) مسائل وردود، الشيخ حبيب الكاظمي، دار الولاء ـ بيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ: ٣٤٨.

٦ـ كتاب خطوات الشيطان

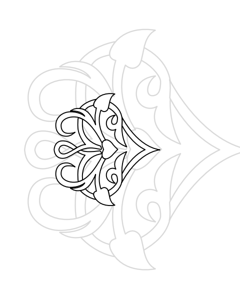
من المفارقات أنّ البعض لديه وسوسة في الوضوء ولا وسوسة لديه في التيمّم، ..ولكن الواقع أن هذا ليس ديناً بل هو مرض لأنّ الدين وضع لذلك حلولاً، كما لو أنّ أحداً شك في نجاسة يده وزال الدم مثلاً فيكفي في هذه الحالة غسلة واحدة طبيعية في إسالة الماء لتطهر ولو بالماء القليل.. فيطهر الموضع المتنجّس من دون أيّة شكوك أو تردّد أو تعقيد، وكذلك في الوضوء قال تعالى: ﴿**فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ**﴾[المائدة: ٦] فلو قيل لأحد عندما تستيقظ من النوم أن يغسل وجهه كيف يغسله؟ هل يجد إشكالاً في غسله أم أنّه أمر طبيعي؟ كذلك الوضوء سواء في غسل الوجه أو اليدين أو الرجلين حتى يمكن أن يتوضّأ بشيءٍ يسير من الماء..وكذلك الصلاة حينما تطلب منه خارج الصلاة قراءة الفاتحة مثلاً نجده لا يجيد إشكالاً في قراءتها بل يقرأها بطلاقة[1]!.

ويَذكر لهذه المشكلة نقطتين، يقول: إذن الحلّ الأول: هو ذكر الله وما علّمنا رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام أمّا الحلّ الثاني: هو أنّ المبتلى بالوسوسة أو بكثرة الشك عليه أن لا يعتني بها أيّ يردّ على الشيطان إذا قال له: إنّ وضوءك غير صحيح فيجيبه كلا إنه صحيح، وإذا قال له إن صلاتك باطلة يرد عليه بأنّها غير باطلة[2].

---

(١) خطوات الشيطان، السيّد سعيد الاعرجي: ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٩٦



٧ـ سماحة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله

لقد نقلنا لسماحة الشيخ مكارم بعض الاستفتاءات الفقهية التي تعالج هذه المشكلة، ولكنّنا سننقل له كلاماً آخر في كتابه القيم (المفاتيح الجديدة) الذي يذكر فيه بعض الأعمال لعلاج الوسواس العقائدي، والعملي ـ أي الشرعيات ـ ونذكر ما ختم به كلامه دام ظله: (لا بدّ من الالتفات إلى أنّ للوسواس جذوراً جسمية وروحية ولا بدّ من السعي لدفعها بمجرد الوقوف عليها والحقّ إنّ إهمال الوسواس أحد الطرق المهمّة للعلاج (طبعاً بعد العلم والاطلاع الكافي على المسائل العقائدية[١] والعملية) ومَنْ يهتم بها كثيراً يعيش العذاب دائماً، والوسواس في المسائل العملية والعبادات خاصة في بعض الأمور كالطهارة والنجاسة كثير جداً، وأفضل وأعظم طريق لدفعها (بعد العلم بالمسائل الشرعية) أن ينظر إلى المؤمنين العاديين ويرى المقدار الذي يصرفه هؤلاء في غسل أيديهم أو ثيابهم ويكتفون بذلك المقدار وإن وسوس الشيطان وهمس لم يطّهر فلا يعتني أصلاً بهذه الشكوك فإنّنا نتعهّد بمسؤولية أعماله[٢].

وفي ختام هذا الفصل ننقل ما ذكره السيّد الخميني في معالجة المفاسد الأخلاقية، يقول: وأفضل علاج لدفع هذه المفاسد الأخلاقية، هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو أن تأخذ كلّ واحدة من الملكات القبيحة التي تراها في نفسك، وتنهض بعزم على مخالفة النفس إلى أمد، وتعمل عكس ما ترجوه وتتطلّبه منك تلك المَلَكة الرذيلةوعلى أيّ حال؛

(١) هذا لمن كانت له وساوس في القضايا العقائدية

(٢) المفاتيح الجديدة، أعمال صلاة لحديث النفس ووساوسها، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة عليهم السلام بيروت: ٧٤٧.

طلب التوفيق من الله تعالى لإعانتك في هذا الجهاد، ولا شكّ في أنّ هذا الخلق القبيح، سيزول بعد فترة وجيزة، ويفرّ الشيطان وجنوده من هذا الخندق، وتحلّ محلّهم الجنود الرحمانية[1].

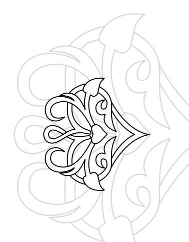
ظاهرة ثقافة الاحتياطات بين المتديّنين وقربها من حالة الوسواس

من المناسب أن نتحدّث عن ظاهرة الاحتياط في الدين وقضية أرجحيّته وهل هو يدلّ على تديّن الشخص، والتزامه الديني، أم هناك أمر آخر؟ لأنّه بعض أهل الوسواس يتذرّع بالاحتياط في أمور الدين، وهذا ما يترجمه لنا ما جاء في كتاب (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع) ج ٢، للعلامة الشيخ حيدر حب الله، في سؤال وجواب، كما يلي:

السؤال: نجد فكرة الاحتياط فِي الدين انطلاقاً من بعض الأحاديث الشريفة، مثل (الاحتياط طريق النجاة) و(احتط لدينك)، قد سيطرت على العديد من المتديّنين والمتشرّعين فغدوا يحتاطون فِي ما أباحه التشريع فضلاً عن غيره، ألا يُعدّ ذلك من قول الإمام علي عليه السلام فِي حقّ الخوارج: «**إنّهم ضيّقوا على أنفسهم فضيّق الله عليهم**» وألاَّ يتنافى هذا مع تصريح القرآن بأنّ الدين دينُ يُسر لا عسر؟

والجواب: ينطلق العلماء المسلمون من قاعدة يرون صحّتها تقول بحُسن الاحتياط على كلّ حال، وإنّ الاحتياط سبيل النجاة، ويرون العقل حاكماً بذلك على مستوى حُسن الاحتياط لا وجوبه، إلا في بعض الحالات التي يحكم فيها بالاحتياط لزوماً لتفريغ الذمّة من التكليف المتوجّه إلى العبدوقد اشترط علماء أصول الفقه فِي الاحتياط لكي نحكم

(١) التربية الروحية، السيّد كمال الحيدري، دار الكاتب العربي بيروت: ٣٢٨.



بحُسنه شرطين أساسيّين:

الشرط الأول: أن لا يكون الاحتياط منافياً للاحتياط، بمعنى أن لا يبلغ احتياط الإنسان حدّاً يكون احتياطه مؤدّياً إلى وصوله لارتكاب ما يحكم الشرع أو العقل بحرمته أو قبحه مثلاً، كأن يحتاط في الأكل من الأطعمة لشبهة الحرمة فيبلغ باحتياطه حدّ الموت، فإنّ هذا خلاف الاحتياط، أو أن يحتاط في التعامل مع ابنه بما يؤدّي إلى أذية ابنه الآخر، وهكذا..

الشرط الثاني: أن لا يؤدّي الاحتياط إلى الهرج والمرج والعسر والحرج الشديدين المخلّين بالنظام العام، فلو أنّ أهل السوق مثلاً احتاطوا جميعهم في معاملاتهم الماليّة في كلّ مورد فيه أدنى احتمال لشبهة، فمن الممكن أن تتعطّل الحياة بين الناس.

ويمكننا بطريقة أو بأخرى أن نُرجع الشرط الثاني إلى الأوّل، ليكون أنموذجاً من نماذجه لا أكثر. إنّ الذي يحصل في ممارسات الناس للاحتياطات الشخصيّة أنّنا نفكّر بالاحتياط بالذهنيّة الفرديّة فقط، فيما للاحتياط وجهٌ اجتماعيّ عام أيضاً، وهذا ما يفرض علينا أن ننظر للموضوع بمستوى شمولي أوسع، فلو فرضنا مثلاً أنّ مكلّفاً احتاط في الغسل أو الوضوء فصبّ كميّةً كبيرة من الماء المصبوب على أعضاء بدنه، وقام كلّ المكلفين بالنحو نفسه، فاستهلكوا كمّيات كبيرة من الماء، فقد تكون النتيجة هي نقصان المياه على مستوى الأجيال القادمة، مع العلم أنّ هناك اليوم مشكلة كبيرة في المياه.هذا مجرّد مثال قد لا يكون دقيقاً، لكنّه يجلي لنا الصورة.

وهذه الفكرة أي النظر إلى الاحتياط على مستوى البُعد الاجتماعي ممّا

أكّد عليه أيضاً السيّد محمّد باقر الصدر والشيخ مرتضى مطهّري في عدّة مواضع، مصّرحاً ـ أي الصدر ـ بأنّ الاحتياط لا يمكن أن يكون وظيفة عامّة تمارَس بطريقة اجتماعية وجمعيّة.

عندما آخذ احتياطي الشخصي منفصلاً فأنا حرّ في ذلك ولي قراري الشخصيّ، لكن عندما نريد تحويل الاحتياط إلى ثقافة عامّة شعبيّة وعُرف إيماني سائد في مفاصل الأمور، فهنا يجب الأخذ بعين الاعتبار التردّدات الطبيعيّة لذلك، وحساب هذه التردّدات حساباً يضعنا ضمن موازنة المصالح والمفاسد، لنعرف هل الاحتياط بهذه الدرجة وعلى هذا المستوى يظلّ على حسنه أم لا؟ سأعطي مثالاً بسيطاً آخر، لو كنّا في بيوتنا ووسط أسرنا وعوائلنا ولدينا أطفالنا، وأردنا أن نمارس الاحتياط في مجالات كبيرة، فنحتاط في أيّ أمر يأتي على التلفاز، أو على النت، أو نحتاط في الأطعمة والأشربة أو... أو في العلاقة مع فلان أو فلان (وأؤكّد أنّني أتحدّث هنا عن الاحتياط غير الملزم به شرعاً) فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن لا يترك ذلك أثراً موجباً للضيق من التديّن على أولادنا، فيرتدّ ذلك سلباً عليهم، وقد رأينا ذلك عند بعض الناس، وأفضت بعض الإفراطات إلى تنفّر الجيل الجديد من الجيل القديم داخل الأسر والعوائل. هذا هو معنى حساب الأمور بطريقة تفاعليّة مع المحيط، وليس الحكم العقلي مطلقاً هنا في كلّ الدوائر، ولا حتى النصوص، ما دامت هذه الأمور التي أشرنا إليها تمثّل مقيّدات لبّية عقلائية ومتشرّعية أيضاً

يضاف إلى ذلك كلّه، ما جاء في الحديث النبوي: «**إنّ الله يحب أن يأخذ برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه**»[1]، فمن غير المعلوم أنّ الله

(١) جامع أحاديث الشيعة: ٢١ / ٥٧٦، ومجمع الزوائد: ٣/ ١٦٣

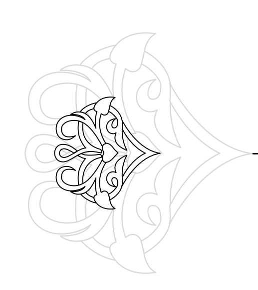
يحبّ من العبد فقط أن يعمل بالفرائض ويترك المحرّمات، بل هو يحبّ أيضاً أن يعيش العبد الرخصة والفسحة في أمره في دائرة ما لا حرمة منجّزة فيه عليه، وقد يكون ذلك لأنّ الرخص تقوّي الإنسان على فعل الواجبات وترك المحرّمات وتُوازن حياتَه.

وقد ذكر علماء أصول الفقه أنّ الإباحة في بعض الأحيان تكون اقتضائيةً، بمعنى أنّ الله تعالى هو الذي يريد الترخيص؛ لأجل وضع توازن بين المباحات والمحظورات في حياته، والشريعة قائمة بحدّ ذاتها على هذا التوازن، بل من وجهة نظري الشخصيّة، أشكّ في أنّ بعض الاحتياطات المذكورة في الرسائل العمليّة هي من الاحتياطات الموافقة للمعنى الأصولي الذي ذكرناه؛ لأنّه في بعض الأحيان تجد الفقهاء يحتاطون، في حين أنّ المورد من الموارد التي يدور فيها الأمر بين الحرمة والوجوب وفقاً للحساب المتقدّم، ولو راجعنا القواعد الأساسيّة للدين والفقه الإسلامي لوجدنا أنّ العديد منها ترخيصيّة من قبيل: قاعدة سوق المسلمين، وأصالة الصحّة، وقاعدة الفراغ والتجاوز، وقاعدة الإلزام، وقاعدة نفي الحرج، وقاعدة نفي الضرر، وقاعدة لا تعاد، وقاعدة لا شكّ لكثير الشك، وقاعدة معذوريّة الجاهل...، وقاعدة الائتمان، وقاعدة الإحسان، وقاعدة الجبّ، وقاعدة التقيّة، وقاعدة الدرء، وقاعدة الاضطرار، وغيرها من القواعد الفقهيّة والأصوليّة، والقليل من القواعد يدعو إلى الاحتياط.وهذا أيضاً ممّا يدعو الفرد المسلم إلى توازن نظرته لقضية الاحتياط والتساهل علماً أنّ علماء أصول الفقه قد بحثوا في روايات الاحتياط بالتفصيل، وذكر الكثير منهم أنّ غالبيّتها الساحقة ضعيفة السند، وأنّ فكرة الاحتياط في الدين تجذّرت في العهد الإخباري عند الشيعة الإمامية (القرن ١١ و ١٢ هـ)،

حيث كان الإخباريّون يقولون بوجوب الاحتياط في الشبهات التحريميّة، وهو ما ساعد على تأصيل هذه الفكرة وغرسها في الأذهان.

وأخيراً، فإنّني أدعو إلى الاحتياط في حفظ حرمة الرخص الشرعيّة وقدرها ومكانتها، وأن لا نهدرها، وأرفض بشدّة في الوقت عينه قيامة التشريع على الرخص المبعثرة، وهي الطريقة التي يريدها بعضٌ منّا اليوم للتفلّت من الأحكام الشرعيّة، فيجمع متناثر الرخص في فتاوى العلماء كي يخرج بحياة متحرّرة من الإلزامات الشرعيّة![1].

(١) إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، الشيخ حيدر حب الله: ٢ / ٤٢٤ ـ ٤٣٢ بتصرف واختصار يسير.



علاج الوسواس
في عِلْمَي النفس والتنمية البشرية

لا يخفى على القارئ الكريم أنّ علم النفس من العلوم ذات البعد التأريخي، وقد نما في العصور المتأخرة[1] والذي يسعى لاكتشاف الأمراض النفسية وعلاجها، فيه الكثير من القضايا والنظريات التي تلتقي مع منظومة الفكر الإسلامي، وبعضها خاضع للتجربة لذا فهو يُعدّ من العلوم التجريبية، التي تنفع الإنسان في تشخيص الكثير من الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان أحياناً، والكثير من شعب علم النفس تدخل في علم الأخلاق، فإنّنا نرى علماء علم النفس يتحدّثون عن الجانب الطقوسي والعبادي الذي يتعرّض له المتديّنون من وساوس، ويصفون العلاجات السلوكية ـ والتي إحداها الإرشادات الدينية ـ لترك بعض الأفعال التي يعاني منها المريض النفسي، يقول دافيدوف: (إنّ الفرد الذي يعاني من اضطراب الوسواس القهري هو شخص تطغى عليه هواجس متكرّرة غير مرغوبة أو تصرّفات قهرية وهي أعمال طقوسية غير مرغوبة ومتكرّرة وقد تمّت دراسة عن طريقة المقابلة لنحو اثنين وثمانين من مرض الوسواس القهري

(١) راجع كتاب علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، الفصل الثاني نبذة تاريخية عن علم النفس، للدكتور محمد محمود محمد، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ١٤٢٨هـ: ٤٠ ـ ٤٣.

أوضحت أنّ أفكار وسلوك هؤلاء الأفراد تختلف بدرجة ما[1].

وقد شخّص علم النفس بعض الوسواس النفسي غير المرتبط بالقضايا والمسائل الدينية، وإن كنا نعتقد أنّ للشيطان دوراً في كلّ شيء لأنّ هدف الشيطان أن يُبعد الإنسان عن المسار الصحيح ويعكّر عليه صفو حياته لأغراض لا مجال لذكرها تعود في جوهرها لدين الشخص المصاب بهذه الحالة بالإضافة إلى وساوس النفس الأمّارة بالسوء.

ومن هذه الحالات ما سمعناه عن الكثير من السيّدات أنّها تتوقّع إصابتها بمرض السرطان، أو أنّها سوف تموت قريباً، أو سيحصل حادث ما! وهي تعيش القلق والهواجس التي سبّبها وساوس الشيطان لأنّ هدفه إيذاء الإنسان المؤمن، وغير ذلك من هذه الحالات التي سنترك الحديث عنها لأحد علماء علم النفس، إذ يقول في معرض تصنيفه لهذه الحالات، بالشكل التالي:

١ـ شكوك وسواسية.. وهي قلقٌ مستمرّ يتعلّق بكمال إنجاز مهام معيّنة كغلق الباب(يعني باب البيت أو الغرفة التي يسكنها هذا الفرد).

٢ـ التفكير الوسواسي.. وهي سلسلة لا متناهية من الأفكار تتمركز في الغالب حول حدث مستقبلي (كانت إحدى السيّدات الحوامل تتأمّل على هذا النحو: إذا كان ما سأنجبه ولداً فإنه سوف يطمح في مستقبل عظيم قد يتطلّب منه الابتعاد عنّي ولكنّه قد يبغي العودة إليَّ فماذا أفعل إذن ...).

٣ـ دوافع وسواسية.. تحريض على أداء أعمال متنوّعة تمتدّ من العمل التافه إلى جريمة القتل

(١) مدخل علم النفس، الدكتور دافيدوف: ٦٧٠.

٤ـ مخاوف وسواسية.. القلق من فقدان التحكّم في النفس أو أداء شيء محرج كالحديث عن مشكلة جنسية مثلاً.

٥ـ الصور الوسواسية.. صورة ثابتة لحدث يتصوّر الإنسان أنّه رآه قريباً

٦ـ الاستسلام للقهر.. القيام بأعمال تقترحها الهواجس الوسواسية كتفتيش الجيوب بصورة متكررة بحثاً عن وثيقة.

٧ـ التحكّم في القهر.. استخدام أساليب مشتّتة كالعدّ للتحكّم في الهواجس التي لا يمكن الموافقة عليها.

ويرى الأفراد الذين يعانون من الوسواس القهري أنّ أفكارهم وتصرّفاتهم مريضة وغير عقلانية ولكنّهم يجدون قلقاً حادّاً إذا كبحوا جماح الخاطر أو التصرّف الذي يطرأ عليهم[1].

وغيرها من الأعراض الأخرى التي يذكرها آخرون من علماء وباحثي علم النفس.

شخصية الوسواسي

يقول أستاذ الصحة النفسية الدكتور حامد عبد السلام زهدان، في كتابه (الصحة النفسية والعلاج النفسي): تسمّى الشخصية في هذه الحالة (الشخصية الوسواسية القهرية) ومن أهمّ سماتها: الجمود، والتزمّت، والعناد، والتسلّط، والبخل، والتردّد، والشكّ، والتدقيق، والحذر، والحذلقة، والاهتمام بالتفاصيل، وصعوبة التوافق، والتمركز المتطرّف حول الذات، ويتّسم في الوقت نفسه بالحساسية، ويقظة الضمير، والفضيلة،

(١) مدخل علم النفس، الدكتور دافيدوف: ٦٧٠ ولا يخفى على المتتبّع هناك حالات أخرى وكثيرة أكثر ممّا ذكرها الدكتور ولكنّنا لا نذكرها رعاية للاختصار.

والتمسّك بالكمال والأخلاق، وحبّ النظام، والنظافة، والطاعة، والهدوء، ودقّة المواعيد، والتمسّك بالحقوق والواجبات، ويكون ذكاء الشخص عادة متوسّطاً أو فوق المتوسط[1].

وهكذا يبدو صاحب الشخصية الوسواسية القهرية شخصاً فاضلاً ولكنّه غير سعيد.

ومن أمثلة الشخصيات الوسواسية القهرية:

- الموظّف الروتيني المتزمت الشكلي الذي يسرف في المراجعة والتدقيق والتردد، ويفزع من المرونة والتصرّف ويتهرّب من اتّخاذ القرارات والبتّ السريع.
- ربّة البيت التي تعمل ليل نهار في نظافة المنزل والأطفال والملابس والأواني.إلخ.
- العانس التي تسيطر عليها فكرة محدودة تعتقد أنّها سبّبت عنوستها وتقوم بأنماط سلوكية قهرية لعلّ فيها حلاً (أو فكّاً) لعقدتها[2].

طبعاً هنا يقصد الدكتور زهدان الوسواس في القضايا العامة في الحياة اليومية، وهناك حالات أخرى تتعدّى هذه الأمثلة يتّصف بها أصحاب الوسواس في القضايا الدينية، أهمّها أنّنا نرى شخصيّته مضطربة ولديها القلق الدائم أو يكاد، بالإضافة إلى حالة الكآبة وإن كان بعضهم يكابر ويقول أنا لا أتّصف بهذه الأوصاف، ولكن حينما يعرض على طبيب نفساني سوف يشخّص هذه الحالة عنده، بل الأمر لا يحتاج إلى الطبيب

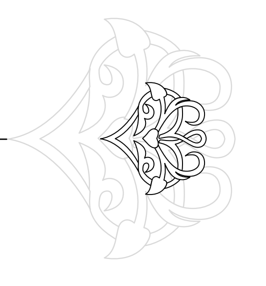
(١) ينبغي الالتفات إلى أنّ هذه ليست قاعدة عامة تسري على جميع من لديه وسواس، بل تخصّ البعض.
(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي، د حامد عبد السلام زهدان، دار المعارف ـ مصر: ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

ـ في بعض الأحيان ـ وإنّما هناك حالات شخّصها المعصوم عليه السلام كما سمعنا فيما مضى من كلام الإمام الصادق عليه السلام حينما يقول عنه **(وأيّ عاقل هو)**؟.

وقبل أن ننتقل إلى الأسباب لا بأس بأن نذكر بعض سمات الشخصية الوسواسية بحسب ما يذكره باحثون آخرون، وهي: صعوبة التكيّف والتأقلم للظواهر المختلفة، الدقة في كلِّ الاعمال، الثبات في المواقف الشديدة، الاهتمام بالتفاصيل في كلِّ صغيرة وكبيرة، كثرة الشكّ، وجود بعض الأفكار الاضطهادية، المعاناة من أفعاله الوسواسية وغير ذلك.

أهمّ أسباب الوسواس القهري بنظر علم النفس:

- الأمراض المعدية الخطيرة أو المزمنة.
- الحوادث والخبرات الصادمة.
- الصراع بين عناصر الخير والشرّ في الفرد، والصراع بين إرضاء الدوافع الجنسية والعدوانية وبين الخوف من العقاب وتأنيب الضمير، ووجود رغبات لا شعورية متصارعة تجد التعبير التمرّد على مطالب الكبار وتقبّلها.
- الإحباط المستمرّ في المجتمع والتهديد المتواصل بالحرمان، وفقدان الشعور بالأمن، ولذا يبدو المريض وكأنّه يتلمّس الأمن ويتجنّب الخطر في النظام والتدقيق والنظافة، وغير ذلك من أعراض الوسواس والقهر.
- الخوف وعدم الثقة بالنفس والكبت.
- النشأة الاجتماعية الخاطئة والتربية المتزمّتة الصارمة والمتسلّطة



الآمرة الناهية القامعة، والقسوة والعقاب، والتدريب الخاطئ والمتشدّد المتعسّف على النظافة والإحراج في الطفولة

- الشعور بالإثم وعقدة الذنب وتأنيب الضمير، وسعي المريض لا شعورياً إلى عقاب ذاته، وكون السلوك القهري بمثابة تكفير رمزي وإراحة للضمير (فمثلاً يمكن أن يكون غسيل الأيدي القهري رمزاً لغسيل النفس وتطهيرها من الإثم المتّصل بخطيئة أو بخبرة مكبوتة).
- تقليد سلوك الوالدين أو الكبار المرضى بالوسواس والقهر.
- ويعتقد أصحاب المدرسة السلوكية أنّ الوسواس يمثّل مثيراً شرطياً للقلق، وإذا ارتبط الفكر الوسواسي بمثير غير شرطي للقلق فإنّه يصبح أيضاً مثيراً للقلق، ويتكوّن السلوك القهري عندما يكشف الفرد أنّ سلوكاً معيّناً يخفّف القلق المرتبط بالفكر الوسواسي، وتخفيف القلق يعزّز هذا السلوك القهري ويثبّته ويصبح نمطاً سلوكياً متعلّماً.
- ومن حيل الدفاع الرئيسية في عصاب[1] الوسواس والقهر حيلة التكوين العكسي حيث يهتمّ الفرد بشكلٍ وسواسي بموضوع يهمله لا شعورياً ويعبّر عن الدوافع المستهجنة سلوكياً في شكل معاكس (ولتوضيح ذلك مثلاً تجد الأم التي تحاول التخلّص من جنينها التي حملت به رغم إرادتها ثم تمنّت أن يموت عند ولادته، ولكنّه

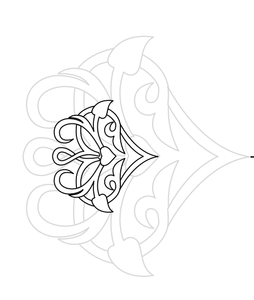
(١) بعض متخصّصي علم الطب النفسي المعاصرين لا يرتضي تسمية الوسواس القهري بـ (العصاب) باعتبار العصاب مرض لا يمكن التخلّص منه، وقد أثبتت الأبحاث الجديدة إمكانية الخلاص وخير دليل وشاهد هو شفاء الكثير بل الغالبية العظمى من الناس من هذه الحالة.

بعد أن ولد أصبحت تغسل يديها مراراً قبل لمسه وتغسل ملابسه وأدوات رضاعه باستمرار ولا تسمح لأحدٍ أن يلمسه خشية تعرّضه للعدوى والمرض والموت)[1].

- الوراثة في بعض الأحيان، نرى أقرباء المصاب بالوسواس يعانون من نفس المشكلة ولكنّها ليس قاعدة عامة.
- أسباب فسيولوجية، وبيلوجية، وسلوكية، واجتماعية[2].

(١) الصحة النفسية، مصدر سابق: ٤٢٥ ـ ٤٢٧.

(٢) تجد شيئاً من التفصيل في كتاب الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي، د. وائل أبو هندي: ١٣٧ ـ ١٦٤ وغيره من المصادر التي بحثت الموضوع.



أنواع العلاج في علم النفس

سنورد بعض النقاط التي تصلح أن تكون علاجاً للوسواس، وقد أشار إليها جملة من علماء النفس، وعلماء التنمية البشرية وإن كانوا ـ علماء التنمية ـ في الغالب لم يذكروها تحت هذا العنوان ـ أي علاج الوسواس ـ بل ذكرت في طيات بحوثهم وقد استفدت من ذلك لتوظيفها في علاج الوسواس، ويمكن أن نذكرها بالشكل التالي:

١ـ مرحلة الاعتراف بوجود مشكلة وهذه المشكلة هي خطأ يجب إصلاحه؛ وكما يقول أحد الباحثين لأنّه من لا يعترف بوجود مشكلة لن يحلّها أبداً[١] وهذه المرحلة تنبّىء بتغيير قريب نحو الأحسن

٢ـ مرحلة الاستعداد، وهي في خطوتين:

الأولى: القضاء على المشكلة ومكافحتها، بعدما اعترفت في المرحلة الأولى بأنّك على خطأ وهذه الوساوس مرفوضة برأي العقل، والدين لأنّها تعود إلى الهواجس النفسية، والوساوس الشيطانية، فكلّما عرضت لك حالة معيّنة عليك بإهمالها وتركها، سواءً كنت تعاني من الخوف من الموت، أو من المرض الفلاني، أو الحالة المعيّنة عليك أن توعز إلى

(١) كيف تخطّط لحياتك، د صلاح الراشد، مركز الراشد، الكويت: ٨٩.

نفسك وتلقّنها بأنّ هذه وساوس لا صحّة لها، وهي أوهام خاطئة غير صحية فتتركها ولا تعير لها أيّ اهتمام وإن كانت تراودك في قرارة نفسك لكن لا تجعل جوارحك وعقلك يخضعان لها ـ بمعنى لو وسوست لك نفسك بأنّ هذه الملابس التي أصابتها القذارة (الأوساخ) هي من أخطر ما حملت من جراثيم وسوف تعرِّض حياتك للخطر ما لم تغسل بالطريقة الفلانية، أو بالعدد الفلاني من الغسلات، بل عليك أن تتركها ولا تنظر إليها ولا تمدّ يدك لها كي تغسلها بل اللازم أن تصرف النظر عنها إلى أمر آخر حتى تنساها.

الثانية: والخطوة الثانية، هي تناسي هذه الأمور من وساوس وهواجس والسعي نحو أمر لا علاقة له بالموضوع، وهذه الخطوة مرتبطة بما ذكرت لك آنفاً، إهمال تلك الوساوس والسير نحو خطوة أخرى هو الهام، وبعبارة أوضح لا تشغل نفسك بتلك الأفكار والشكوك، عليك أن تعتبر الوساوس من الماضي الذي يجب أن تنساه؛ لأنّ العيش مع الماضي سبب أساسي للفشل حيث إنّ الماضي قد انتهى إلى الأبد، ومن حالات العيش مع الماضي كأن تقول اذا تركت هذا الأمر لعلّي أخطأت أو أقع في محذور شرعي، أو معنوي من جهة الصحة، أو غير ذلك، فاللازم هو أن لا تُشغل نفسك بهذه الوساوس وتدعها خلفك وأدِرْ لها ظهرك وتحرّك للأمام وكأنّ شيئاً لم يكن، كما حدّثني أحد الأصدقاء الذين أصيبوا بحالة الوسواس في قضايا الطهارة، وقلت له إلى ماذا تعزو وقوعك بالوسواس، وكيف تخلّصت منه؟ أجابني قائلاً: السبب هو جهلي بالأحكام والفتاوى بهذا الشأن فعندما تعلّمت الأحكام تجاهلت تلك الحالة ولكن مع ذلك هناك حالة بقيت في نفسي في بداية علاجي وصفها لي كالوخزة في داخلي توعز لي بأنّني على

خطأ وأنّ الصحيح هو الحالة السابقة (إراقة الماء الكثير والتطهير من كل ما يصيبني ...) إلا أنّني أخذت أعمل طبقاً للفتاوى الشرعية التي يذكرها الفقهاء، حينها تخلصت حتى من تلك الوخزة في داخلي.

نعم عزيزي المبتلى بالوسواس، عليك أن تتعلّم أن تنسى كي تعيش، ابدأ من الآن وأغلق باب التفكير في إعادة العمل وتكراره، اترك مراعاة الوسواس، انطلق نحو الأمام، هناك حالة تنتابك وهي صياح، أو صوت في داخلك يريد منك أن تراعي هذه الهواجس وتكرّر الأعمال، لا تستجب لها؛ لأنّها وساوس الشيطان ليبقيك في البوتقة نفسها.

عليك أن تتجاوز هذه النداءات والإلقاءات الشيطانية (الوساوس)، صدّقني أنت أكبر من ذلك، درّب نفسك على التهاون بهذه الوساوس وتركها، وانظر ماذا سيحدث لك.

٣ـ وهناك خطوات أخرى، منها ما يقوله أحد الباحثين خطوة لعلاج الوسواس، أو قاعدة (الحواس لا الإحساس): باستقراء الأحاديث النبوية الواردة في شأن الوسواس يمكن لنا أن نستشِفَّ رؤية علاجية من هدي النبي ﷺ، وهي ما أسميته (الحواس لا الإحساس) جرّبتها فوجدتها تنفع لبعض حالات الوسواس القهري المتعلّقة ببعض العبادات وتكمن هذه الطريقة في دعوة المريض إلى عدم الاستجابة، فكرة ليس بها بإحدى حواسه الخمسة (الحواس) كالشم والذوق أو السمع أو البصر أو اللمس، فمثلاً إذا أحسّ أو شعر الفرد (الإحساس) بأنّه قد أحدث فلا يجزم بذلك حتى يجد ذلك بإحدى حواسه (الخمس) سمعاً وشماً.

وكذلك الحال إذا أحسّ أنّه لم يغسل عضواً من أعضاء الوضوء فلا يستجب لذلك حتى يرى بعينه أو يتحسّس بيده أنّ ذلك العضو لم يبلغه الماء، ومثل ذلك الإحساس ما دام أنه قد سمعت (الحاسة) الكلمة كاملة وإن أحس أنّه لم ينطق بأحد أحرف التكبير.

وتكمن أهمية هذه الطريقة العلاجية في شأن الوساوس المرتبطة بالعبادات أن الفرد المسلم يختلف عن غيره في أنه يحتاج أن يقتنع بالطريقة العلاجية المستخدمة في علاج وساوسه الدينية حتى يستبرئ لدينه، والتي قد لا تتحقق تماماً عند استخدام العلاج السلوكي الاستعرافي الذي يعتمد أساساً على إلغاء الفكرة من خلال ايقافها ومنع الاستجابة لها في حين أنّه قد يتحقق بنسبة أكبر عند استخدام هذه الطريقة العلاجية المقترحة[١].

٤ـ ومن تلك الخطوات، عليك أن تستشعر قبح هذا الحدث الذي تعيشه، وشيطانية هذا السلوك، فلو حصلت لك هذه الكراهية ساعدتك في علاج هذا الامر[٢].

٥ـ ومن تلك الخطوات أو قواعد علاج الوسواس[٣]، هي فكرة (المواجهة أو التعريض مع منع الاستجابة)، وهي التعرض للموقف الذي تخاف منه (مواجهة)، وتجنب نفسك بعد ذلك التصرف وفقاً للتصرفات القهرية (منع الاستجابة)[٤] وينبغي الالتفات إلى أنّ هذه النظرية قد اكتشفها العلم الحديث في حقل علم الطب النفسي في عصور متأخرة جداً، وقد جاءت أكلها في

(١) الوسواس القهري، د طارق الحبيب، الراية للنشر والتوزيع: ٥٤ ـ ٥٥.
(٢) استفدت هذه الفكرة من كتاب إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، الشيخ حيدر حب الله: ٣/ ٣٩١.
(٣) وهي من أهمها، لذا سوف نطيل الكلام فيها نوعاً ما.
(٤) الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي، د لي باير: ٦٣.

عام ١٩٦٦م، على يد الطبيب البريطاني (فيكتور ماير) ولكن عند مراجعة التراث الإسلامي نرى هذه النظرية في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حينما يقول: «**إذا هبت أمراً فقع فيه فإنّ شدة توقّيه أعظم مما تخاف منه**»(١)، وقد أشار لذلك أيضاً الدكتور وائل أبو هندي في كتابه (الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي)(٢).

ولأجل أن تتّضح عندك عزيزي المبتلى بالوسواس، مبادئ هذه القاعدة (المواجهة ومنع الاستجابة) هناك طريقة مبسَّطة أعمل بها، وهي:

١ـ واجه الأشياء التي تخشاها مراراً وتكراراً، وهي التي تثير فيك مشاعر الخوف، أو الشك، أو القذارة، أو الإثم.

٢ـ إذا شعرت أنّ عليك تجنّب شيء ما، فلا تستجب لهذا الشعور. مثلاً يدعوك الوسواس للتدقيق بالأقفال، أو التنظيف المتكرّر، أو إعادة الطقوس العبادية مثل الصلاة، والتطهير وغير ذلك.

٣ـ إذا شعرت أنّ عليك أداء أحد الطقوس لتشعر بالراحة، لا تفعله.

٤ـ استمرّ بالخطوات الأولى، والثانية، والثالثة أطول فترة ممكنة.

تصف الخطوتان الأولى والثانية المواجهة (مواجهة الموقف) وتصف الخطوة الثالثة منع الاستجابة (عدم الاستسلام للدافع القهري في أثناء المواجهة أو بعدها)(٣).

وكمثال بعض الناس لديه وسواس من الماء الذي يتساقط على الأرض

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت قصار الحكم، الرقم ١٧٥.

(٢) الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي، د. وائل ابو هندي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ٢٠٠٣م: ١٧٤.

(٣) الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي، د لي باير: ٦٤ ـ ٦٥.

ويعتبره نجساً ومن خلال بحثنا تبين أنّ النجاسة لها قواعدها التي تعفيه من هذه الحالة وتقول (كلّ شيء لك طاهر حتى تعلم أنّه قذر)، فتعمل بهذه القاعدة وتسكب الماء على بقعة ما من الأرض، وعليك ألا تستجيب لها فلا تعتبر بهذه القطرات التي تنزو (تتطافر) عليك وتحكم بطهارتها مهما حصل لديك الوسواس، حتى تحصل لديك حالة تعوّد على هذا الحال، (والتعوّد بأن تجعل الشيء مألوفاً بكثرة الاستخدام أو الممارسة)[1].

قصة الطبيب المعالج والشاب الوسواسي

يقول الدكتور لي باير أستاذ علم النفس، ومساعد قسم الطب النفسي ـ متخصص في علاج الوسواس القهري ـ: وهكذا استمعت لـ (جاك) يروي لي قصّته، لديه مخاوف من أن يصاب بالتلوّث بملامسة كثير من الأشياء، كان يعتبرها قذرة، كان يبقي يده اليمنى نظيفة طوال الوقت، رافضاً استعمالها للمصافحة أو حتى وضعها في جيب سراويله، وليتجنّب التماس المباشر مع الأشياء القذرة، من قبيل ملابس الغسل، أو السرير، أو مقابض أبواب الحمامات العمومية (المراحيض)، أو الحذاء أو غطاء خزّان البنزين في سيارته، كان يغطّيها بالمناديل الورقية، ويحتفظ بالمنديل لتغطية مقبض الباب وهو في طريق الخروج، لو تمّ إرغام (جاك) على لمس أحد هذه الأشياء (القذرة)، لشعر بالقذارة وعدم الارتياح بطريقة غامضة، ولغسل يديه مباشرة مرات ومرات، وحالما يصل إلى البيت، يقوم بغسيل ملابسه التي كان يرتديها عند لمس تلك الأشياء.

بسبب أعراض وسواسه القهري لم يعد جاك ذلك الشاب الذكي

(١) المصدر السابق: ٦٦.

الموهوب، قادراً على الانتظام في عمله، عندما التقيته، كان يعمل بضع ساعات في الأسبوع فقط، وتضاءل دوره الاجتماعي، حيث كان يمضي ساعات كثيرة يومياً إمّا مفكراً بالتلوّث أو مغتسلاً لإزالة هذا التلوث.

أطلعتُ (جاك) على ما أعرف عن معالجة أعراضه الوسواسية بالعلاج السلوكي، طلبت منه في البداية أن يلمس الأشياء (القذرة) في عيادتي، كراسي الجلوس، الصنابير ومقابض أبواب الحمام، دون أن يغسل يديه فيما بعد، وسارت الأمور على ما يرام، لكنه عاد في الأسبوع التالي دون أن ينجز واجبات التدريب التي اتفقنا على أن يقوم بها في المنزل، وبعد أسابيع من ذلك أدرك كلانا أنّ العلاج لم يكن فعالاً، لأنّ جاك لم يستطع إرغام نفسه على ملامسة ملابس الغسيل والأشياء الأخرى دون غسل يديه؛ لذا قمت بزيارة شقّته في عدّة مناسبات لأساعده في لمس ملابس الغسيل، ولمس حذائه، ولمس سريره، ولمس أدوات الحمام والأشياء (القذرة) الأخرى بشكلٍ متكرّر، ومنعه من الغسيل فيما بعد.

من المؤكد أنّ هذه المواجهة ومنع الاستجابة كانت فعّالة، وبعد ثلاثة أشهر من العلاج، كانت جميع الأعراض لدى (جاك) تحت السيطرة تقريباً...، أعدت الكشف على حال (جاك) بعد ستة أشهر، وكانت الأمور ما تزال على ما يرام، وكرّرت الكشف بعد عام، وكان الوضع على ما يرام أيضاً، وآخر مرة رأيت فيها (جاك)، وكانت مشاكله تحت السيطرة تماماً، وذلك بعد مرور ستة أعوام، وكان يعيش حياة طبيعية[1].

ومن خلال ما تقدّم نقول: إنّ الحلّ بيدك وعليك أن تعمل على حلّ الأزمة والمشكلة بيدك وليس بعصا سحرية، فإذا كنت ممن يعاني من الوسواس

(١) المصدر السابق: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

في القضايا الدينية، فقد تبيّن لك من خلال الآيات والأحاديث الشريفة، وفتاوى العلماء، أنّ اللازم عليك عدم الاعتناء بالوساوس، والعمل كبقيّة الناس، فلو كانت لديك الشكوك في الصلاة أو الطهارة، وتخشى بطلانها عليك ألا تعير أيّة اهتمام لتلك الشكوك، والأوهام، وتعمل مثل سائر الناس، وتعتبر عملك صحيحاً، ولا تستمع لذلك الصوت الخافت في داخلك الذي يقول لك إنّ عملك خطأ وغير صحيح، عليك أن تعيده بالشكل الصحيح، فالعلماء يقولون إنّك لو عملت بما أرشدناك إليه فإنّه صحيح، ومبرئ للذمة أمام الله سبحانه تعالى.

وأما إذا كنت ممّن يعاني من الوساوس الأخرى (غير الدينية) كالخوف من مرض أو من الموت ...الخ، أو في النظافة، وما شاكل ذلك، فالعلاج هو أن لا تبالي بتلك الأوهام، والشكوك، ولا تعير لها أية أهمية مطلقاً، وعليك أن تعاملها معاملة أحلام الطفولة لأنّكَ أو لأنّكِ عندما تذكر أحلام الطفولة سوف تضحك من تلك الأحلام الساذجة ومن تلك الأفكار البسيطة. عليك ألا تبقى فريسة هذه الأوهام والشكوك الشيطانية والنفسيةعليك أن تتعامل معها كما يتعامل معها سائر الناس، عليك أن تعيش طبيعياً، تحيا السرور في داخلك لا الانكماش والكآبة أو القلق، أو غير ذلك

وهناك خطوات أخرى وتوصيات تعينك في النجاح للتخلّص من الهواجس والأوهام التي يسبّبها الوسواس، أهمّها:

١ ـ ضاعف قدراتك، وهي استخدام وسائل التوكيد اللغوية لترسيخ الفكرة في عقلك، بأنني قادر على النجاح، فتشعر بتحسّن كبير في أدائك.

فعندما تؤكّد وتكرّر كلمات (النجاح) أنّك تستطيع أن تتمكّن من الأمر الفلاني (وفي مقامنا الخلاص من الوسواس) فإنّ ذلك يترسّخ في عقلك الباطن ـ حسب تعبير الباحثين في التنمية البشرية[1] ـ وكأنّك اقتنعت بذلك الأسلوب وهو الذي يقودك نحو النجاح والخلاص من هذه المشكلة.

عليك أن تكرّر في داخلك أنا بخير، وأتمكن من القضاء على الوسواس، ولا أرضخ له بعد اليوم أبداً، ولا يمكن أن أتراجع عن هذا القرار مهما تكاثرت عليّ الوساوس والأوهام، سوف أتغلّب على الوساوس، عندها ستقضي على هذه الهواجس والخواطر التي تهاجم عقلك الباطن، وإذا بقيت مؤكّداً لنفسك هذه الفكرة الإيجابية ستشعر بتحسّن كبير حتى تذهب عنك هذه الحال.

٢ـ الاعتقاد بالنجاح، أهم خطوة تتّخذها هي الاعتقاد بأنّك تنجح بمجرّد أن تعمل في الخطوات العملية في عدم الاستجابة للوساوس؛ لأنّ للاعتقاد قوة تأثير في ذات الإنسان تقوده نحو النجاح[2].

٣ـ عليك أن تترك المماطلة والتأجيل في الخطوات العملية للخلاص من الوسواس، عليك أن تنطلق في الخطوات العملية؛ لأنّ المماطلة والتأجيل لصّ محترف وكثير الشهرة في القضاء على الهمم، ومشكلة غالبية البشر يعشق التأجيل والتسويف في إنجاز الأعمال لا سيّما الخيرية منها، تراه يختلق الأعذار لكي يؤجّل عمل اليوم إلى الغد.

(١) راجع حول مقصودهم من العقل الباطن، عش سعيداً للدكتور إبراهيم الفقي، ص ٧٤.

(٢) هناك موضوع مفصل حول الاعتقاد والنجاح في الحياة، راجع فن إدارة التحكم بالذات، فصل الاعتقاد مولد التحكم، الدكتور إبراهيم الفقي: ٣٨ ـ ٤٣.

والغريب ـ كما يقول الدكتور الفقي ـ أنّ المرء يكون قادراً على الإتيان بالعمل المكلّف به، وإنهائه، لكنّه يصرّ وبشكلٍ مثير للدهشة إلى أن يؤجّله بلا سبب مقنع[1].

٤ـ عليك أن تركز على نقاط القوة لا نقاط الضعف، حينما تعمل في الخطوات وتحصل لك حالة نجاح في كثير من الأحيان، وإذا حصلت عندك بعض الإخفاقات قد تُصاب بالتراجع أو الإحباط، والملل، وحينها تتغافل الخطوات العملية في العلاج وترجع إلى حالتك السابقة لا سمح الله، وتُعتبر هذه الخطوات غير ناجحة وإلا لِمَ لا أنجح أنا بالفعل؟! كلا هذا التصوّر خاطئ؛ لأنك ركّزت على نقاط الضعف، بل عليك أن تركّز على الجانب الإيجابي وتقول قد حصلت لدي حالة نجاح وإخفاق وسوف أعمل أكثر وأكثر كي أسير في جانب النجاح أكثر فاكثر، هذا هو طريق النجاح.

٥ـ عليكَ أن تعمل بقاعدة الالتزام، وهو من أهمّ قواعد علم التنمية البشرية التي تحقّق النجاح في الحياة، فهنا في مقامنا عليك أن تلتزم بالخطوات التي ذكرت في هذا الكتاب.

يقول الدكتور الفقي في الالتزام ـ وهو المفتاح السابع للنجاح ـ: (الالتزام هو القوة التي تدفعنا لنستمرّ حتى على الرغم من الظروف الصعبة، وهو القوة الدافعة التي تقودنا لإنجاز أعمال عظيمة.

الالتزام هو الدافع الذي يجعل كلّ الأمهات يصررن على تعليم أطفالهن المشي، وهو تعهّد قويّ لتغيير الأشياء العادية لتصبح أشياء ممتازة، وهو

(١) سحر القيادة، د إبراهيم الفقي، دار أجيال، ط ١، ٢٠٠٨م، دمشق: ١٠٨.

الشيء الذي يجعلك تسير مسافات طويلة حتى تحت الأمطار، وهو الذي يُخرج من داخلك جميع القدرات الكامنة، ويجعلها تحت تصرّفك، وبقوة الالتزام؛ فإنّك لن تتراجع، وكلّما خضت تجربة ستفتح أمامك الفرص الأكثر والأكبر للنجاح)[1].

وفي خاتمة هذا الفصل ننقل ما يذكره الدكتور الفقي في حديثه عن المفتاح الخامس للنجاح، وهو الفعل (الطريق إلى القوة): (عندما بدأت أمارس مسؤوليّاتي كمدير عام بكندا كنت أبحث عن كلّ شيء جديد في مجال التنمية الشخصية والسلوك الإنساني. وفي أحد الأيام أرسل لي رئيس الشركة إعلاناً عن علم جديد اسمه البرمجة اللغوية، واقترح عليّ أن أحضر ورشة عمل لمدّة ثلاثة أيام في نيويورك، وبدون أي تردّد قبلت الدعوة.

كنت متحمّساً...، وحضرت وقضيت أول يوم دون أن أفهم أي شيء، وشعرت بخيبة أمل، وكنت على وشك الرجوع، ولكن قبل أن يتملّكني اليأس قرّرت أن أعطي نفسي فرصة أخرى، فحضرت في اليوم الثاني، استطاع المحاضر في أقل من ٣٠ دقيقة أن يغيّر اعتقادي السلبي الذي كان يلازمني منذ سنوات، وقرّرت أن أكمل ورشة العمل، وفعلاً استفدت كثيراً وتغيّرت حياتي تماماً، فقرّرت أن أحصل على شهادة في هذا العلم حتى أساعد نفسي والآخرين أيضاً.

وبعد (٦) أشهر حصلت على شهادة أوّل دورة تمهيدية، ثم شهادة ممارس، ثم شهادة معلّم ممارس، ثم مدرّباً معتمداً، واشتملت الممارسة (١٠) سنوات عمل وتدريب...، وبعد (٦) أشهر من التخرّج قابلت زميلة في مونتريال أنهت المراحل نفسها في الوقت نفسه معي وسألتها عن

(١) المفاتيح العشرة للنجاح، الدكتور إبراهيم الفقي، سما للنشر والتوزيع: ١٢٤.

أحوالها، وما الذي استفادته من الشهادة التدريبية التي حصلت عليها؟ فقالت: مررت بتغييرات كثيرة في حياتي، وأُصبت بانهيار عصبي، ولم أقرّر بعد ما الذي سأفعله بهذه الشهادة)[١].

انظر عزيزي القارئ لهذه السيّدة لم تعمل بما علمت ولم تطبق الجانب النظري؟! بل اكتفت بالمعلومات فقد كانت لديها المعرفة الكافية لكي تتحكّم بالأحاسيس السلبية إلا أنّها لم تستعمل هذه المعرفة، فعليك أن تعتبر من هذين الشخصين، فالدكتور الفقي ماذا جنى من خبراته ومعلوماته؟ وما الذي جنته زميلته؟ فالمسألة ليست مسألة معلومات فقط بل لا بدّ من امتثال الطرق والأخذ بها موضع التنفيذ.

من الممكن أن تمتلئ بالحماس، ويكون لديك طاقة عالية، وتملك المعرفة والقوة العقلية التي تحتاجها للنجاح، ولكنّك إن لم تضع كلّ هذا موضع التنفيذ، ستكون كلّ هذه المهارات بلا قيمة، ولا طائل من ورائها[٢].

فمن خلال ذلك عليك أن تعتبر ما ذُكر قاعدة أساسية حاصلها (المعرفة ثم التنفيذ وإلا فالفشل والإحباط).

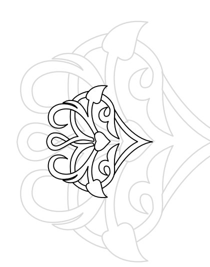
كلّ ما تقدّم هو التركيز على قوّة (الإرادة) عند الشخص الذي يعاني من هذه الهواجس، فمن خلال ذلك يتمكّن الشخص من النجاح في هذه المهمة، يقول الدكتور فورسال: (إنّ على المريض عندئذٍ أن يكافح هو نفسه ضدّ مرضه، وكلّ ما يستطيع الطبيب أن يفعله هو أن يقدّم له بعض التوجيهات العامة، والمبدأ الذي لا يجوز أبداً للمهووس أن يفارقه هو عليه دوماً أن يقاوم الهوس)[٣].

---

(١) المصدر السابق: ٩٣بتصرف واختصار يسير.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٩٥.

(٣) الإسلام والصحة النفسية، مصدر سابق: ١٢٣.



كم من الوقت يستغرق العلاج السلوكي

يتساءل الكثير من المصابين بالوسواس، إذا ما قمنا بالعلاج متى سوف نتخلّص من هذا المرض؟

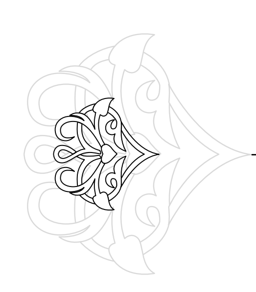
والجواب: يؤكّد خبراء الطب النفسي، أنّ ذلك يعتمد على عاملين:

١ـ مقدار التدريب الذي تقوم به في المواجهة ومنع الاستجابة.

٢ـ مدى شدّة أعراض الوساوس القهرية، من حيث الشدّة والضعف.

وهذا ما يؤكّده الدكتور (جون هيرلي)، اختصاصي العلاج السلوكي في المستشفى التي يعالج فيها مرضى الوسواس القهري: من أنّ العلاج يعتمد على التصميم والرغبة الحقيقية لدى المصابين بالوسواس، فيتحسّن حالهم في فترات قليلة بعضها قد تصل إلى أسبوع أو أسبوعين أو كلّ شهر، أما الأشخاص قليلي التصميم على الأخذ بالنصائح والإرشادات العلاجية قد تتأخّر مدّة الشفاء عندهم.

إذاً، المثابرة عضو حيوي لنجاحك في العلاج السلوكيّ.

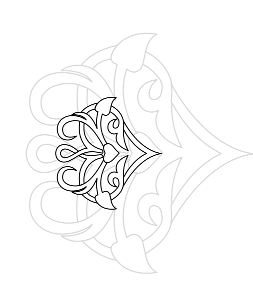


العلاج الدوائي للوسواس

إذا ما أذعنّا بأنّ الوسواس القهري هو مرض نفسي ولا يمكن التخلّص منه إلا من خلال الطرق التي ذكرناها في طيّات هذا الكتاب وهو ما يُسمّى بـ (العلاج السلوكي)، أما النمط الآخر من العلاج وهو العلاج الدوائي ـ كما ذكرنا سابقاً ـ أنّ المقصود به هو تناول العقاقير الدوائية من أجل الشفاء من هذا المرض، ولكن ينبغي الالتفات أنّ بعض المصابين في بلدان الشرق الأوسط وخصوصاً البلدان العربية أنّهم لا يستسيغون تسميته بالمرض النفسي، وتراهم لا يراجعون عيادات الطب النفسي مهما كلّفهم الأمر لأنّ مجتمعاتنا لديها نظرة سلبية عن (المرض النفسي)؛ من دون مبرّر معقول! ولكننا إذا ما نظرنا إلى المجتمعات الغربية والمتحضّرة بشكلٍ عام نراهم لا توجد لديهم أية حساسية من هذه التسمية بل على العكس نرى انتشار عيادات الطب النفسي بشكلٍ كثيف، بل لعلّها توازي عيادات الأمراض البدنية، وهي حالة صحية، وهناك أطباء متخصّصون، ومشهورون وجامعات وأقسام مشهورة ولها احترامها في نظام الدولة والمجتمع، والذي نريد قوله لو استحكمت حالة الوسواسي وقد عمل بصورة جدّية وصحيحة بالعلاج السلوكي، ولم يفلح فحينها عليه أن يراجع عيادة الطبيب النفسي كي يصف له الدواء الذي يمكّنه من الخلاص من هذا المرض، وقد ذكرت الكتب والبحوث المتخصّصة بعلاج الوسواس

القهري جملة من العلاجات الدوائية ولكنّي لا أحبّذ ذكرها هنا، يمكن للشخص المصاب أن يراجع أطباء الطب النفسي.





الوسواس في قضايا العقيدة

من أقسام الوسواس في القضايا الدينية؛ هو الوسواس والشكّ في المسائل العقائدية التي يعتقد بها الفرد، منها وجود الخالق، وعدله، أو الشك في وجود الأنبياء عليهم السلام أو في عصمتهم، وفي غيرها من هذه المعتقدات التي يؤمن به الفرد.

ويمكن أن نصنّف هذه الشكوك إلى قسمين:

القسم الأول: وهي الشكوك والوساوس التي تطرأ على النفس، وتقع في صدر الإنسان مع عدم موافقته ورغبته بها، إلا أنّها تطرأ على تفكيره قهراً، وهذا ما يطلق عليه في علم النفس بـ(الفكر التسلّطي)، وقد لا نجد واحداً منّا لم يتعرّض لمثل هذه الوساوس والأفكار التسلّطية ولو مرة واحدة في العمر، وهي تختلف من شخصٍ لآخر، وهذه الوساوس (الطارئة) لا يحاسب عليها الإنسان ولا يترتّب عليها أيّ أثر، وعلى الإنسان أن يصرف النظر عنها كأنّها لم تطرأ في مخيّلته مطلقاً، وقد وردت في ذلك الكثير من الأحاديث، والروايات نذكر منها:

١ـ عن محمد بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوسوسة وإن كثرت، فقال: **لا شيء فيها، تقول: لا إله إلا الله**[1].

(١) الكافي: ٢/ ٤٠٢، كتاب الإيمان والكفر، ب الوسوسة وحديث النفس، ح ١ مصدر سابق.

٢ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هلكت، فقال له عليه السلام: أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: إي والذي بعثك بالحق لكان كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك والله محض الإيمان قال ابن أبي عمير: فحدثت بذلك عبد الرحمن بن الحجاج فقال: حدّثني أبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما عنى بقوله هذا «والله محض الإيمان»...**[١].

٣ـ عن علي بن مهزيار قال: كتب رجل إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لمماً يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: **إنّ الله عزّ وجلّ إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقاً، قد شكى قوم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمماً يعرض لهم لأن تهوي بهم الريح أو يقطعوا أحب إليهم، من أن يتكلّموا به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتجدون ذلك؟ قالوا نعم، فقال: والذي نفسي بيده إنّ ذلك لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله**[٢].

٤ـ عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: **قل: لا إله إلا الله**.قال جميل: فكلّما وقع في قلبي شيء قلت: لا إله إلا الله فيذهب عني[٣].

٥ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رفع عن أمّتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا**

(١) المصدر السابق: ٢/ ٤٠٣، ح٤.
(٢) المصدر السابق نفسه: ٢/ ٤٠٣، ح ٤.
(٣) المصدر السابق نفسه: ٢/ ٤٠٢، ح ٢.

يعلمون[١] وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق[٢] ما لم ينطق بشفة[٣].

إذاً هذه الوساوس يستطيع الإنسان أن يتخلّص منها بسهولة ويسر.

القسم الثاني: أما هذا النوع من الوسوسة والشكوك عند بعض الناس تكون بصورة قوية وراسخة ـ أحياناً ـ وتجد هؤلاء يعيشون هذه الحالة، بل قد يطرحوها في الأماكن العامة أو في جلسات خاصة بل هناك بعضهم من أصحاب القلم انعكست هذه الحالة عندهم حتى في مؤلفاتهم، أو يطرحوها عبر الأثير على بعض القنوات الفضائية أو مواقع الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، أو محطات المذياع وما شاكل ذلك.

وهذا النوع من الوسواس والشكوك مذموم عقلاً وشرعاً، كما هو الحال في الوسواس في المسائل الشرعية، والعملية وهو ـ أي العقائدي ـ أشدّ خطراً من العملي؛ لما له من دخل في العقيدة؛ لأنّه ليس بعد العقيدة شيء إلا الكفر، أو الشرك، أو الانحراف العقائدي والعياذ باللّه، وقد ذمّ الشارع المقدّس هذا النوع وبشدّة؛ وذلك لأنّه بإمكان الإنسان أن يصل إلى الحقيقة والمعتقد الصحيح حينما يسلك القواعد العقلية والأسس الصحيحة التي ينادي بها الدين الحنيف، التي تطرح في محلّها مع تخلّي الشخص عن القبليات وتجرّده عنها، وبعبارة أوضح حينما يكون الشخص موضوعياً

(١) جاء في هامش الخصال: ظاهره معذورية الجاهل مطلقاً، لكن الفقهاء اقتصروا على موارد خاصة كالصلاة مع نجاسة الثوب أو البدن أو موضع السجدة أو الثوب والمكان المغصوبين أو ترك الجهر والإخفات وأمثالها والمسألة معنونة في كتب أصول الفقه باب البراءة مشروحة.

(٢) وجاء أيضاً في هامش الخصال: كالتفكر بأنه تعالى كيف خلق الأشياء بلا مادة ولا مثال، أو لأيّ شيء خلق ما يضرّ ولا ينفع بحسب الظاهر أو لأي شيء خلق بعض الأشياء طاهراً وبعضها نجساً أو لأي شيء خلق الإنسان من تفاوت وأمثال ذلك.

(٣) الخصال، الصدوق: ٤٥٥، ح ٩.

ومتجرّداً عن الرواسب الفكرية والعاطفية سوف يصل إلى الحقيقة، هذا ما تؤكده الشواهد ولا مجال لذكر المصاديق والأمثلة على هذه الحقيقة.

وقد يقول قائل كيف أتعرّف على هذه الوسائل والسبل لكي أحصل على ما يزيل هذه الشكوك والوساوس العقائدية وكيف أتخلّص منها؟ والجواب في غاية السهولة، نقول: عليك بمراجعة الكتب المختصّة بهذا المجال، أو تسأل أهل العلم المتخصّصين، وهذا الأمر قد يتطلّب من الفرد أن يسافر إلى الحواضر العلمية التي يجد فيها بغيته، وإن كلّفه الأمر التعب والعناء بل الخسائر المادية؛ لأنّ الأمر خطر للغاية بل هو أخطر شيء في هذه الدنيا؛ وهو أن يموت الإنسان على شك أو ضلالة في معتقده، وقد يقول البعض لِمَ هذا التشدّد؟ أقول: ذكرت آنفاً أنّه لا يوجد أمر أخطر من العقيدة في حياة الإنسان هذا أولاًوثانياً إنّ الإنسان بطبعه يبذل الكثير من العناء والتعب والخسائر من أجل قضايا أقل خطورة من الدين كطلب الرزق، ألم يذهب الكثير من الناس إلى مناطق نائية أو خطرة من أجل طلب الرزق، أو دراسة معيّنة أو شهادة لينال منها شهرة، أو منصباً، أو مكسباً، وهكذا جرت سيرة الناس، فلماذا يحقّ لنا أن نجد ونثابر في هذه الأمور الدنيوية دون ما يمسّ الدين والعقيدة! أليس هو المستقبل الحقيقي كما يقول القرآن: ﴿**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[الأعلى: ١٧].

إذاً، الحلّ الوحيد لهذا القسم من الوسواس هو التخلّص منه بهذه الطريقة التي ذكرنا ولا يجوز عقلاً، ولا شرعاً، أن يبقى الإنسان على قناعاته من شكوك ووساوس في معتقداته، بل اللازم عليه أن يرفع هذه الشكوك والوساوس.

وهنا سنعرض لك عزيزي القارئ بعض النصوص الدينية من آيات،

وأحاديث، تذمّ الشك والوسوسة في القضايا والمسائل العقائدية، كما يلي:

١ـ قال تعالى: ﴿**إنمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾[الحجرات: ١٥] أي لم يشكّوا[١] يقول الشيخ مكارم الشيرازي: إنّ أوّل علامة للإيمان هي عدم التردد في مسير الإسلام[٢]، إذن من كان لديه ريب وشك في عقيدته فهو لم يصدق عليه عنوان المؤمن حقاً.

٢ـ وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾[غافر: ٣٤].

٣ـ قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[الحج: ١١][٣].

يقول صاحب الأمثل: هذه الآيات تتحدّث عن مجموعة ثالثة هم ضعاف الإيمان .أي إنّ بعض الناس يعبد الله بلقلقة لسان، وإنّ إيمانه ضعيف جداً، ولم يدخل الإيمان قلبه، وعبارة ﴿**عَلَى حَرْفٍ**﴾ ربما تكون إشارة إلى أنّ إيمانهم باللسان فقط، وأنّ قلوبهم لم ترَ بصيصاً من نوره إلا قليلاً، وقد تكون إشارة إلى أنّ هذه المجموعة تحيا على هامش الإيمان

(١) تفسير نور الثقلين، العلامة الحويزي، تحقيق السيّد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ: ٧ / ١١٢نقلا عن تفسير القمي

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ: ١٦ / ٣٦٧

(٣) الحج: ١١.

والإسلام وليس في عمقه[1].

٤ـ وقال تعالى: ﴿**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**﴾[الشورى: ١٤].

٥ـ وقال تعالى: ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ**﴾[سبأ: ٥٤].

وغيرها من الآيات التي تذمّ الشك والريب، فالقرآن يريد للإنسان أن يعتقد اعتقاداً صحيحاً من خلال العلم واليقين الذي يبعث الاطمئنان في نفس الإنسان ويرفض الشك والريب لكي تكون عقيدة الإنسان سليمة من الشوائب.

أما الأحاديث والروايات التي وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السلام التي تذمّ الشك في مسائل العقيدة فهي كثيرة ننقل منها ما يلي:

١ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الشك والمعصية في النار، ليسا منّا ولا إلينا**»[2].

٢ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يتمكّن الشيطان بالوسوسة من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله، واستهان بأمره، وسكن إلى نهيه، ونسي اطّلاعه على سرّه، فالوسوسة ما يكون من خارج البدن بإشارة معرفة العقل، ومجاورة الطبع وأما إذا تمكن في القلب فذلك غيّ وضلالة**

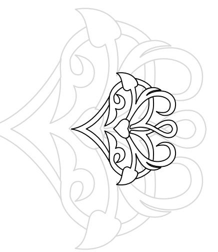
(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ: ١٠ / ١٨٣.

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق، تقديم الشيخ محمد حسين الأعلمي، طليعة النور، قم، ط ٢، ١٣٨٤هـ ش: ٣٠٦.

وكفر، والله عزّ وجل دعا عباده باللطف دعوة، وعرفهم عداوته، فقال عزّ من قائل ﴿إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[الأعراف: ٢٢] **وقال:** ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾[فاطر: ٦] **فكن معه كالغريب مع كلب الراعي يفزع إلى صاحبه في صرفه عنه، وكذلك إذا أتاك الشيطان موسوساً ليصدّك عن سبيل الحق، وينسيك ذكر الله فاستعذ بربّك وربّه منه، فإنّه يؤيد الحق على الباطل، وينصر المظلوم لقوله عزّ وجل** ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٩٩] **ولن تقدر على هذا ومعرفة إتيانه ومذهب وسوسته إلا بدوام المراقبة، والاستقامة على بساط الخدمة وهيبة المطلع، وكثرة الذكر، وأما المهمل لأوقاته فهو صيد الشيطان لا محالة، واعتبر بما فعل بنفسه من الإغراء والاستكبار من حيث غرّه وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته ورأيه، قد أورثه عمله ومعرفته واستدلاله بمعقوله عليه اللعنة إلى الأبد، فما ظنك بنصيحته ودعوته غيره، فاعتصم بحبل الله الأوثق، وهو الالتجاء والاضطرار بصحة الافتقار إلى الله في كلّ نفس، ولا يغرّنك تزيينه الطاعات عليك، فإنّه يفتح لك تسعة وتسعين باباً من الخير ليظفر بك عند تمام المائة فقابله بالخلاف والصدّ عن سبيله، والمضادة باستهزائه»**[١].

٣ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**اعلموا أنّ الله يبغض من خلقه المتلوّن، فلا تزولوا عن الحق وأهله، فإنّ من استبدّ بالباطل وأهله**

(١) بحار الأنوار، ح ٢: ٦٩ / ٨٢باب الشك في الدين والوسوسة وحديث النفس، مصدر سابق.



هلك، وفاتته الدنيا، وخرج منها صاغراً»[1].

٤ـ عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شكّ فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور، وأول مَنْ يدخل الجنة شهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربّه ونصح لسيده، ورجل عفيف متعفّف ذو عبادة، وأول من يدخل النار أمير متسلّط لم يعدل، وذو ثروة من المال لم يعطِ المال حقّه، وفقير فخور**»[2].

٥ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **من شكّ في الله وفي رسوله فهو كافر**[3] ولكن كما ذكرنا آنفاً ليس شك الخواطر، بل الشك الذي يستقرّ في النفس، وقد يتّضح الأمر من خلال النظر إلى روايات أخرى وهي عن محمد بن مسلم، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً عن يساره، وزرارة عن يمينه، فدخل عليه أبو بصير، فقال: يا أبا عبدالله ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال: «**كافر يا أبا محمد**»، قال: فشكّ في رسول الله؟ فقال: «**كافر**»، ثم التفت إلى زرارة فقال: «**إنما يكفر إذا جحد**»[4] و عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا**»[5].

٦ـ عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا ينفع مع الشك والجحود عمل**»[6].

(١) المصدر السابق: ص٨٣، ح ٥.

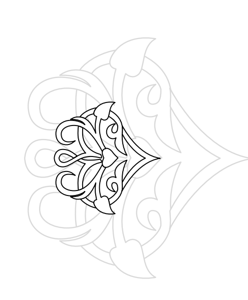
(٢) المصدر السابق نفسه: ص٨٣، ح ٨.

(٣) المصدر السابق نفسه: ص ٨٤، ح ١١.

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٧ / ٣٥٦.

(٥) المصدر السابق، باب ثبوت الكفر والارتداد بجحود بعض الضروريات، ح ٨.

(٦) ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري: ٣ / ٤٦٨.



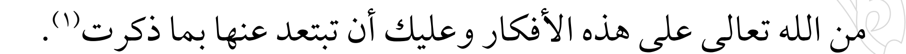
رأي الفقهاء في الوسواس العقائدي

من خلال ما تقدّم عرفنا رأي الشرع بالوسواس في المسائل والقضايا الشرعية، والآن بعد أن عرفنا قسمي الوسواس العقائدي، فما هو رأي الفقهاء بذلك؟ قلنا بأنّ الشك في القضايا العقائدية إذا كان من القسم الثاني فهو محرّم شرعاً، وعلى الإنسان أن يقضي على هذه النوع من الوساوس، وأما إذا كان من القسم الأول فلا إشكال فيه شرعاً وقد ذكرنا جملة من الأحاديث التي يذكرها العلماء في المصادر المعتمدة ويستندون إليها في فتاواهم على عدم حرمة هذا النوع من الوسواس، وسننقل إليك بعض الاستفتاءات قُدّمت لبعض مراجع الدين، كما يلي:

١ـ سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض دام ظله

السؤال: اني ابتليت بمرض الوسواس القهري حيث تراودني أفكار مزعجة جداً تجاه الله سبحانه وتعالى وأهل البيت عليهم السلام بدون إرادتي قهراً، ما حكم ذلك؟

الجواب: إنّ الوسوسة من الشيطان وعليك أن لا تعتني بها أصلاً وكلّما خطر ببالك من الأفكار الباطلة والشيطانية، قل بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العظيم، واشتغل بشيء آخر كقراءة القرآن والدعاء واللعن على الشيطان وليس عليك حساب


من الله تعالى على هذه الأفكار وعليك أن تبتعد عنها بما ذكرت[١].

٢ـ سماحة آية الله العظمى السيّد محمد صادق الروحاني دام ظله

السؤال ٤٤١: لدي مشكلة صعبة جداً، وهي أنني أفكر دائماً بأفكار سيئة في قلبي تسيء للرب، ودائماً في داخلي أسيء للباري (جل وعلا)، وأحياناً أصفه بصفات مخلوقاته السيّئة، مع العلم أنني أعرف أن الرب الجليل لا يتّصف بصفات مخلوقاته، بل هو منزّه عنها؛ لأنّ الرب الجليل لا يتّصف إلا بصفات الكمال التي لا يتّصف بها أحد من مخلوقاته، ولكنّني أسيء للخالق (جلا وعلا) في قلبي.

وإنّني دائماً أفكر في الآخرة والموت ويوم القيامة، وأخاف من الموت، وأدعو الرب أن لا يخرجني من هذه الدنيا حتى يرضى عني، ولكنّني بهذه الأفكار أشعر بأنّ الخالق لن يرضى عني، مع أنّني لا أعرف لِمَ تراودني هذه الأفكار التي تسيء للخالق (جل وعلا) أستغفر الله تعالى من ذلك دائماً، ومع ذلك فإنّ شعوري بالذنب يلاحقني، فكيف أستطيع علاج ذلك؟

الجواب: الأفكـار المذكورة هي من إلقاءات الشيطان التي يريد من خلالها زلزلة إيمان المؤمن أو إدخال الأذى النفسي عليه، والمستفاد من الحديث المعروف بحديث الرفع أنّ الإنسان غير مؤاخذ على تلك الأفكار، حيث جاء فيه: «**وضع عن أمّتي تسعة أشياء: السهو، والخطاء، النسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، والطيرة، والحسد، والتفكّر في الوسوسة في الخلق، ما لم ينطق الإنسان بشفة**».

وعلاج هذه الحالة ـ كما جاء في غير واحد من الأخبار ـ ليس إلا بذكر

(١) الاستفتاءات الشرعية، لسماحة الشيخ الفياض، دار البذرة ـ النجف، ط ١، ١٤٣١هـ: ١ / ٥٣٦.

الله تعالى، ومحاربة الشيطان به، فقد جاء في معتبرة جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قلت له: إنّه يقع في قلبي أمر عظيم؟ فقال: **قل: لا إله إلا الله** قال جميل: فكلما وقع في قلبي شيء قلت: لا إله إلا الله، فذهب عني [1].

السؤال ٢٤٦: أنا شاب في العشرينيات من عمري وقد بُليت بما أثقلني حمله وهو أني لم أستطع أن أحصّل الاطمئنان في نفسي من عقائدي رغم بحثي المجدّ وقد قرأت الكثير من كتب العقائد وأجدها مقنعة لكنّي لم أصل إلى مرحلة الاطمئنان بعد.

هل أنا مريض نفسياً ـ كنت أعاني من بعض أعراض الوسواس القهري ـ أم أنا من الشاكّين؟ وهل إذا قبرت على هذا الحال أكون من المخلّدين في جهنم؟ ما هو تكليفي الشرعي؟

وأنا من المحبّين لأهل البيت عليهم السلام ولا أتصوّر نفسي على غير عقيدتهم بعد هذا العمر ..أجد جميع الأدلة التي سيقت لإثبات مذهبهم لا تنافي العقل بل هي مقتضاه ولكن لماذا لا أصل للاطمئنان خصوصاً فيما يتعلّق بالله عزّ وجلّ هذا ما يهدد كياني؟

الجواب: تشخيص المرض النفسي يحتاج إلى طبيب أخصائي ماهر موثوق، والشك هو طريق اليقين حيث يرتكز اليقين حينئذٍ على الاستدلال السليم بحيث يصل إلى مرحلة انعدام الشك.

والشكّ الذي يوصل إلى الإنكار (إنكار الضروريات والمسلمات) هو الذي يوصل صاحبه إلى الخلود في جهنّم، وأما الشك مع التسليم والإيمان

(١) أجوبة المسائل، السيّد محمد صادق الروحاني: ٢ / ١٩٤.

وأداء الواجبات فهو كما قلنا طريق لليقين.

وبما أنك معتقد بكلّ ما ذكرت فعليك الانتباه من وساوس إبليس اللعين، الذي يوسوس في صدور الناس، فما عليك بعد التسليم والاقتناع بما وصلت إليه من العقيدة الصحيحة إلا أن تسعى لطرد هذه الوساوس وتعتبرها حالة وهمية يحاول الشيطان أن يوقعك من خلالها، كمن لا يتمكّن الشيطان من منعه عن أداء العبادات فيحاول أن يشككه في عبادته وصلاته، ولذا قال «لا شك لكثير الشك» بمعنى أنّه لا اعتبار من الناحية الفقهية في شك كثير الشك[1].

٣ـ سماحة آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله قدس سره

سؤال: منهج الشك في الإسلام، هل هو أمر ممدوح أو مذموم؟

الجواب: الشك في طريق اليقين هو أمر ممدوح، والإنسان عادة يشكّ في كلّ شيء يسمعه، ولكن عليه ألا يتجمّد أمام الشك، وأن لا يجحد ما شك فيه، فقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: «**لو أنّ الناس إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا. لم يكفروا**» وجاء في حديث آخر: ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال: **كافر يا أبا محمد**، قال: فشك في رسول الله؟ فقال: **كافر**، ثم التفت إلى زرارة فقال: **إنما يكفر إذا جحد**. فإذا بقي واقفاً أمام الشك، ولم يتطوّر شكّه إلى جحود من دون دليل، وانطلق ليبحث، فهذا لا يُعتبر كافراً؛ ولذلك نجد أنّ الأسلوب الإسلامي في مقام الحوار بين المؤمنين والكافرين، هو الأسلوب الذي يطرح الشكّ ليصل بالحوار إلى اليقين،

(١) التقليد والعقائد، السيّد محمد صادق الروحاني، إعداد الشيخ مصطفى العاملي، دار البلال ـ بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ: ١٣٤ ـ ١٣٥.

وهذا هو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: ٢٤] ، فهل كان النبي ﷺ شاكاً في أنّه على هدى؟! وهو كما يقول تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[الزمر: ٣٣]، وهو الذي أعطى الصدق وأعطى الحق وجاء بالحق، وانطلق في دينه على أساس الحق الذي أرسله الله به، ولكنّه أراد أن يجذب الإنسان الآخر الكافر إلى أن يتحاور معه، ولذلك قال له: قد أكون على هدى، وقد أكون على ضلال، وقد تكون أنت على هدى، وقد تكون أنت على ضلال .هناك حقيقة ضائعة بيننا، فتعال نتحاور لنشترك في البحث عن رحلة الحقيقة[1].

طبعاً هذا الأجوبة التي ذكرناها عن الفقهاء، متّفق عليها، وقد ذكرتها من باب الأنموذج، وبحسب ما هو متوفر لدي من المصادر (أعني الكتب الاستفتائية)

أمّا حكم القسم الثاني من الوساس العقائدي وهو من لديه شك ولا يسعى لإزالته فهو محاسب ويعاقب صاحبه لأنّه مقصر، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[النمل: ١٤] نذكر له أيضاً أحد النماذج الفتوائية التي جاءت في إجابات أحد الأعلام، وهو سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دامظله:

السؤال: إذا أصيب بكآبة غير شديدة بل من النوع الذي يشخّصه الأطباء والنفسانيون بالكآبة، ويترك صلاته وصومه في تلك الفترة ويسيء الظنّ بالله وييأس من رحمته، مع أن عقله سليم في حكمه؟

الجواب: يجب على الإنسان أن يعقد الرجاء بالله القادر الرحيم ويمتثل

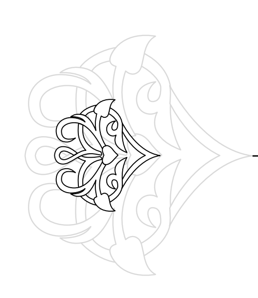
(١) الندوة، السيّد محمد حسين فضل الله، دار الملاك ـ بيروت ،: ، ط ١، ٢٠٠٧م: ١٧ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠ وكذلك الطبعة الإيرانية ـ الستارة ، قم

لأوامره في الصلاة والصيام والحجاب وباقي الواجبات الدينية ولا يقنط من رحمته الواسعة إذ إنَّ القنوط من الكبائر ولا يحقّ لأحد أن يترك واجباته الشرعية بحجة الكآبة، إلا إذا أدّى مرض الكآبة به إلى فقدان عقله وإدراكه[1].

وهناك حالة نستطيع أن نقول إنّها ثالثة تقع بين الاستفتاءات التي ذكرناها عن الفقهاء آنفاً، من جهة واستفتاء الشيخ ناصر المكارم من جهة أخرى، وهي ما يترجمها لنا أيضاً استفتاء لأحد مراجع الدين وهو سماحة آية الله العظمى السيّد كاظم الحائري دام ظله: (مسألة) هل مجرد عروض الشك في بعض أصول الدين يوجب الكفر مع أنّ الشك من لوازم الإنسان الباحث، أو ما يوجب الكفر هو خصوص البناء على الشك والركون إليه؟

الجواب: مع الالتزام القلبي بالأصول مدّة سعيه لعلاج الشك لا يتحقّق الكفر[2].

(١) الفتاوى الجديدة، لسماحة الشيخ مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢ / ١١١.
(٢) الفتاوى المنتخبة مجموعة إجابات في فقه العبادات والمعاملات، لسماحة السيّد الحائري، دار البشير، قم، ط ٣، ١٤٣٣هـ: ٢٨٠المسألة ٣٣.



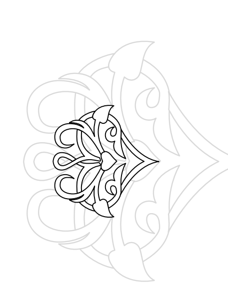
علاج الوسواس يتطلب الصبر

وقبل الختام يجدر بنا أن نلفت نظرك أيها العزيز إلى أنّ علاج الوسواس ـ بشكل عام ـ يحتاج إلى الصبر والتروّي والتحمّل من أجل النجاح، والخلاص من هذه المشكلة في كلّ مستويات وأقسام الوسواس الثلاثة، تذكر أنّ المثابرة والمعرفة من عوامل نجاحك، عليك أن تروّض نفسك من خلال التدريب على العلاج ولو لأيام، أو أسابيع، أو شهور ولكن ليس بالتواني والتكاسل أو التسويف فإنّه لا يتضرّر أحد غيرك.

وليكن في بالك ـ عندما تمارس التدريب والعلاج ـ أنّه سوف تواجهك أيام طيّبة وأخرى عصيبة، قد لا يكون تقدّمك سلساً على الدوام، فقد تستيقظ صباح يوم وأنت تشعر بالسعادة، وفي صباح يوم آخر وأنت في حالة مغايرة لتلك! أو أنك قد تلمس تقدّماً ملموساً في أحد الأيام وإخفاقاً في يوم آخرأو تراوح مكانك في أيام أخرمع أنّك تعمل بالطريقة نفسها، فاللازم عليك هو المثابرة والإصرار، كي تتخلّص من هذا الحال.

ومن أهمّ الأمور هو أنّك لا تعتقد الإيمان القوي بالوسواس وأنّك لا تتمكّن من التخلص منه، أو أنّ هذه الوساوس التي تأتيك في وهمك هي أمور حقيقية، بل الهام وهو أن تعتقد بأنها أوهام ووساوس[١].

(١) الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي، الدكتور لي باير: ١٠٠، ٦٨ بتصرف واختصار.



الفهرس


المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين